

مدارات

مجلة علمية نصف سنوية

متخصصة في الشأن التربوي

مجلة مدارات التربية والتكوين

مجلة علمية محكمة نصف سنوية متخصصة في الشأن التربوي، يصدرها المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق

المدير المسؤول: د. أحمد شتواني

رئيس التحرير: د. الطاهر قدوري

هيئة التحرير:

د. عبد العزيز غوردو

د. رشيد سوسان

د. عبد العزيز المساوي

د. محمد بلج

الهيئة العلمية والتحكيمية والاستشارية للمجلة:

د. محمد غوردو	د. عبد الله منار	د. فريد أعضشو
د. مصطفى صادقي	د. امبارك زين العابدين	د. الحسن زربوح
د. موسى الإدريسي	د. محمد عزاوي	د. الحسن قايدة
د. ميمون المساوي	د. محمد بوكلاح	د. زاهية أفلاي
د. هانم بلخير	د. محمد القضاخي	د. عبد الله بوغوتة
د. محمد أمين نجاري	د. عبد السلام أيوجيل	د. عبد ربه جميلة
د. محمد شهابي	د. طارق غرماوي	د. رشيدة رحو
د. ادريس الحافظ	د. علي مزيان	د. محمد طالبي
د. علي الدراوي	د. جمال هلال	د. محمد دخيسي
د. رشيد سعدي	د. عبد الله زروالي	د. أيوب الشاوش

مجلة مدارات التربية والتكوين

العدد 6 - 2021 - السنة الرابعة

الناشر : المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق.

تصميم الغلاف : ذ. خليل صافي.

الإخراج الفني والسحب : مكتبة قرطبة / وجدة.

مُحْفَوظَةٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ

الإيداع القانوني: 2015PE0124 ردمد: 2458-7265

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ضوابط النشر في مجلة المركز

- أن تتسم المادة المقترحة للنشر بالجِدَّة والأصالة وعمق التحليل والتناول.
- أن تكون ذات صلة بالشأن التربوي عموماً.
- يُفضَّل ألاّ تتجاوز صفحاتها الـ15، مع إمكاني نشر ما فيها أقلّ من ذلك أو أكثر إذا رأت هيئة التحرير فائدة في ذلك.
- أن تُكتب بخط Traditional Arabic ذي مقاس 16 في المتن، 14 في الهوامش، 1.5 ما بين سطر وآخر.
- أن تُرتب البيانات الببليوغرافية المتعلقة بالمصادر والمراجع على النحو الآتي:
اسم الكاتب: عنوان الكتاب، (تحقيق، ترجمة، تنسيق...)، دار النشر، مكانها، رقم الطبعة، تاريخها، الصفحة (أو الجزء والصفحة إن كان الكتاب واقعا في أكثر من جزء).
وفي حالة ما إذا تم الاقتباس من مجلة أو صحيفة، يُنصّ على العدد، والمجلد، والسنة (على حسب النظام المعمول به في المجلة).
- في حال الإسهام بترجمة، يُرفق معها النص الأصلي المترجم.
- أن يضع الباحث(ة) قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في آخر المقال أو الدراسة، مرتبة موادّها أبجدياً أو ألفبائياً.
- يرسل الباحث(ة) نبذة مركزة جدا عن سيرته(ها) مع البحث أو الدراسة المقترحة للنشر.
- كل المواد الواردة إلى المجلة تخضع لتحكيم سري، وفي حال قبول الدراسة/المقال يخبر صاحبها بنتيجة التحكيم وبمختلف التعديلات التي يجب إدخالها.
- لا يمكن إعادة نشر مواد المجلة أو جزء منها إلا بموافقة هيئة المجلة بذلك، وفي حالة العكس تحتفظ المجلة بحق المتابعة.
- كل عملية قرصنة يتحمل تبعاتها صاحب المقال، ولا يمكن متابعة المجلة بأي حال من الأحوال.
- يخضع ترتيب المواد المنشورة في كلّ عدد لاعتبارات تراها هيئة التحرير.
- ترسل المقالات والمواد العلمية على البريد الإلكتروني للمجلة: madarat.crmefor@gmail.com

المواد المنشورة في المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها

المحتويات

- 9 الافتتاحية
- المدار الأول: التعليم عن بعد: الواقع والآفاق
- 15 التعليم عن بعد في ظل جائحة كوفيد 19: السياق والآفاق
- 15 د. محمد دخيبي أبو أسامة
- 41 التعليم عن بعد بالمغرب المعاصر، دراسة استقرائية
- 41 د. عبد الله منار
- 65 رقمنة التعليم واستشراف المستقبل
- 65 د. الطاهر قدوري
- 85 المحفظة المدرسية الذكية
- 85 د. عبد العزيز غوردو
- 107 التكوين عن بعد بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين: الواقع والآفاق
- 107 د. عبد الله بوغوتة
- 161 أثر التعليم والتكوين عن بعد في تطوير مهارات المتعلمين الحياتية
- 161 د. نور الدين ناس الفقيه
- 179 التعليم عن بعد يخلق المقاومة
- 179 المترجم: عبد الكريم بومعزة
- 193 كوفيد
- 193 شعر: د. محمد اعراب

المدار الثاني: التعليم عن بعد: تجارب وتقاطعات

تجربة التعليم (عن بعد) في المدرسة المغربية: بين إكراهات التنزيل وآفاق

التطوير.....197

197..... ذ. عبد الله حمداوي

التعليم عن بعد في زمن كوفيد19: التجربة المغربية.....217

217..... الحسن حمو

التعليم الرقمي عن بعد.....251

251..... مولاي المصطفى البرجاوي

التكوين عن بعد بمسلك تكوين أطر الإدارة التربوية بالمركز الجهوي

لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق.....285

تجربة الورشات عن بعد في مجزوءة مشروع المؤسسة نموذجا.....285

285..... عبد الرحمان جبوري

تجربة التعلم عن بعد بالكلية متعددة التخصصات بتازة: الواقع

والتحديات.....315

315..... عبد الحفيظ حميي

قصة قصيرة "الوباء".....337

337..... محمّد مباركي

Tendances de l'apprentissage mobile 2000-2020 : Une méta - analyse

Mourad BENALI, Mohammed BOUKARE et Mohammed BLEJ

الافتتاحية:

دخل المغرب والعالم مع بداية 2020 مرحلة حرجة على كل الأصعدة والمستويات بسبب تفشي فيروس كورونا المستجد، أو ما أصبح يعرف بكوفيد 19، وقد فرضت السرعة الكبيرة لانتشار هذا الوباء اتخاذ العديد من التدابير على المستوى العالمي والمحلي، كما فرض هذا الوضع على الدول والمجموعات الاقتصادية ضرورة التفكير بجد في كيفية تجاوز هذه الجائحة بأقل الخسائر، وألزمها كذلك بإعادة النظر في ترتيب الأولويات مستقبلا.

ومن القطاعات التي تشهد في هذه الظرفية الحرجة نقاشا مجتمعيا حادا بين المهتمين والفاعلين في الميدان والشركاء الاجتماعيين، قطاع التربية الوطنية. وهو نقاش نراه صحيا وجديرا بالتحليل والتفكير العميق، ليس فقط في الكيفية التي يمكن من خلالها إنقاذ السنة الدراسية، ولكن بما يتجاوز ذلك إلى مستويات أخرى من التحليل التربوي، الذي يمكن أن يدفع به إلى الأمام، ويساهم في تجويد التعليم العمومي في كل مستوياته من التعليم الأولي إلى التعليم العالي.

ومن ذلك أن الجائحة - سألغة الذكر - أدت إلى التوقف الاضطراري لكل أشكال التعليم الحضوري، وأغلقت المؤسسات التعليمية أبوابها أمام مرتفقيها، مما طرح مجموعة من الأسئلة الجوهرية المتعلقة أساسا بالكيفية السليمة التي يمكن اعتمادها لضمان نوع من الاستمرارية البيداغوجية للمتعلمين، وإنجاز المقررات بطريقة سلسلة تضمن تكافؤ الفرص وتحرص على ضمان جودة التعليم، وهذه الوضعية حتمت على وزارة التربية الوطنية اللجوء إلى تبني عملية التعليم والتكوين عن بعد، وهي تجربة كانت الوزارة قد أطلقتها منذ زمن ليس ببعيد، لكنها

اليوم أصبحت حاجة ملحة، لكن ليس فقط لأن الضرورة اقتضت ذلك، وإنما من منظور يتغى تطوير هذه الآلية وتجويدها بنية استثمارها مستقبلا.

وتبقى الصعوبة التي تعترض الفاعل التربوي في هذه الظروف هي عملية التقويم، فكيف يمكن تنظيمها؟ وكيف يمكن ضمان تكافؤ الفرص بين المتعلمين في اعتمادها؟ وهل يمكن أن تكون نتائجها معبرة عن الواقع التعليمي حقيقة؟

هذه الأسئلة وغيرها، دفعت المشرفين على مجلة مدارات تربوية - التي يصدرها المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق - إلى ضرورة تخصيص ملف العدد السادس من المجلة للتعليم عن بعد والإشكالات التي يطرحها، على مستوى ضمان السير العادي لإنجاز الدروس والمحاضرات، وكذلك على مستوى إنجاز التقويات / الاختبارات المختلفة. وكان ذلك عبر مدارين:

خصص المدار الأول للتعليم عن بعد الواقع والآفاق، وقد ساهم بالبحث والتقصي في هذا المحور ثلة من الباحثين الذين حاولوا مقاربة الموضوع من عدة زوايا تهم الجانب المؤسساتي للتعليم عن بعد الذي تسعى وزارة التربية الوطنية إلى جعله خيارا استراتيجيا، يمكن أن يحل العديد من الإشكالات التي تطوق عنق واقع التربية والتعليم بالمغرب، وقد انطلق الباحثون في هذا المحور من مختلف النصوص والمرجعيات القانونية التي اعتمدها الوزارة الوصية للإقرار التعليم عن بعد أثناء الحجر الصحي الذي فرضته جائحة كوفيد 19، ومستشرفين بذلك آفاق التعليم عن بعد في مدرسة مغربية متجددة ومفعمة بالحياة والتجديد وتكافؤ الفرص بين مختلف أبناء المملكة عبر ربوع الوطن كما تنص على ذلك الرؤية الاستراتيجية والقانون الإطار 51-17، كما نبهوا إلى مجموعة من الإكراهات التي وجب أخذها

بعين الاعتبار في أفق التعامل مع وقضايا التربية والتعليم بالمغرب، على مستوى مأسسة التعليم عن بعد، وتوفير بنية تحتية عصرية تستجيب لهذا التحدي وتسعى إلى ضمان تعليم جيد ينخرط فيه جميع الفاعلين في حقل التربية والتعليم: وزارة التربية والوطنية، والإدارة التربوية بمختلف مؤسسات التربية والتكوين، والمدرسون، وأولياء أمور المتعلمين، والمتعلمون.

وخصص المدار الثاني للتعليم عن بعد: تجارب وتقاطعات. في هذا المدار التربوي من المجلة، يسعى كل باحث من جانب إلى مقارنة التجربة المغربية الفتية زمنيا وتراكما في التعليم عن بعد، بعيدا عن النصوص المنظمة إلى محاولة رصد التجربة المغربية المواكبة لتنزيل القانون الإطار والرؤية الاستراتيجية، التي نصت العديد من موادها إلى ضرورة الاهتمام بالتعليم عن بعد تفعيلا لمخطط المغرب الرقمي الذي حضي برعاية ملكية على مستوى الأجراء والتنزيل، وقد حاولت المدخلات في هذا المدار أن تقف عند تجربة المدرسة المغربية والمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين والجامعة، إبان إقرار التعليم عن بعد، فرصدوا مختلف نقاط القوة ومكامن الخلل، مقترحين مجموعة من التوجيهات التي وجب أخذها بعين الاعتبار، بغية تجويد التعليم عن بعد وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في ميدان التربية والتعليم بين كل أبناء المغرب.

رئيس التحرير: د. الطاهر قدوري.

المدار الأول:

التعليم عن بعد: الواقع والآفاق

التعليم عن بعد في ظل جائحة كوفيد 19:

السياق والآفاق

د. محمد دخيسي أبو أسامة

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق

تقديم

لا بد أن نقف قليلا أمام ذواتنا لنعبر بصوت واحد: "إننا نغرد خارج السرب"؛ فما معنى أن نستمر في تعليم تقليدي نمطي؟ في الوقت الذي يعيش المتعلم- الذي يستفيد من التكنولوجيا- واقعا افتراضيا، ينهل منه المعرفة، ويقوم ذاته، ويراهن على المستقبل؟! وفي الحين ذاته، يرى المتعلم-الآخر- لا جدوى ما يقدم أمامه؟

ومما زاد من توسيع الهوة، الواقع الاستثنائي الذي فرض نفسه بقوة؛ فبعد انتشار جائحة "كورونا" بالمغرب ابتداء من شهر مارس 2020، بدأ التفكير في الحلول التي يمكنها الإسهام في مواصلة سير الحياة دون متاعب، كما جعلت العديد من الإدارات في موقف البحث عن طرق جديدة للعمل؛ تسهم في تقديم خدماتها، والحفاظ على صحة المواطن وسلامته.

ولا يمكن استثناء واقع التعليم من هذه الحالة، لذلك حاولت اللجن المكلفة بتدبير سير السنة الدراسية 2019-2020 تكثيف جهودها والخروج ببلاغات دورية ومتواصلة في محاولة تتبع المستجدات الصحية، وربطها بالقرارات المناسبة لتجنب كل ما من شأنه المس بحقوق التلميذ ومكتسباته.

وسنحاول في هذه الدراسة تتبع الخط الكرونولوجي لبلاغات وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، ومقاربة ردود الفعل المصاحبة لتفعيلها وأجرائها، إلى جانب توقع الآفاق المستقبلية، في ظل استمرار الوضع الصحي المقلق.

لذلك ستكون خطواتنا حاملة بصمة التدرج من الواقع المفروض (البلاغات)، إلى الواقع المفترض (التفعيل والأجراً)، وصولاً إلى الفرضيات والتطورات المستقبلية (المقترحات).

1- الواقع المفروض: من المستجدات الصحية إلى البلاغات الفورية

اقتربت الحالة الوبائية من التفشي، وأجمعت المعطيات التي تبثها الجهات المسؤولة في وزارة الصحة بالمغرب، على تنقل التهديد الوبائي إلى المجتمع. فكانت بداية شهر مارس إنذاراً باقتراب الخطر؛ مما دفع وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي إلى مواكبة الحدث وإصدار بلاغات فورية، حاولت من خلالها السيطرة على الوضع، والحد من استفحاله وسط الأقسام والإدارات.

البلاغ الأول:

لم يكن أمام المسؤولين في وزارة التربية الوطنية حلٌّ سوى الرضوخ لتوقيف الدراسة بكل المؤسسات التعليمية ابتداء من 16 مارس. وقبل إيراد البلاغات، نشير إلى:

• المذكرة الوزارية تحت رقم 014x20 بتاريخ 6 مارس 2020، في موضوع:

"التدابير الاحترازية والوقائية من فيروس كورونا المستجد (Covid 19)"، حيث لم تشر إلى التغيير في نمط التعليم، لكنها سلطت الاهتمام على سبل الوقاية وتعميم حملة التحسيس بخطر الوباء؛

• البلاغ الصحفي الصادر عن وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، بتاريخ الأحد 15 مارس 2020، ركز على: "توقيف الدراسة بجميع الأقسام والفصول انطلاقاً من يوم الاثنين 16 مارس 2020 حتى إشعار آخر، بما في ذلك رياض الأطفال وجميع المؤسسات التعليمية ومؤسسات التكوين المهني والمؤسسات الجامعية التابعة لوزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، سواء منها العمومية أو الخصوصية، وكذا مؤسسات تكوين الأطر غير التابعة للجامعة والمدارس ومراكز اللغات التابعة للبعثات الأجنبية وكذا مراكز اللغات ومراكز الدعم التربوي الخصوصية.

وإذ لا يتعلق الأمر بتاتا بإقرار عطلة مدرسية استثنائية، فإن الدروس الحضورية ستعوض بدروس عن بعد، تسمح للتلاميذ والطلبة والمتدربين بالمكوث في منازلهم ومتابعة دراستهم عن بعد.

هذا أول بلاغ يتضمن التصريح بـ"اختيار التعليم عن بعد. ونرجع هنا إلى الميثاق الوطني للتربية والتكوين، حيث تشير بعض دعاماته الأساسية إلى مجموعة من المرتكزات الثابتة لنظام التربية والتكوين والغايات الكبرى المتوخاة، إذ تركز الدعامة العاشرة، من خلال النقطة 119، على أهمية التعليم عن بعد. ومما جاء فيها: "سعيًا لتحقيق التوظيف الأمثل للموارد التربوية ولجلب أكبر فائدة ممكنة من

التكنولوجيا الحديثة، يتم الاعتماد على التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال وخاصة في مجال التكوين المستمر... ونظرا للأبعاد المستقبلية لهذه التكنولوجيات سيستمر استثمارها في المجالات الآتية، على سبيل المثال لا الحصر:

✓ معالجة بعض حالات صعوبة التمدرس والتكوين المستمر بالنظر لبعد المستهدفين وعزلتهم؛

✓ الاستعانة بالتعليم عن بعد في مستوى الإعدادي والثانوي في المناطق المعزولة؛

✓ السعي إلى تحقيق تكافؤ الفرص، بالاستفادة من مصادر المعلومات، وبنوك المعطيات، وشبكات التواصل مما يسهم، بأقل تكلفة، في حل مشكلة الندرة والتوزيع غير المتساوي للخزانات والوثائق المرجعية.

ومن هذا المنظر، ستعمل السلطات المكلفة بالتربية والتكوين، في إطار الشراكة مع الفعاليات ذات الخبرة، على التصور والإرساء السريعين لبرامج التكوين عن بعد، وكذا على تجهيز المدارس بالتكنولوجيات الجديدة للإعلام والتواصل.¹

وقد كانت الدعوة، في البلاغ الوزاري، صريحة لانخراط كل الأطر الإدارية والتربوية وأطر المراقبة والتفتيش في تنزيل ما ورد في البلاغ، على أرض الواقع، لإنجاح العملية في ظرفها الاستثنائي.

¹ - الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، طبعة: 1999، ص. 40.

• البلاغ الإخباري رقم 4، الذي رسخ أكثر الاختيار التربوي الجديد، وقننه بتوظيف الأسس المعلوماتية الممكنة، وتيسير عملية الولوج إلى بعض المنصات الرقمية. لذا، تم اللجوء إلى صيغتين اثنتين، تركز الأولى على الجانب الرقمي بمهنية، قد تساعد البعض على توظيفها، فيما تجعل الأغلبية في منأى عن ذلك.¹ أما الصيغة الثانية، فقد تكون متاحة للجميع، إذ تجعل من الوسيلة السمعية البصرية (التلفزة) قناة أساسية لتقديم هذه الدروس.

وقد جاء البلاغ مفصلاً في الوسيلة، وطريقة الولوج إليها والاستفادة منها:

1. عبر البوابة الإلكترونية (TelmidTice)

- يتم الولوج إلى هذه البوابة عبر الرابط، دون استخدام أي قن سري، انطلاقاً من الساعة 10 صباحاً: (<http://telmidTICE.men.gov.ma>).

- تقدم هذه البوابة الإلكترونية دروساً مصنفة، حسب الأسلاك والمستويات التعليمية، وكذا المواد الدراسية.

- في مرحلة أولى؛ سيتم نشر الموارد الرقمية المتوفرة حالياً، على أن تستمر عملية تطعيم هذه البوابة بصفة منتظمة بدروس جديدة، وذلك وفق برمجة زمنية، تراعي التدرج البيداغوجي المعتمد في الدروس الحضورية.

2. عبر القناة الثقافية

- سيتم بث وصلة إخبارية صباح يوم الاثنين، ابتداء من الساعة الثامنة

¹ - سيأتي التفصيل في هذه القضية لاحقاً.

والنصف صباحا على هذه القناة، يتم من خلالها الإعلان عن شبكة برمجة الدروس المصورة، على أن يتم بث أول حصة لهذه الدروس، ابتداء من الساعة 11 عشر صباحا.

- يمكن متابعة الدروس المصورة عبر القناة الثقافية، من خلال الشبكة الأرضية والقمر الصناعي نايل سات، وكذا عبر تطبيق (SNRTLIVE)."

جاء البلاغ مركزا على الوسيلة والدافع، إلى جانب التركيز على دور الآباء في إنجاح هذه المهمة، مما أثار بعض ردود فعل عكسية، لا تخدم السير العادي للتعليم عن بعد في شكله الاختياري، لذلك وضعت الوزارة رقما أخضر، وحسابا بريديا إلكترونيا لتلقي الاستفسارات والبحث عن حلول ناجحة.

وفي إطار توسيع دائرة الاهتمام، والتضييق على مخاطر انتشار الوباء، فقد تزامنت هذه البلاغات مع قرار الحكومة بفرض الحجر الصحي التام، وإعلان حالة الطوارئ الصحية ابتداء من 20 مارس 2020 (لمدة شهر، وقد تم تمديد الفترة عدة مرات).

• البلاغ الإخباري الصادر بتاريخ 2 أبريل 2020، المركز على نقط محورية

هي:

- الإعلان عن الحصيلة الإيجابية للتعليم عن بعد، سواء في المواقع الإلكترونية المخولة لهذا الغرض، أم عبر القنوات التلفزيونية التي خصصت معظم أوقات البث للدروس؛

- إطلاق الخدمة التشاركية (Teams) المدججة في منظومة مسار ابتداء من 23 مارس 2020؛

- بالنسبة لتكوين أساتذة أطر الأكاديميات الجهوية لمهن التربية والتكوين وأطر الإدارة التربوية عن بعد؛ فقد تم تخصيص منصة (e-takwine)؛

- بالنسبة للتكوين المهني، إطلاق بوابة إلكترونية "التعليم عن بعد"، وتوفير إمكانية خلق "أقسام افتراضية" من أجل التواصل المباشر بين المكونين والمدرسين عبر الخدمة التشاركية (Teams)؛

- فتح مجانية الولوج بصفة مؤقتة إلى جميع المواقع والمنصات المتعلقة بالتعليم عن بعد؛

- إطلاق رقم أخضر جديد متعلق باستعمال منصات التعليم عن بعد، بتاريخ 08 أبريل 2020.

لكن ما يطرح هنا من أسئلة تفرض نفسها بقوة، هل ما قدم من حصيللة قد تحقق فعلا في الواقع؟

ما درجة الاستفادة من هذه المنصات والمواقع الإلكترونية؟

هل يثير ما يقدم عبر القنوات التلفزية اهتمام المتعلم فعلاً، ويدفعه للتلقي الإيجابي؟

هل تم فتح مجانية بعض المواقع والمنصات فعلاً؟

• وحتى تستكمل وزارة التربية الوطنية مهامها، وتقدم خدماتها لكل الشرائح

التربوية في مختلف الأسلاك، وجميع المواد الدراسية، فتحت المجال، فيما يخص التعليم عن بعد، للمواد والفئات العمرية التي لم تدرج سابقاً، فركزت في المراحل اللاحقة على:

- إدراج حصص مادة التربية البدنية والرياضية ضمن دروس التعليم عن بعد، ابتداء من 15 أبريل 2020؛

- بث حصص مصورة تهم التعليم الأولي، ابتداء من 20 أبريل 2020.

لذلك، يمكن القول إن هذه التدابير جعلت محوراً للمتعلم، الذي لم يعد قادراً على الالتحاق بالصف المدرسي بسبب الجائحة، وأصبحت الظروف تفرض عليه البقاء في البيت وتلقي "التعليم عن بعد"، أو التعلم عبر منصات إلكترونية، أو قنوات تلفزيونية. لكن، تم الاستغناء عن هذه الدروس، في مرحلة التقويم، كأن مفعولها غير ذي جدوى، أو كأن ما قُدم لم يرق للمستوى المطلوب. وفي حقيقة الأمر، ما خصص وبرمج وحقق في مرحلة التعليم عن بعد، من 16 مارس 2020 إلى نهاية السنة الدراسية، لم يشمل إلا فئة قليلة من المتعلمين، وأغلبهم في التعليم الخاص، أما التعليم العمومي في الوسطين الحضري والقروي، وفي التعليم الابتدائي خاصة، لم يتمكن بنسبة كبيرة من تحقيق فعل التواصل، ولم يتمكن من الاستفادة من الإمكانيات الموفرة والمقدمة.

لن ندخل كثيراً في تفاصيل بعض المحطات المنظمة لنهاية السنة الدراسية 2019-2020، لأنها جاءت وفقاً للنموذج المسطر استثنائياً خلال هذه الفترة الصحية العصبية. كما أن الموسم الدراسي الموالي لم يختلف كثيراً عن سابقه، لأنه تنمة

للإجراءات الاحترازية السابقة، مع خلق الفارق في درجة حالة الطوارئ؛ إذ تم اللجوء إلى صيغ مختلفة، شارك فيها مسؤولون حكوميون، وخبراء تربويون، وأعطيت الفرصة لأولياء الأمور لاختيار الصيغة الملائمة. ولعل هذا ما يمكن أن نقدمه في محور مستقل، يخص الحديث عن الواقع المفترض، أي الحالة التي فرضت نفسها بقوة، بالرغم من كل الاحترازاات ووسائل الوقائية، وأشكال الحجر الصحي الجزئي والشامل، وحالة الطوارئ الصحية العامة والجزئية وغيرها من التدابير.

2- الواقع المفترض: التفعيل والأجراة في ظل تفاقم الوضع

كانت نهاية الموسم الدراسي فرصة للمراجعة البيداغوجية والتنظيمية؛ حيث كشفت الجهات المسؤولة في وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، عن المقترحات الجديدة التي تخص السنة الدراسية 2020-2021، فحاولت أن تكون في مستوى التطلعات أولاً، وأن تقوم بمحاولة تجاوز العقبات التي أحبطت بعض المكتسبات والتجارب السابقة ثانياً.

وقبل الخوض في تحليل هذه المعطيات، وإبداء الرأي فيها، بصفتها حالة راهنة تستوجب الدقة في التعامل، والتركيز على الدقائق التي تم تحقيقها، والتفاصيل التي بدت غير ملائمة، لا بد من إيراد السياق التاريخي، على غرار المحور السابق:

• صدرت أولى المذكرات الوزارية المنظمة للموسم الدراسي 2020-2021 بتاريخ 28 غشت 2020 تحت رقم: 039x20، حيث أكدت على نقط أساسية، نذكر منها:

- ضمان تأطير سليم وفعال لتدبير الموسم الدراسي 2020-2021؛

- احترام البروتوكول الصحي؛

- اعتماد التعليم الحضوري أساساً، والتعليم عن بعد استثناءً؛

- تنوع الأنماط التربوية بما يناسب الوضعيات الوبائية لمختلف المناطق

ببلادنا؛

- تحويل السلطات الجهوية والمحلية اختيار التدابير والإجراءات اللازمة،

سواء في بداية الموسم، أو أثناء ظهور حالات إيجابية مصابة بفيروس كوفيد 19 في

صفوف التلاميذ، أو الأطر الإدارية أو التربوية...؛

- الأنماط التربوية المعتمدة:

○ العودة إلى التعليم الحضوري، في حالة تحسن الحالة الوبائية؛

○ تطبيق التباعد الجسدي بالفصول الدراسية، واعتماد التعليم بالتناوب الذي

يزاوج بين التعليم الحضوري والتعلم الذاتي، في حالة وضعية وبائية؛

○ اللجوء إلى التعليم عن بعد، في حالة استفحال الحالة الوبائية.

- استمرار البث التلفزيوني للدروس وتوفير الموارد الرقمية.

نستخلص مما سبق، أن المذكرة الوزارية راهنت على أمرين اثنين:

أولهما: صحي وقائي: إذ اختزلت الحالة الوبائية في ثلاث درجات، تتدرج فيها

خطورة الوضعية. وقد انتبه المسؤولون إلى أمر ذي أهمية بالغة؛ وهو ما يمكن أن

نطلق عليه "الذكاء الاحترازي"، الذي يعطي الأولوية لكل جهة لاتخاذ القرار

الصائب، وتقدم الأنماط الممكن تطبيقها في كل حالة وبائية. وهنا لا بد من العودة إلى مقترحات بعض المختصين في مجال التربية. فمحمد الدريج في مؤلفه "هندسة التكوين الأساسي للمدرسين وتمهين التعليم"¹، عرف النموذج التناوبي المندمج بكونه: "يقوم على أساس بسيط وهو المزج والدمج بين التعليم الافتراضي عن بعد والتعليم التقليدي الحضوري، بشكل تناوبي (50 في المائة) وعبر صيغتين (وربما أكثر) وحسب إمكانيات كل مؤسسة من حيث البنيات وقدرتها الاستيعابية والتجهيزات والتنظيمات وخصوصية المنطقة التي تتواجد بها."²

ويمكن تلخيص الصيغتين، حسب ما جاء في كتابه في:

- تقنية "الفصل المعكوس"، الذي يفترض المزاوجة بين التعليم الحضوري والتعلم الذاتي، حيث يدرس فوج بالمدرسة أو مركز التكوين حضوريا خلال نصف اليوم، وافتراضيا خلال النصف الثاني من اليوم، أما الفوج الثاني فبالعكس؛
- إذا حضر فوج للمدرسة أو مركز التكوين، يبقى الفوج الثاني في المنزل أو في المكتبة تفاديا للاكتظاظ داخل الفصل الدراسي، ويكون تحصيلهم افتراضيا عن بعد:

¹ - محمد الدريج: هندسة التكوين الأساسي للمدرسين وتمهين التعليم، منشورات مجلة كراسات تربوية، ج. 1، ط. 1، يوليو 2020.

² - ملخص مداخلة د. محمد الدريج، في موضوع: "أفق بناء النموذج التناوبي المندمج: أسس ومكونات الدمج الافتراضي والحضوري في الفصول الدراسية، ندوة الإيسيسكو التفاعلية عن بعد (10 ماي 2020)، توظيف التكنولوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي للارتقاء بجودة التعليم (يرجع للمقال كاملا في كثير من المواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي ك:

"ومن هنا أهمية استغلال الفصول بشكل مضاعف فنقضي على الاكتظاظ في الحواضر والأقسام المشتركة في البوادي.."¹

من خلال هذه التغطية التي قدمها محمد الدريج، يُفترض أن تستثمر القاعات المدرسية وفق الحاجيات، مع تمكين الأستاذ من تقديم الدروس والحصص مضاعفة، حيث توضع رهن إشارة الفوج الأول في فترة أولى، والفوج الثاني خلال فترة ثانية. وهنا لا بد من الإشارة إلى بعض الإكراهات التي ألزمت الأطر الإدارية بتشاور مع هيئة التفتيش والمصالح الإقليمية والجهوية المختصة، باقتراح صيغ تناسب الوضعيات الراهنة، التي تختلف من وسط إلى آخر. من ذلك مثلاً:

- **التناوب اليومي:** حيث يقسم القسم الدراسي في الابتدائي إلى فوجين خاصة، فيدرس الفوج الأول حضورياً يوماً في حصة مسترسلة صباحية أو زوالية، أما اليوم الموالي فيخصص للتعلم الذاتي. ثم يقوم المدرس بتدريس الفوج الثاني في اليوم الموالي؛

- **اللجوء إلى تفويج المؤسسة** إلى فوجين، ويتم التناوب على الحصص أسبوعياً، ومن ثمة يتلقى المتعلم نصف الحصص خلال الأسبوع الأول، والنصف الثاني خلال الأسبوع الموالي تناوباً مع الفوج الثاني؛

- **التناوب الأسبوعي،** وقد هم هذا الاختيار المؤسسات التي تتوفر على النظام الداخلي، حيث يحضر فوج ليتلقى دروسه خلال أسبوع كامل وبحصص

¹ - محمد الدريج: هندسة التكوين الأساسي للمدرسين وتمهين التعليم، ص. 45-46.

وافية، ويخصص الأسبوع الموالي للتعلم الذاتي، والعكس صحيح بالنسبة للفوج الثاني...

وهناك خيارات متعددة، يتفق أغلبها على تقسيم تلاميذ المؤسسة إلى فوجين، حفاظا على البروتوكول الصحي، وتفاديا للاكتظاظ. وتبقى الإشارة إلى أن هناك استثناءات، سواء في التعليم الخصوصي، أو في الأقسام التي تعرف متوسطا لعدد التلاميذ داخل القسم الواحد لا يستوجب التفويج، كأقسام العالم القروي، وأقسام المجال الحضري في بعض المسالك والشعب (شعبة العلوم الرياضية مثلا في بعض المؤسسات).

والملاحظ أنه خلال هذه التغطية، حضرت بعض المفاهيم التي تحتاج لتوضيح، منها:

- **التعلم الذاتي والتعليم الحضوري:** وقد جاءا متلازمين في المذكرة المنظمة للدخول المدرسي 2020-2021، حيث تم التركيز في المرفق الأول (الإطار الوطني المرجعي للنمط القائم على التناوب، بين التعليم الحضوري والتعلم الذاتي) على تقسيم الأفواج بشكل متساو: "أفواج تستفيد من الدروس الحضورية، وفي نفس الوقت أفواج أخرى تستفيد من دروس التعلم الذاتي بشكل متناوب... فتخصص الحصص الحضورية أولا للأنشطة التعليمية البنائية للتعلمات، وثانيا لإعطاء إرشادات حول كيفية التعامل مع بقية الأنشطة الواردة في الكتب المدرسية أو في موارد تعليمية أخرى ورقية أو رقمية، وثالثا في تتبع إنجازات التلاميذ في حصص

التعلم الذاتي وأنشطة التعلم الذاتي.¹ ويمكن أن نطلق على "التعلم الذاتي" التعلم عن بعد، لأن المتعلم يستغل طاقته الشخصية للتعلم، بناء على التعليمات التي يكتسبها خلال فترة التعليم/ التعلم الحضوري، ومن خلال الأنشطة المقترحة التي يوظفها الأستاذ تكملة لحصصه أمام متعلميه؛ فتكون أنشطة منزلية تقوم العمل داخل القسم، وتجعل المتعلم دائم العمل والاستعداد.

- التناوب: وهي صيغ مقترحة للتدريس بالتناوب بين أفواج مختلفة.²

- التعليم عن بعد: بناء على المقترحات التي قدمها مجموعة من الأطر التربوية والإدارية وغيرها؛ ركزت الدروس المقدمة خلال بداية السنة الدراسية 2020-2021 على تقسيم المواد على مجموعة من الأكاديميات الجهوية، وإنتاج دروس تتجاوز نوعاً ما الإكراهات السابقة، والسقطات التي قللت من قيمتها التربوية والتواصلية. فلجأت الجهات المختصة إلى التحضير المسبق للدروس، وبرمجتها، وتصويرها فتقويمها والقيام بمرحلة المونتاج، والمرور عبر محطة المصادقة والتحميل؛ كل هذه المراحل لتقديم منتج يرقى إلى مستوى تطلعات المتعلمين والمتعلمين. كما أشار الإطار المرجعي إلى المهام الموكلة إلى كل من الأستاذ والمتعلم

¹ - وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي: تنظيم السنة الدراسية 2020-2021 في ظل جائحة كوفيد 19، المرفق 1 الإطار الوطني المرجعي للنمط التربوي القائم على التناوب بين التعليم الحضوري والتعلم الذاتي، ص. 5-6.

² - المرجع السابق، ص. 7-11.

والإدارة والأسرة.¹

- البرتوكول الصحي: ويتضمن التدابير الوقائية المتخذة ضد تفشي فيروس كوفيد 19 (كورونا المستجد)، ويهم التنظيم الدراسي قبل وأثناء التحاق المتعلمين بالمؤسسات، والتدابير الوقائية الشخصية المتمثلة في التباعد الجسدي والتنظيف ووضع الكمامات.²

انطلاقاً من هذا السياق التربوي والصحي، نستنتج ما يأتي:

أولاً: إن ما قدمناه من حصيلة للبلاغات الصادرة عن وزارة التربية الوطنية (باعتبارها عينة فقط)، تقدم الصورة الكرونولوجية لواقع التعليم بالمغرب في ظل جائحة كوفيد 19، وتنفيذا لمقتضيات الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي أكد منذ عقود على وجوب تفعيل التعليم عن بعد. لكن -مع الأسف- لم نسجل أي التفاتة سابقة لهذا النظام التعليمي الرقمي، إلا ما كان يقدم في إطار التلفزة المدرسية، أو المدرسة التفاعلية التي دأبت التلفزة المغربية على تقديمها منذ سنوات، وتبقى دون التوقعات، إذ لا تلبى الدروس الجانب التواصلي، فيقتصر دورها على التلقين المصور، في غياب التلقي الضروري والفعال.

ثانياً: إن الراهنية استدعت اللجوء إلى التعليم عن بعد، في غياب رؤية متبصرة، وتفكير عميق لإنجاح العملية. فلو فُعل التعليم الرقمي منذ التأشير عليه في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، أو من خلال القانون الإطار لتمكنت الحكومة

¹- المرجع السابق، المرفق 2، الإطار الوطني المرجعي للنمط التربوي القائم على "التعليم عن بعد".

²- المرجع السابق، المرفق 3، البروتوكول الصحي للمؤسسات التعليمية.

من اتخاذ: "جميع التدابير اللازمة والمناسبة لتمكين مؤسسات التربية والتعليم والتكوين والبحث العلمي في القطاعين العام والخاص، من تطوير موارد ووسائط التدريس والتعلم والبحث في منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، ولا سيما من خلال الآليات التالية:

- تعزيز إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في النهوض بجودة التعليمات وتحسين مردوديتها؛

- إحداث مختبرات للابتكار وإنتاج الموارد الرقمية، وتكوين مختصين في هذا المجال؛

- تنمية وتطوير التعلم عن بعد، باعتباره مكملًا للتعلم الحضوري؛

- تنويع أساليب التكوين والدعم الموازية للتربية المدرسية والمساعدة لها؛

- إدماج التعليم الإلكتروني تدريجياً في أفق تعميمه.¹

تتضح الرؤية أكثر، من خلال هذه المادة، ويتبين أن التفكير في صيغة "التعليم أو التعلم عن بعد" سبق الجائحة بمدة، غير أن الأجرأة والتنزيل طالها التماطل ولا مبالاة المختصين في هذا المجال. كما تنص المادة 33 و48 على أهمية التعليم عن بعد باعتباره تعليماً مكملًا، ومن أسسه رهان الجودة الذي نص عليه الميثاق الوطني للتربية والتكوين في دعامة العاشرة.

¹ مشروع قانون- إطار رقم 17-51، المتعلق بمنظومة التربية والتعليم والتكوين والبحث العلمي، المادة 33.

كما أن هذه النصوص النظرية والتشريعية، تبرز أهمية التفاعل الفعال، والتواصل القائم على العلاقات الإنسانية المفعمة بالحياة، لأنه في غياب المعطى المادي المتمثل في الحضور داخل الفصل الدراسي، وتقديم الدرس باعتماد التفاعل؛ تتسم العلاقة بين المدرس والمتعلم (ة) بنوع من البعد خلال التعليم عن بعد، وتتسع الهوة بينهما، إلى درجة الغياب عن الدرس، واللجوء إلى حيل تمويهية تثبت الحضور.

ثالثا: غياب التفكير المسبق في الأهداف المرجوة من التنزيل المفاجئ للتعليم عن بعد، والدليل على ذلك: تغييب الدروس المقدمة خلال هذه الفترة من التقويم، لذلك جاءت المذكرة الوزارية المؤطرة للامتحانات الإشهادية للموسم الدراسي 2019-2020 مركزة على احتساب الدروس الحضورية فقط.

رابعا: عدم تكافؤ الفرص بين التلاميذ للاستفادة من "التعليم أو التعلم عن بعد، بسبب الفوارق الاجتماعية، وعدم امتلاك الوسائط الإلكترونية، أو عدم التوفر على الصبيب الكافي للأنترنيت.

انطلاقا من هذه المعطيات، إذأ، نصل إلى القول إن "التعليم عن بعد" في محورنا هذا لأمس الجانب المفترض، فاتضح باللموس أن تغييب الرؤية القبلية، وعدم توفير التجهيزات اللازمة، وغياب الدافع والمحفز المعنوي لتوظيف كل الإمكانيات المادية والمعنوية، إلى جانب اعتبار التعليم عن بعد تعويضا كليا عن التعليم الحضورى بسبب الظروف الوبائية العالية، وفي غياب الرؤية البيداغوجية المؤطرة للبرامج المقدمة رقميا، وغياب التقويم والتقييم الموضوعيين للمرحلة؛ كل هذه الأسباب كانت حاجزا أمام التنزيل الناجح والناجع للتعليم عن بعد خلال الفترة

المتسمة بظهور الوباء العالمي كوفيد 19.

3- الفرضيات والتوقعات المستقبلية في ظل استمرار الجائحة:

أظهرت الملاحظات السابقة الهوة الفاصلة بين الجانب النظيري (البلاغات والمذكرات) والواقع الحقيقي، لذلك كان اختيار "التعليم عن بعد" لحظة مفروضة دون سابق تحضير أو تكوين أو استباق لإنجاح العملية. بالرغم من ذلك، حاولت الأطر التربوية والإدارية تبسيط العملية، في محاولة للحفاظ على أدنى شروط النجاح. فكانت المحاولات ذات بعد فردي في الغالب، واتسمت بالتجريب، من خلال توظيف الإمكانيات الشخصية سواء لدى الأستاذ أو المتعلم.

وقبل تقديم التوقعات المستقبلية، وبعض الاقتراحات العملية، لا بد من تسجيل بعض الملاحظات حول تفعيل "التعليم عن بعد" في المغرب خلال نهاية الموسم الدراسي 2019-2020:

أولاً: إن الولوج إلى منصات التعليم عن بعد كان على وجه الاضطرار، وليس اختياراً كما تشير إلى ذلك مواد الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛

ثانياً: إن ما قدمه الأساتذة في إطار التعليم عن بعد، كان في أغلبه نوعاً من التواصل مع التلاميذ والطلبة والمتدربين؛ في غياب رؤية قبلية وتسطير أهداف إجرائية مسبقة؛

ثالثاً: عدم استفادة كل المستهدفين من هذه العملية بسبب ضعف البنية التحتية الخاصة بوسائل الاتصال والتواصل؛

رابعاً: انعدام الحافز الفكري والمعنوي لدى التلاميذ والطلبة، وبخاصة بعد أن تأكد عدم احتساب المرحلة، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن موقف الجهة الوصية بتخصيص الامتحانات للدروس الحضورية كان موضوعياً؛ في غياب الدور الفعال للتعليم عن بعد في المستويات الإسهادية خاصة، وفي غياب النتائج المرجوة والتحصيل الدراسي العام والشامل، مع انعدام رؤية شمولية للموضوع، وتغييب جانب التكوين القبلي وتوفير الظروف الملائمة لتسييره؛

خامساً: الاعتماد في الغالب على الوات ساب أو الفيسبوك وهي وسائل تواصل اجتماعي، لا يمكنها أن تقدم النتيجة المرجوة، عكس بعض المنصات ذات البعد التعليمي، والتي تم تغييبها بسبب الظروف غير المناسبة للمتعلم أو المتدرب؛

سادساً: عدم القدرة على التوظيف الأمثل للتكنولوجيا في التعليم أو التكوين عن بعد؛ لذلك، بقيت العملية، ربما، منحصرة في تقديم دروس من المفروض أن تكون حضورية، فحولت إلى دروس عن بعد؛

سابعاً: إذا أردنا أن نخصص حيزاً للجانب الإيجابي في هذه العملية، فإننا سنركز على أساسين اثنين:

1- توسيع دائرة الزمن؛ ذلك أنه أصبح من حق الأستاذ بموازاة مع التلميذ أو الطالب اختيار الوقت المناسب لهما لتفعيل منصة الدرس، وهنا يمكن الإشارة إلى أن هذه الفسحة الزمنية قد تحبب نوعاً من الفوضى، لكن يبقى للأستاذ التفويض الكلي للتسيير والتحكم في قسمه الافتراضي؛

2- رد فعل بعض الأسر، في المستويات التعليمية الدنيا خاصة؛ حيث أصبح لبعض الأفراد داخل الأسرة دور سواء أكان إيجابيا أم سلبيا من خلال المشاركة في الدروس، أو التعليق على سير الدرس ومهنية الأستاذ، لذلك تصبح عملية التقويم صعبة وغير محددة المعالم.

في إطار التشديد على دور الأستاذ خلال سير الدرس، أو أثناء التحضير له؛ نلاحظ أن دوره أصبح يشغل وقته كاملا، ولم يعد منحصرا في حصة دراسية حضورية كما كان الشأن سابقا، بل أصبح التواصل يوميا وفوريا وفي بعض الأحيان تواصلًا لا هدف له؛ كأن يتصل المتدرب بالأستاذ المكون للسؤال عن فقرة من الدرس لم يفهمها، أو عن فحوى تحضير معين؛ فيفرض على الأستاذ الحضور دوماً أمام الحاسوب أو الهاتف للرد على الأسئلة والاستفسارات؛ وإذا عمقنا النظر في هذه النقطة، فسنكوّن فكرة حول أهمية التواصل الإيجابي بين الطرفين، مما سهل وصول الفكرة، ووفر هامش الاتفاق المسبق والتخطيط لكل عمل بناء على الحوار والتشاور الذي لم يكن له وجود حضوريا.

في ظل هذه الإكراهات، نصل إلى البحث عن الفرضيات، أو الاقتراحات التي بإمكانها الإسهام ولو جزئيا في تخطي الصعاب. فلا شك أن اللجوء إلى التعليم التناوبي المندمج حل أول لتجاوز الاعتماد الكلي على التعليم عن بعد، فجاء جامعاً بين التعليم الحضورى والتعلم الذاتى.

وهذه العملية ضرورة أولى، تجنبنا الوقوع في الأسوأ. كما أن الواقع الراهن بما يحمله من تطورات تكنولوجية رقمية، وانخراط المتعلمين (التلاميذ، والطلبة،

والمدرسين) في العالم الافتراضي، وامتلاكهم التقنيات الحديثة، تفرض علينا "الانتقال إلى استثمار التقنيات الجديدة في التواصل... فقد تساوى "التعليم الخاص" و"التعليم العمومي"، وصار بالإمكان الحديث "عن التعليم حضورياً رَجَمَهَا اللهُ، و"التعليم عن بعد"، سواء كان في هذا النظام أو ذلك. فما كان بالإمكان تعلمه في قاعة الدرس "المغلقة" صار ممكناً ومفتوحاً في أي فضاء خارجها. كما أن ثنائية "الدعم المدرسي" و"الساعات الإضافية" لدى من عندهم الإمكانيات، من عدمها لدى أبناء الفقراء، باتت عرضة للزوال بعد انتشار الهواتف الذكية، نسيباً لدى الجميع.¹

يمكن القول إن التعليم عن بعد، لم يقدم الصورة المثلى عن "تكافؤ الفرص" بين الغني والفقير، بين الوسط الحضري والوسط القروي. لأن الاستفادة من الثورة الرقمية تتطلب التوفر على الإمكانيات المادية لمواكبة التطور، وحياسة الوسائل التكنولوجية المساهمة في توصيل الموارد الرقمية.

كما أن الشبكات الوطنية للاتصال لم تسهم بشكل جدي وفعال في تقديم المساعدة الاجتماعية للفئات الهشة، فمن غير المعقول أن يتواصل الإهمال في تقوية الصبيب، في ظل الإقبال الواسع على الأنترنت خلال فترة الجائحة خصوصاً.

والإشارة إلى عدم تكافؤ الفرص لا تستثني الدول المتقدمة؛ إذ نجد كاتباً غربياً يشير إلى هذا الأمر، ويجعله استنتاجاً نهائياً في كتابه. يقول ريمي ريفيل (Remy Rieffel) وهو فرنسي الجنسية، وعالم اجتماع مهتم بالجانب الإعلامي والتواصل:

¹ سعيد يقطين: كورونا، التعليم الرقمي، صفحته بموقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك، بتاريخ: 1 يوليو 2020، الساعة 14.31)

"من المؤكد أنها [التكنولوجيا الرقمية] لم تضع حدا لعدم المساواة فيما يتعلق بالاستعمال، ولم تخفف سوء التفاهم بين البشر، ولم تقلص بتاتا النزاعات. لكنها وسعت بشكل ملموس إطارنا الزمكاني، ووفرت لنا ولوجا غير محدود إلى المعارف، ورفعت من قدرتنا على التبادل والمشاركة؛ فهي تحاول إذن- بشكل ما- تغيير تصورنا للعالم. وبعيدا عن كل القيود، فإن عالم التكنولوجيا الرقمية يشكل وسيلة للتححر والهيمنة في الوقت نفسه، وفي كل الأحوال فإنه لا يزال في الوقت الراهن وعدا وتحديا.¹"

يضعنا هذا النص أمام فوهة بركان، كما يقال؛ فالتعليم أو التعلم عن بعد، أو التعلم الذاتي، أو اختيار الصيغة التربوية المناسبة للوضعية البوائية؛ كلها إفرازات وجودية أولا، لأنها نتيجة حتمية للواقع الذي نعيشه:

الواقع الصحي؛

الواقع التكنولوجي الرقمي المتطور.

وهو ما يستوجب الانخراط الكلي في هذه المنظومة، وتفعيل الدعامات الأساسية التي ركزت عليها الأطر المرجعية بمختلف مشاربها ومواضيعها. وهنا لا بد من تقديم بعض المقترحات، التي نأمل أن تكون بوابة لبحوث أكثر تخصصا، وأكثر توسعا في مضامينها وإجراءاتها:

¹ - ريمي ريفيل: الثورة الرقمية، ثورة ثقافية، تر. سعيد بلمبخوت، مر. الزواوي بغورة، سلسلة عالم المعرفة، العدد. 462، شوال 1439، يوليو 2018، ص. 180.

أولاً: الجانب المعرفي التكويني

إذ يفرض الواقع المعيش الاستفادة من كل العلوم والتجارب التي تؤطر المهنة، وتوفر الدعامات الأساسية لممارسة مواكبة للتطورات. وهذا الأمر يوجب التفكير في تكوين كل الأطر التربوية والإدارية في مجال التكنولوجيا والرقميات. ونشير هنا إلى أن التعليم عن بعد يتطلب الإلمام ببعض تقنيات تسجيل الدروس، وتشغيل المنصات الرقمية، والاندماج في العالم الرقمي، على الأقل لتقديم الدروس وفق نمط رقمي متطور؛

ثانياً: البنية التحتية

انطلاقاً من مبدأ التكوين في مجال المعلومات عامة، وجب توفير البنيات التحتية الضرورية سواء داخل المؤسسات التعليمية أو خارجها. ويتطلب الأمر تسهيل الحصول واقتناء الأجهزة الضرورية كالحواسيب والهواتف الذكية واللوحات الرقمية وغيرها؛

ثالثاً: تفعيل الشراكات الخارجية

وهنا نقف عند مساهمة شركات الاتصال، بتخفيض الاشتراكات الشهرية الخاصة بالشبكة العنكبوتية، أو توفيرها مجاناً للتلاميذ والطلبة لولوج المنصات التعليمية، إلى جانب تقوية الصبيب حتى يسهل عملية التواصل السريع، ويجنب الأعطاب والانتقاعات المتكررة؛

رابعاً: بيداغوجياً

التفكير في تجميع البرامج والمقررات المدرسية لتواكب التطور التكنولوجي، وتخفيض المدة الزمنية الدراسية، حتى تمكن المتعلم من استغلال نصف الوقت أو ثلثه في التعلم الذاتي، ليس خلال فترة الجائحة فقط، بل باستمرار العملية في الظروف العادية، ليكون التعليم عن بعد مكملاً للتعليم الحضوري، كما أشارت إلى ذلك دعوات الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛

خامساً: التواصل

لا يمكن بتاتا التغافل عن أهمية التواصل بين المدرسة (الأستاذ والطاقم الإداري) والأسرة (المتعلم والآباء)، لذا تتطلب المرحلة ضخ روح التعاون والتكامل بين الفريقين، وذلك بالتشارك في تسهيل العملية التعليمية بكل أنماطها؛

سادساً: الجانب التحفيزي

تفرض المرحلة إعادة النظر في القوانين المنظمة لإجراء التقويم بكل أشكاله، حتى لا نكرر القرار القاضي بعدم احتساب الدروس المقدمة عن بعد، ومن ثمة وجب التفكير في تنزيل ضوابط للعمل عبر "التعليم عن بعد" أو "التعلم الذاتي"، والتفكير في صيغ لإجراء التقويم كذلك؛

سابعاً: تغيير الطريقة المتبعة في تقديم الدروس عبر القنوات التلفزية، إذ يفترض أن نقدم الدرس عن بعد، فيتم التفكير في سيناريوهات محتملة، تربط الاتصال بين الأستاذ المقدم للدرس، والمتعلمين الحاضرين افتراضياً لاستمرار فعل

التواصل والتفاعل، وتقريب مفهوم "التعليم/ التعلم عن بعد" عبر مشهد نموذجي مباشر.

تركيب

لعل من محاسن جائحة كورونا (كوفيد19) وإيجابياتها، أن فرضت علينا التفكير في تغيير نمط التعليم، من الطريقة الحضورية التي يحضر خلالها الأستاذ والمتعلم في فضاء قسم أو مدرج خلال زمن معين، إلى تعليم افتراضي عن بعد، نتجاوز خلاله البعد المكاني، وتنتفح الرؤية الزمنية، لتتوطد العلاقة الإنسانية بين الأستاذ والمتعلم، ويتواصل الاثنان عبر مراحل مختلفة، وتستمر لأوقات أطول بكثير مما كان يقضيانه داخل فضاء القسم.

ومن الطبيعي أن يتمكن كل من الأستاذ والمتعلم في ظل هذه الظروف الراهنة من امتلاك المفتاح الأساس لتجاوز العقبات، لكن الأکید أيضا أن يتم التفكير في كل الأسس والتقنيات والوسائل الضرورية في مثل هذه المواقف.

لائحة المصادر والمراجع:

أولا: أرشيف وثائق وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي.

- بلاغات الوزارة (موقع وزارة التربية الوطنية).

- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، طبعة 1999.

- مشروع القانون- الإطار رقم 17- 51، المتعلق بمنظومة التربية والتعليم

والتكوين والبحث العلمي.

- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي: تنظيم السنة الدراسية 2020-2021 في ظل جائحة كوفيد 19، المرفق 1 الإطار الوطني المرجعي للنمط التربوي القائم على التناوب بين التعليم الحضوري والتعلم الذاتي.

ثانيا: كتب ودراسات.

- ريمي ريفيل: الثورة الرقمية، ثورة ثقافية، تر. سعيد بلمبخوت، مر. الزواوي بغورة، سلسلة عالم المعرفة، العدد. 462، شوال 1439، يوليو 2018.

- سعيد يقطين: كورونا، التعليم الرقمي، صفحته بموقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك، بتاريخ: 1 يوليوز 2020، الساعة 14.31)

- محمد الدريج:

- هندسة التكوين الأساسي للمدرسين وتمهين التعليم، منشورات مجلة كراسات تربوية، ج. 1، ط. 1، يوليوز 2020.

- ملخص مداخلة محمد الدريج، في موضوع: "أفق بناء النموذج التناوبي المندمج: أسس ومكونات الدمج الافتراضي والحضوري في الفصول الدراسية"، ندوة الإيسيسكو التفاعلية عن بعد (10 ماي 2020)، توظيف تكنولوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي للارتقاء بجودة التعليم، ينظر موقع:

https://www.taalimpress.info/2020/07/blog-post_21.html.

التعليم عن بعد بالمغرب المعاصر، دراسة استقرائية

د. عبد الله منار

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بوجدة

مقدمة:

منذ مستهل الحجر الصحي مع كوفيد 19 أعلنت وزارة التربية الوطنية، والتكوين المهني، والتعليم العالي، والبحث العلمي، في بلاغ لها مساء يوم الجمعة 13 مارس 2020، أنه في إطار التدابير الاحترازية الرامية إلى الحد من العدوى، وانتشار " وباء كورونا " كوفيد 19، قد تقرر توقيف الدراسة بجميع الأقسام، والفصول انطلاقا من يوم الاثنين 16 مارس 2020 بما في ذلك رياض الأطفال، وجميع المؤسسات التعليمية، ومؤسسات التكوين المهني، والمؤسسات الجامعية التابعة لوزارة التربية الوطنية، والتكوين المهني، والتعليم العالي والبحث العلمي سواء منها العمومية أم الخصوصية، وكذا مؤسسات تكوين الأطر غير التابعة للجامعة، والمدارس ومراكز اللغات التابعة للبعثات الأجنبية وكذا مراكز اللغات، ومراكز الدعم الخصوصية، كان التحدي كبيرا على الجميع، وكان من الضروري إيجاد منصات ووسائل مناسبة، تقترح على التعليم عن بعد ربط الاتصال بالتعلمين والمحافظة عليه، والأخذ بعين الاعتبار " الفجوة الرقمية " القائمة بين المتعلمين؛ بسبب الصبيب الرقمي المتفاوت بين جهات وأقاليم المملكة، والتثبت من أن كل واحد من المتعلمين قادر على الوصول إلى محتويات الدروس (حتى ولو كان الأمر لا يتعلق بإرساء تعلمات جديدة) من خلال حواسيب، أو لوحات، أو هواتف ذكية.

وقد اتضح أن عدداً مهماً، في مثل هذه الوضعيات، لا يتوفر على أية معرفة بالتكنولوجيا والربط، سواء بالنسبة للمدرسين أم أولياء أمور المتعلمين، أم تعلق الأمر بطرق الاستخدام لتجنب العزلة، أم الاتصال بالصوت والصورة للولوج إلى غرف "المدرسة الافتراضية" أم من أجل الاستعلام. على الرغم من أن أجهزة التلفزة والإذاعة بقيت مفتوحة أكثر من أي وقت مضى، مما رفع من عدد الساعات التي نقضيها أمام الشاشات ناقش مع أسرنا أو أصدقائنا أو أساتذتنا. كل شيء ارتفع باستثناء قدراتنا الإنسانية والتقنية. صحيح أن التكنولوجيات لن تغير قدراتنا على الانتباه والتذكر، ولكن وجب الحذر من الحمولات المعرفية الزائدة والانتباهية؛ كالموسيقى المصاحبة للحصة، والاحتراس من ذلك لا يتحقق إلا بتحصيل المعرفة الضرورية لمفهوم التعليم عن بعد.

أولاً: مفهوم التعليم عن بعد

نظام تعليمي يقوم على فكرة إيصال المادة التعليمية إلى المتعلم، عبر وسائط وأساليب الاتصالات التقنية المختلفة، إذ يكون المتعلم بعيداً ومنفصلاً عن المعلم، أو القائم بالعملية التعليمية، وإن هذا النوع من التعلم يتم عندما تفصل المسافة الطبيعية ما بين المتعلم والقائم بالعملية التعليمية خلال حدوث عملية التعلم¹.

ويعرّف التعلم عن بعد أيضاً بأنه نظام لتوفير التعلم للمتعلمين، سواء أكان هذا التعلم هو استكمالاً لنظام التعلم داخل القسم الاعتيادي أم للنظام المستقل،

¹ - التعليم عن بعد مفهومه تطوره وفلسفته، شرفي وعمر ونادية أمل، ط 1-2004، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ص 16.

باستخدام أساليب متعددة ومتنوعة¹.

التعليم عن بعد، هو التعليم الذي يتم عبر الانترنت بين المعلم والمتعلمين، عبر مناطق متعددة، ومتنوعة؛ من حيث التجهيز، ودرجة الصبيب الذي يتحكم في ضيق أو اتساع دائرة التفاعل بين أطراف العملية التعليمية، ومن حيث المبدأ يقوم مفهوم التعلم عن بعد على عدم اشتراط الوجود المتزامن للتعلم مع المعلم أو القائم بالعملية التعليمية التعليمية في الموقع نفسه، وبهذا يفقد كل من المعلم أو القائم بالعملية التعليمية التعليمية والمتعلم خبرة التعامل المباشر مع الطرف الآخر، ومن ثم تنشأ الضرورة لأن يكون بينهما وسيط. وللوساطة هذه جوانب تقنية، وبشرية، وتنظيمية، فضلا على أن المتعلم يتمكن من اختيار وقت التعلم بما يتناسب مع ظروفه الخاصة، دون التقييد بجداول منتظمة ومحددة سلفا للالتقاء بالمعلم، باستثناء اشتراطات التقويم².

من خلال هذه التعاريف، نستنتج أن التعليم عن بعد يمكن أن يكون متزامنا، أو غير متزامن فيما يخص الارتباط بين أطرافه الرئيسية؛ المعلم، والمتعلمين، والوسط التعليمي، إذ في الكثير من الوضعيات يكون التعليم عن بعد غير متزامن، وهذا ما يجعله مرنا، وبديلا مثاليا للتعليم الحضوري. كما نستنتج أن التعليم عن بعد عملية

¹ - مشروع الاستراتيجية العربية للتعلم عن بعد، حنان حسين عواد، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ط: 2003/1. ص 12.

² - سلمان خان، التعليم عن بعد، مجلة المكتبة الإلكترونية، العدد الأول دار نشر المعرفة 2018 ص 3 بيروت لبنان.

نشطة، لأنه يتحدى المتعلم لامتلاك وإدارة وجدولة الأنشطة التعليمية التعلمية. وأن التعليم عن بعد يعتبر تحديا لبعض المتعلمين؛ لصعوبة التحكم في الوقت، منذ الوهلة الأولى، عند الاشتغال به، وحافزا للمتعلمين الذين يبدوون الاشتغال عليه لأول مرة، على مواجهة الصعاب التي تعترضهم عند الاشتغال بالتعليم عن بعد.

ونستنتج أيضا أن التعليم عن بعد يسمح بالتفاعل والتعاون بين المتعلمين، كما أن الوسائط المستعملة تيسر تفاعل المتعلمين مع محتويات الحصة التعليمية التعليمية من جهة، وبين المتعلمين من جهة ثانية. ويساعد التعليم عن بعد على تطوير البيئات التعليمية التعليمية؛ مما يسمح بالتركيز على المتعلمين، وبذلك يصبح المعلم منشئا للبيئة التعليمية التعليمية، فيصبح بذلك المعلم مستشارا للتعليم، بالإضافة إلى مهامه الأصلية وهي: التخطيط، والتدبير، والتقويم.

إذا كان الأمر كذلك فبماذا يتميز التعليم عن بعد عن التعليم الحضوري؟

إن أهم ما يتميز به التعليم عن بعد هو تغييره للتعامل مع بعض النظريات التربوية والمقاربات البيداغوجية المعتمدة في التعليم الحضوري؛ بحيث أصبحت نظرية التعليم المفرد، والبيداغوجيا المرتبطة بها سيدة الميدان؛ من قبيل التدريس الإبداعي الذي من مقتضياته التعليم الاستقصائي، والتعليم بالاكشاف، والتعليم النشط (الفعال). وتشير الأدبيات التربوية الخاصة بهذه الأنواع الثلاثة إلى مضامينها كما يلي:

• التعلم الاستقصائي: مقارنة بيداغوجية حديثة تمكن المتعلم من استخدام

قدراته ومهام التفكير، والتفكر العليا.

• التعلم بالاكشاف: يقوم على تبني البرمجة العصبية، وخرائط المفاهيم.

• التعلم النشط (الفعال): يعتمد أسلوب الحوار بكل أشكاله، حوار دائري، حوار أفقي، حوار عمودي كلما اقتضت الضرورة حضوره. كما يركز التعلم الفعال على السبورة التفاعلية، والأقسام الافتراضية Class Flow، والتعلم بمواقع الانترنت، وغرف الدردشة، والبريد الإلكتروني، والتعلم بالحاسوب، أو من الحاسوب، أو عن الحاسوب.

ثانياً: أساليب التعليم عن بعد.

التعليم عن بعد جاء بطرائق جديدة في التعامل مع الموارد والمضامين المعرفية؛ مما سمح ببروز العديد من أساليب التعلم عن بعد، ويعبر كل أسلوب من هذه الأساليب عن مرحلة معينة من مراحل التفاعل التعليمي، وبسبب التطور المتزايد في تكنولوجيا المعلومات والاتصال الذي انعكس على التوسع في استخداماتها التعليمية ظهور أساليب جديدة أكثر فعالية للتعلم عن بعد، من قبيل حضور أنماط ديداكتيكية عملية؛ وذلك بالتركيز على الجداول، والخطاطات بدل الفقرات التعبيرية الإنشائية. ومن النماذج الاستراتيجية والأساليب المعتمدة في التعليم عن بعد ما يلي:

• أسلوب التعلم بالمراسلة:

هو إرسال المادة المطبوعة إلى المتعلم، ومن ثم يقوم المتعلم بقراءتها وطرح الأسئلة والاستفسارات حولها، ثم يعيدها للمعلم للمصادقة عليها، ويُعد البريد

الإلكتروني، الآن، الوسيلة الأساسية في عمل شبكة الإنترنت¹.

• أسلوب التعلم الافتراضي:

يتم في هذا الأسلوب نقل المادة العلمية والاتصال بين المعلم والمتعلم، وذلك من خلال: (facebook. YouTube. Zoom. WhatsApp. Google met). ويحضر في هذا الأسلوب مجمل التفاعل بين المعلم والمتعلم عن بعد، من خلال الاتصالات المسموعة والمرئية، وقنوات التعليم التي تُبث بواسطة الأقمار الصناعية بشكل مباشر². (live).

• أسلوب حل المشكلات:

هو أسلوب لتنمية التفكير الإبداعي، والذاتي الموضوعي لدى المتعلمين؛ تكمن طريقته في:

تقديم مشكلة واقعية من لدن الأستاذ للمتعلمين، ويطالبون بالبحث عن حلها. مما يستدعي أن يقوموا بجمع المعلومات عنها من مصادر مختلفة، ثم التفكير، والتدبر في تلك المعلومات، ثم تصنيفها إلى أفكار رئيسية، وفرعية مما يسمح بحصول فهم عميق، ويمكن من التوصل إلى الحل³..

¹ - التعليم بالمحمول، صيغة جديدة للتعلم عن بعد، مجدي محمد يونس، مجلة الجالية لكل المصريين بالخارج، العدد 2 ط 2011، ص 20.

² - التعليم بالمحمول، صيغة جديدة للتعلم عن بعد، مجدي محمد يونس، مجلة الجالية لكل المصريين بالخارج، العدد 2 ط 2011، ص 20.

³ - نفسه. ص 21.

• أسلوب التعليم المبرمج:

تقوم فكرته على أن يحدد الأستاذ مهمة معينة للمتعلم، يكلفه بها بناء على الطريقة التي أعدها له سلفاً، بعد ذلك يقسم الأستاذ المهمة الكلية إلى مهام جزئية تيسر للمتعلم التعلم خطوة بخطوة، فلا انتقال من المهمة رقم 01 إلى المهمة الموالية لها إلا بعد تنفيذ سالفتها، وهكذا¹.

كل هذا وذاك عن طريق التواصل إلكترونياً، وعبر الوسائل التكنولوجية للتربية، والتعليم.

فالتعليم عن بعد ليس أمراً ذاتياً، بل هو عملية تفاعلية "يحضر فيها البعد الوجداني، والمحيط السوسيو اقتصادي / ثقافي للمتعلم، تنتقل فيه الخبرات، والمعلومات، والموارد. والمعرفة، ومعرفة الفعل، ومعرفة الكينونة؛ من المعلم إلى المتعلم، ومن المتعلمين فيما بينهم؛ (التعلم بالأقران).

من خصائصه التروي، والتخطيط، والتدبير، والتقويم، وكل هذه المهام تحتاج إلى مؤسسة ترعاها وتراقب ضبطها عند التفعيل، وصولاً إلى التعلم الفعال².

التعلم: سلوك ذاتي، وشخصي، يكتسب من خلاله المتعلم معلومات، ومفاهيم، ومواقف، تمكنه من أداء مهام محددة من قبيل: حل المشكلات.

¹ - التعليم بالمحمول، صيغة جديدة للتعلم عن بعد، م.س، ص 22.

² - عبد اللطيف الفاربي وآخرون، سلسلة علوم التربية 9، 10 معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ط/1/1994 مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ص108.

من خصائصه الاستمرارية.¹

تقوم فلسفة التعليم عن بعد على فكرة مفادها تحويل التعليم إلى تعلم.

المفهوم:

نقل المعرفة إلى المتعلم، بدلا من انتقال المتعلم إلى المؤسسة.

توظيف موارد عبر وسائط، وأساليب تقنية في إيصال المعرفة للمتعلم.

انفصال المتعلم عن الأستاذ جسديا.

يستخدم TICE (تكنولوجيا التربية، والتواصل البيداغوجي.) من أجل ملء

الفجوة بين أطراف المربع الديداكتيكي.

من كل ما سبق؛ فالتعليم عن بعد مهج يستخد كل اكتشاف تكنولوجي رقمي

جديد.

إذن، فهو تلك الصلة الوثيقة بين التعليم، والتكنولوجيا الرقمية الحديثة، مما

سمح ب بروز مقولة: أن التعليم مستقبلا هو تعليم إلكتروني، رقمي، وبعض الدول

قطعت فيه أشواطا كبيرة.

ومن أبرز نظم التعليم عن بعد، نجد من بينها:

- نظام البث التلفزيوني التفاعلي، التعليم المبني على الإنترنت، التواصل

بالفيديو التفاعلي.

¹ - معجم علوم التربية، م.س، ص. 111.

ويتم انتقاء النظام المناسب انطلاقاً من:

- المستوى التعليمي للمستهدفين ونوعيتهم.

- موضوع حصة البث.

- أسلوب تدريس المادة.

ويمكن الدمج بين أكثر من نظام عبر:

- اللقاءات الإرشادية عبر غرف الدردشة.

- اللقاءات التعليمية التوجيهية، الفردية والجماعية.

- العمل ضمن الورشات، والمشغل البيداغوجية التدريسية.

- العمل ضمن النظام التعليمي التعليمي عبر شبكة التلفزيون، ومن خلال

السيبورة التفاعلية والمنصة التفاعلية؛ وهو نظام سمعي بصري بين الأستاذ والتلاميذ

بشكل مباشر يستفاد منه في الدروس، والأنشطة التطبيقية، والندوات، والعروض،

والموائد المستديرة.

ثالثاً: استراتيجيات التقويم في التعليم عن بعد.

فرض تعليق الدراسة، وإغلاق المؤسسات التعليمية ضرورة التفكير في

تخطيط، وتدبير عملية التقويم، في ظل الأقسام الافتراضية، ومن الأنشطة المقترحة

لإجراء التقويمات ما يلي:

✓ مشاريع فردية، يبرز من خلالها المقوم قدراته، ومهاراته، وما أرساه من

موارد طويلة فترة دراسية معينة.

✓ التقارير المكتوبة حول موضوع من الموضوعات المدروسة، ومن المعايير: منهجية المعالجة، قيمة الأفكار، والمفاهيم الواردة في التحليل، سلامة اللغة والأسلوب، قلة الأخطاء.

✓ ملفات الإنجاز = Port Folio.

✓ ملفات صوتية = Audio.

رابعا: كرونولوجيا التعليم عن بعد، بالمغرب.

في رأي العديد من المتابعين والمهتمين بالشأن التعليمي والتربوي ببلادنا،¹ فإن استعمال الوسائل السمعية البصرية في العملية التعليمية التعلمية ما يزال تعيقه مجموعة من المعوقات، بل إن عددا لا يستهان به من هؤلاء يؤكدون أن القائمين على القطاع السمعي البصري لم يستغلوا وسائل الإعلام، وخاصة القنوات الأولى، والثانية، منذ سنوات، في تطوير مهارات التعلم لأبنائنا، واعتبروا أن القناة الرابعة لوحدها كافية، إلا أنه من الصعب أن تلبى مطلب التعلم واستدراك الفهم، لكون مقاربتها الإعلامية شاملة للمجال التربوي وغير متخصصة في المجال المدرسي من جهة، ومن جهة أخرى فهي تحظى بنسب ضئيلة من المشاهدة².

يوم 11 يناير 2010، انطلق بث دروس متلفزة خاصة بتلاميذ نهاية المراحل التعليمية أي السنوات الإشهادية، ضمن برنامج التلفزة المدرسية على القناة الرابعة، وسبق لوزارة التربية الوطنية، والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، أن

¹ - مثل كلية علوم التربية، من خلال أبحاث الطلبة الباحثين. مريم الطيبي وعبد الرحيم ليلي.

² - خالد السطي، التلفزة المدرسية تجربة مهمة، جريدة التجديد 2010/03/11.

أكدت أن هذه الدروس التي تدرج في إطار التعاون المثمر بين الوزارة، والشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة، تروم مساعدة التلاميذ على اكتساب المعارف الأساسية في المواد الدراسية المقررة في الامتحانات الإشهادية؛ (السنة السادسة ابتدائي - السنة الثالثة ثانوي إعدادي، السنة الأولى والسنة الثانية بكالوريا بالنسبة لجميع الشعب) وأن هذه الدروس التي ستبث، يوميا، من الاثنين إلى الجمعة، من الساعة السادسة إلى الساعة الثامنة والنصف مساء. ويعاد بثها يومي السبت والأحد، تهدف أيضا إلى تكوين رصيد من الموارد البيداغوجية التي يمكن استغلالها في التعليم عن بعد؛ وتشمل هذه الدروس المواد المقررة في الامتحانات الإشهادية للتعليم الثانوي التأهيلي، ومواد اللغة الفرنسية، والتربية الإسلامية، واللغة العربية، بالنسبة للسنة الأولى بكالوريا، كما تشمل المواد المقررة في الامتحانات النهائية لنهاية المرحلة الثانوية الإعدادية، إضافة إلى المواد المقررة في الامتحانات النهائية لنهاية المرحلة الابتدائية؛ (اللغة العربية واللغة الفرنسية، والتربية الإسلامية، والرياضيات)¹.

وبحسب وثيقة صادرة عن قطاع التعليم المدرسي، التابع لوزارة التربية الوطنية، فالبرنامج يهدف إلى دعم مدرسة النجاح؛ باعتبارها من أولويات الإصلاح التربوي، والإسهام في تحقيق وتوسيع مبدأ تكافؤ الفرص، باستعمال وسائل الإعلام السمعي البصري، مع ضمان الوصول إلى شرائح عريضة من التلاميذ، والأسر، في كل ربوع المملكة، بالإضافة إلى الرفع من جودة التعلّمات باستعمال تكنولوجيا

¹ - كمال يوسف، ومحمد الغزاوي، مقدمة في التكنولوجيا التعليمية ط/2003/2 مكتبة الفلاح الكويت

الإعلام والتواصل، ومن بينها التلفزيون الذي يعتبر من أنجع وسائل التعليم، والتكوين عن بعد، ولقدرته على جذب اهتمام التلاميذ، وإحداث متعة فكرية لديهم؛ بما يضمن وفاءهم للبرنامج. أيضا تهدف الوزارة من خلال برنامجها المذكور إلى إعطاء فرص جديدة لتعلم التلاميذ؛ يمكن أن تساعد على محاربة بعض الممارسات المشينة كالدروس الخصوصية غير المرخص لها والهدر المدرسي.

وبحسب ماء جاء في مجلة التلفزة المدرسية، عن وزارة التربية الوطنية¹، فقد تم تحديد ثلاث مراحل لإنجاح برنامج التلفزة المدرسية، إذ انطلقت المرحلة الأولى 11 يناير 2010 ببث دروس متلفزة على القناة الفضائية الرابعة، وتهم جميع المواد المبرمجة في الامتحانات الإشهادية؛ أي شهادة نهاية السلك الابتدائي (المستوى السادس ابتدائي)، وشهادة نهاية السلك لثانوي الإعدادي (الثالثة إعدادي)، ثم شهادة البكالوريا. فيما تستهدف المرحلة الثانية تهيئ التلاميذ والتلميذات لاجتياز الامتحانات من خلال أنشطة تربوية؛ منها دروس علمية حول منهجية الإعداد للامتحانات، والتعامل معها، ثم أنشطة تطبيقية. أما المرحلة الثالثة بحسب المصادر نفسها فستحدد خلالها عملية تعميم هذه الأنشطة، والدروس على جميع المستويات في الأسلاك الثلاثة للتعليم المدرسي².

وفي هذا السياق، ترى مريم الطيبي أن الدروس التي قررت الوزارة بثها أخيرا عبر قناة الرابعة خطوة مهمة، خصوصا وأن التلفزة المدرسية المغربية سبق أن قدمت

¹ - مجلة التلفزة المدرسية، ط2-2011. الإذاعة والتلفزة المغربية دار البريهي ص 15.

² - مجلة التلفزة المدرسية، ط2-2011. الإذاعة والتلفزة المغربية دار البريهي ص 15.

دروسا متلفزة في الثمانينات، وخلفت صدى طيبا، إلى أن طالتها أيادٍ خفية، وتضيف الباحثة أن من الأفضل، أن يخصص المغرب باقات من القنوات الفضائية خاصة بتقديم الدروس والتمارين، وغيرها من المعارف على غرار دول أخرى، وتقصد مصر والأردن ولبنان.¹

أما عبد الرحيم ليلي،² فيرى أنه من الواجب على من يهتم الأمر أن يضعوا بعين الاعتبار تيسير عمل التلفزة المدرسية، لأنها باتت بمثابة مطلب أساسي لمساعدة الأسر التعليمية؛ خصوصا هيئة التدريس في المؤسسات التعليمية، على توطین المعارف والمهارات في عقول المتعلمين، مع العلم أن المتعلمين باتت لهم علاقة جيدة وحميمة بالقنوات الفضائية، وبالوسائل السمعية البصرية؛ بمعنى أنه يمكن للمتعلم أن يركز مع التلفاز أكثر مما يركز في الفصل، ويضيف المتحدث، أيضا، قد نجد بعض المتعلمين يمنعمهم الخجل من الإجابة والتجاوب مع التمارين لكن بمنزله قد يحدث العكس.

خامسا: اعتماد التعليم عن بعد، حلا لمواجهة أنفلونزا الخنازير.

بعد انتشار أنفلونزا الخنازير، بادرت وزارة التربية الوطنية إلى تسجيل العديد من الدروس على غرار دول أخرى، وذلك استعدادا لمواجهة المرض الخطير، وبحسب ما جاء في برنامج تلفزيوني في القناة الثانية، فقد أبدت وزارة أحمد

¹ - مريم الطيبي التعليم عن بعد، بحث تربوي بكلية علوم التربية، الندوة الثانية للموسم الجامعي 2016/2015.

² - إطار تربوي بأكاديمية جهة بني ملال خنيفرة. من خلال مقال له: "دروس التلفزة المدرسية" بجريدة التجديد بتاريخ: 2010/03/11.

أخشيطن،¹ استعدادها لتقديم الدروس على أوسع نطاق لفائدة التلاميذ بعد منعهم من التوجه إلى المدارس، خصوصا بعد إغلاق العديد منها في مختلف مدن المملكة، وأضافت المصادر نفسها أن تراجع انتشار مرض أنفلونزا الخنازير حال دون تقديم الدروس كما كان مخططا له، وقد رأت العديد من الآراء أنه من الأفيذ في الظرفية التي عاشها المغرب تزامنا مع المرض المذكور، حيث العديد من التلاميذ تغيبوا عن مدارسهم بسبب الإصابة بنزلات البرد، التي تحيل إلى احتمال التعرض لمرض أنفلونزا الخنازير، أن تكون عملية استدراك الدروس في المنزل تجري عبر التلفزة، وذلك حفاظا على صحة المتعلمين وعلى مستواهم التعليمي، وتفاديا للهدر المدرسي المقنن. علما أنه رغم كل الإجراءات إلا أن الأمر لم يصل لمستوى الحجر الصحي.

ويربط الباحث عبد الإله دحمان بين الهدر المدرسي والتعليم عن بعد بواسطة دروس التلفاز حيث يقول: "الحديث عن المغادرة القسرية لقراءة: 400 ألف تلميذ وتلميذة سنويا للفصول الدراسية لن يزيد إلا في تأزم الوضع، وتصدير هؤلاء الصغار نحو المجهول؛ كالإجرام، والسرقة، والاعتصاب، والاعتداءات، وبيع السجائر بالتقسيط، والتشرد، وغيرها من المواقف والمواقع التي ينجل المرء من ذكرها....²

¹ برنامج تلفزيوني حول الحالة الوبائية بالمغرب، مع أحمد أخشيطن، بتاريخ: 30-07-2017. وزير سابق للتربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي في حكومة عباس الفاسي في الفترة ما بين 2007 و2012.

² عبد الإله دحمان، مجلة التلفزة المدرسية مرجع سابق ص 10

وبحسب دحمان، يمكن للدولة من خلال برامج التلفزة المدرسية، والتعليم عن بعد، القيام بأدوار تحسيسية؛ أولاً، لِحث هؤلاء على الاستمرار، والرجوع إلى داخل أسوار المدرسة، وثانياً، بتقديم دروس متلفزة لهذه الفئة، من أجل تشجيعها على الاستمرار في التمدرس، ولم لا القيام باختبارات حقيقية لفائدتها لما يقدم في التلفاز، ومن ثم استعادة هؤلاء إلى حضان المؤسسة التعليمية، وبذلك يتم إنقاذهم وإنقاذ المجتمع من مصيره المجهول. وتمنى دحمان أن تعمل الوزارة على تطوير عمل التلفزة المدرسية وتعميمها على قنوات فضائية وأرضية أخرى، مع العلم أن بعض المغاربة المعنيين بالهدر المدرسي لا يملكون صحوناً هوائية، أو أجهزة استقبال رقمية، مما يقتضي تدخل الدولة من أجل تفعيل التعليم عن بعد.

سادساً: مهام المدرس في التعليم عن بعد.

يقوم عضو هيئة التدريس في البيئة التعليمية التعليمية للتعليم عن بعد بأدوار رئيسة منها:

- تنظيم الفصل التعليمي التعليمي للدراسة عن بعد.
- التخطيط للأنشطة التعليمية التعليمية التي تدعم البيئة التعليمية، وضمان دعمها للطرائق التعليمية المعتمدة.
- تدقيق زمن التعليقات؛ في علاقته بتدبير الوضعيات التعليمية التعليمية؛ وذلك باكتساب القدرة على الدراية بكيفية تدبير الوقت.
- ضبط أسئلة التقويم البنائي الفوري، من حيث الصياغة، والهدف الوظيفي المراد تحقيقه.

• توظيف طريقة أخذ النقط؛ في التعامل مع المضامين، والموارد المعرفية.

• التخلص قدر الإمكان من مصادر تشتيت أذهان المتعلمين، بحيث يمكن أن تكون هناك العديد من مصادر التشتيت؛ مثل الضوضاء الخارجي الذي يمنع المتعلمين من المشاركة الفعالة، والاستفادة بشكل جيد، وكدمج أصوات خلفية ووفرة الصور، والخطاطات بشكل زائد، كل ذلك يمكن أن يربك المتعلمين ويزيد من توترهم، في الوقت الذي يُطلب منهم فيه التركيز على المهام المطلوبة منهم؛ الشيء الذي لا يتحقق إلا مع شعورهم بالراحة والاطمئنان.

• غرس وتثبيت الثقافة الداعمة للتعليم عن بعد؛ وذلك بمدد المساعدة للمتعلمين في المجالات المرتبطة بالتعليم عن بعد، والتي يحتاجون فيها إلى مساعدة. كإنشاء منتديات، أو مجموعة خاصة، أو صفحة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بحيث يمكنهم التجمع لمناقشة الموضوعات، ومعالجة الصعوبات التي تواجههم، مما يشعرون معه بشكل ضمني بأهمية التعليم عن بعد.

سابعاً: العملية التعليمية التعليمية عن بعد، بين المد والجزر.

منذ بداية الحجر الصحي، اقترح المدرسون عن بعد (وقد تجندوا لإنجاح هذا التدبير الاستثنائي) على تلامذتهم في طوري الابتدائي والثانوي، العديد من التمارين والواجبات المنزلية، مفضلين أعمال الدعم، والمعالجة، والتثبيت، وتخطي الاختلافات المتنوعة، فكانت الظاهرة أكثر لفتاً للانتباه مع الطور الثانوي؛ لأن مدرسي المواد المختلفة كانوا يقدمون دروسهم عن بعد، ويطالبون المتعلمين بإنجاز تحضيرات قبلية؛ من بين هذه المهام الواجب تنفيذها يمكن أن نحصي كما هائلاً من

التهارين، تستلزم قدرات كبيرة على الانتباه والتخزين، فإذا عن أولئك التلاميذ الذين لا يستفيدون في البيت من مساعدة الوالدين، أو لا يجدون الظروف الملائمة، والمرضية للقيام بالعمل المطلوب من قبيل:

- حاجة المتعلم إلى استراتيجية رقمية.
- تحقيق العدالة الرقمية بين المتعلمين وأسرههم.
- تكوين المدرسين تقنيا، وبيداغوجيا، للقيام بالتعليم عن بعد.
- تكوين المتعلمين، واستقلاليتهم في التعليم عن بعد.
- تكييف المناهج وإعدادها، لتلاءم مع خصوصيات التعليم عن بعد.
- الاستفادة من تخفيض الكلفة التعليمية للتعليم عن بعد.
- إعادة الاعتبار للتعليم عن بعد في البيت، بتخصيص غرفة لمثل هذا النوع من التعليم.

فكانت أجوبة التلاميذ متنوعة من خلال إجاباتهم على مجموعة من الأسئلة التي طرحت عليهم عبر WhatsApp. وكانت على الشكل التالي¹.

1 - فيما يخص الإقامة:

- هل المنزل موصول بالتيار الكهربائي أم لا؟
- هل تتوفر على غرفة خاصة لمتابعة التعليم عن بعد؟

¹ - استمارة خاصة أنجزت من طرف لجنة الجهوية للتعليم العتيق بتاريخ: 02 يناير 2020.

2. وفيما يخص المستوى الدراسي.

- هل أنت ملم باستعمال الحاسوب بشكل جيد؟
- هل أنت ملم باستعمال الهاتف الذكي بشكل جيد؟
- هل تعتمد على صبيب الأنترنت الشخصي؟
- هل تعتمد على اللوحة الموزعة من طرف الوزارة المعنية؟
- هل يحدث تقطع للصبيب في البيت؟
- هل تنضب أثناء متابعتك لحصة التعليم عن بعد؟
- هل تُدوّن الحصيلة بالتوازن مع البث؟
- هل تراجع السابق قبل متابعة اللاحق؟
- هل كنت تنجز تقوييات لعملك؟

3. وفيما يخص أسئلة إيجابيات التعليم عن بعد، من خلال التجربة الشخصية،

فكانت أجوبة المستجوبين على الشكل التالي:

- لا توجد مخاطرة للإصابة بالعدوى.
- كان هناك اعتماد على النفس.
- استطعت توفير الجهد والوقت على نفسي.
- توفرت لي بيئة جيدة للتحصيل.
- تمكنت من الرجوع للدرس لمرات متعددة في أماكن وأزمنة مختلفة.
- تمكنت من اجتياز الفروض دون ضغط نفسي.
- تمكنت من استعمال المواقع والبحث عن المعلومة.

• توفرت لي ملخصات للدروس في نهاية الأشربة المسجلة¹.

4. أما فيما يخص سلبيات التعليم عن بعد من خلال التجربة الشخصية

لمجموعة من التلاميذ، فكانت الأجوبة على الشكل التالي:

• فقدان التركيز.

• انعدام الجو المناسب للتعلم.

• انعدام التفاعل مع المدرس، ومع الزملاء.

• تكلفة توظيف الإنترنت كانت باهظة.

5. أما الإكراهات التي اعترضت المتعلمين عن بعد، فكانت الأجوبة كالتالي:

• عدم توفر وسائل التواصل (الخاصة).

• انعدام غرفة مخصصة للتعليم عن بعد في البيت.

• ضعف صبيب الشبكة.

• صعوبة التركيز أثناء متابعة الدروس.

• جل التلاميذ عبروا على أنهم غير مؤهلين لهذا النوع من التعليم، كما أنهم

لم يتعودوا على العمل في البيت، بهذا الأسلوب.

ثامنا: سياق التعليم عن بعد، في ظل جائحة كورونا.

طرحنا الجائحة وتداعياتها مجموعة من التحديات لكل الأطراف المعنية

بالعملية التعليمية التعليمية، بل تجاوزتها إلى مجالات أخرى دون استثناء، وذلك من

¹ - استشارة خاصة أنجزت من طرف لجنة الجهوية للتعليم العتيق بتاريخ: 02 يناير 2020.

قبيل:

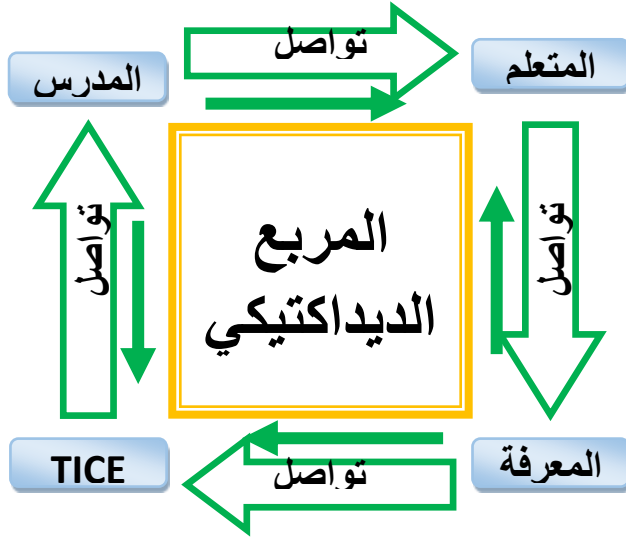
- انتشار الوباء والجهل به.
- تعطل الزمن المدرسي، والحياة المدرسية، والنظام الداخلي، والأنشطة التعليمية كالندوات، والمسرح، والمحاضرات، والأنشطة الموازية...
- انتشار العدوى بشكل سريع مع صعوبة التحكم فيه مؤقتا.
- تعليق الدراسة بكل الأطوار التعليمية.
- إغلاق المؤسسات التعليمية.
- عدم الاستعداد الفعلي لمثل هذه الطوارئ.
- عدم استعداد المعلمين، والأساتذة لمثل هذا النوع من التعليم الذي فرضته الجائحة.
- شح في الموارد الرقمية، والتطبيقية للتعليم عن بعد، في صيغته الجديدة.
- نسبة كبيرة من الأساتذة لم تكن لديهم الوسائل التي تمكنهم من ممارسة التعليم عن بعد، انطلاقا من التطبيقات المتاحة.
- ضعف الخبرة في الجانب التقني الذي يسمح بإدارة عملية التعليم عن بعد، وفي صناعة المحتوى التعليمي الرقمي المناسب.
- وتفاديا لعزل المتعلمين عن مصادر المعرفة، برزت التلفزة المدرسية من جديد، إلا أنها كانت متعثرة على مستوى التغطية؛ لأن الوضع الحالي لظهورها يقتضي تجهيزات رقمية متخصصة، وهي غير متوفرة للجميع.
- من هذه المنطلقات وغيرها أصبحنا في حاجة ماسة لهذا النوع من التعليم

الجديد، وهو كما اصطلح على تسميته: (تعليم عن بعد)، (تعليم رقمي)، (تعليم إلكتروني).

إذن فهو بمسمياته المتعددة، أصبح يُعد خيارا بيداغوجيا تبناه المغرب كاستراتيجية وطنية للمدرسة المغربية في ظل جائحة كورونا، وأمام هذا الاختيار نجد أنفسنا مضطرين لطرح العديد من الأسئلة الموضوعية، والمشروعة، منها:

- ما البرامج الدراسية التي يمكن أن تقترح لهذا الغرض في ظل عدم التناسب ما بين الزمن المدرسة الذي فرضته الجائحة، والبرامج المعدة أصلا للتعليم الحضوري؟
- ما التحديات التي تواجهها المنظومة التربوية والتعليمية قصد تحقيق غاياتها ومقاصدها، وأهدافها العامة، والخاصة؟
- هل يحقق التعليم عن بعد ما يحققه التعليم الحضوري؟
- ما دور المعلمين في هذا الاختيار البيداغوجي الاستراتيجي؟
- هل تُتبع نفس الاستراتيجيات في التدريس؟
- هل يمكن تقويم المتعلمين عن بعد؟ وما الأطر المرجعية التي ستعتمد، وما معايير ومؤشرات التقويم؟
- ما مدى مصداقية، وفعالية التقويمات المعتمدة؟
- ما مدى مصداقية النتائج؟
- ما مدى استعداد المغرب تقنيا ورقميا وبيداغوجيا للعمل بهذه الصيغة وهذا الاختيار؟

خلاصة لما سبق، نتوقف أمام المربع الديداكتيكي:



يتضح جليا أن العملية التعليمية التعلمية حضوريا أو عن بعد إنما يراعى فيها

الأبعاد التالية:

1. البعد المعرفي، المصادر، والمراجع، والموارد المعرفية المعتمدة، والتي لا

تتعارض مع المنهاج التعليمي الرسمي.

2. البعد الديداكتيكي:

- ✓ كالتعاقد، حول مضمون التعلم.
- ✓ تنظيم الأستاذ للمضامين والمفاهيم التعليمية.
- ✓ يضع الأستاذ المحتوى ضمن تدرج تعليمي تعليمي.
- ✓ ينطلق الأستاذ من مكتسبات المتعلمين القبلية.
- ✓ يتأكد الأستاذ من فهم المتعلمين للمهمة المطلوب إنجازها.

✓ يوظف الأستاذ الأسناد، والمعينات الديدداكتيكية، كمنطلق للأنشطة التعليمية التعلمية.

✓ يعالج الأخطاء، إما فوراً أو عن طريق الدعم، والتعلم الذاتي بالأقران.

✓ يدفع الأستاذ المتعلم للربط بين المقاطع، والوضعيات، والأنشطة الواردة في كل منها عن طريق الإدماج و(التوليف).

3. البعد البيداغوجي، ويتمثل في:

✓ اختيار طرائق التدريس المناسبة لكل مقطع، أو للمقاطع، والوضعيات. على المستوى المنهجي (البعد الوظيفي للمعرفة المدرّسة)، العلاقات البيداغوجية، أشكال التقويم.

✓ اختيار تقنيات التدريس (الأنشطة التعليمية التعلمية المتمركزة حول المتعلم).

✓ التخطيط وفق المقاربة البيداغوجية المعتمدة رسمياً في تنزيل المنهاج، وهي المقاربة بالكفايات، والتي لها مميزات خاصة من الناحية البيداغوجية، والديدداكتيكية.

✓ مراعاة تمثيلات المتعلمين عند التخطيط، وعند التدبير.

✓ تدبير الزمن تدبيراً جيداً، بحسب الأنشطة، والحصة المقررة.

✓ استحضار قيم المجتمع، وأعرافه الإيجابية.

✓ استحضار قيم أخلاقيات المهنة.

✓ استحضار الحكامة.

الخاتمة

بما أن التعليم عن بعد يعد نظاما تربويا مرنا، يتميز عن أنظمة التعليم الحضوري، بسعيه إلى توزيع التعلم في الزمان والمكان، وتشجيع التعلم الذاتي، وبما أن أسس التعليم الحضوري في البلدان النامية. ومن بينها المغرب. تواجه وتعاني من عدة مشاكل، وعلى رأسها؛ الساعات الإضافية غير المرخص بها، والهدر المدرسي، والانتهاك، والأقسام المشتركة، وضعف العلاقة بين التعليم ومقتضيات التنمية...، تُظهر أن التعلم عن بعد خاصة في سياق تعدد قنواته يمكن أن يُسهم في إيجاد حلول لهذه المشاكل، ولو نسبيا.

وإذا كان الحجر الصحي يخلق الإجهاد والتوتر، ويضعف الانتباه، والتركيز، فإن المدرسين والتلاميذ في التعليم الابتدائي والثانوي بطوريه، من مصلحتهم التحلي بالسلوكيات المناسبة والعقلانية في مواجهة الاستخدام الهائل للتقنيات. ومن المهم أيضا تغيير عادات وممارسات معينة لا تشجع على التعلم عن بعد.

فمن مسؤولية وواجب الوزارة المسؤولة، والمدرسين، والأسر، أن يأخذوا الوقت الكافي ليشرحوا للتلاميذ على اختلاف مستوياتهم، ماهية هذه الممارسات لمحاولة تنفيذها على الرغم من الحجر الصحي. كما أن أولياء الأمور صار بإمكانهم اليوم، أكثر من أي وقت مضى، أن يفهموا معنى مهنة التدريس، ويمتلكوا كفايات (ميتا- معرفية) تُحوّل لهم أن يسهموا في تعلمات أبنائهم، فيصبحوا بذلك خير معين للمدرسة العمومية، والخاصة، حتى تستعيدا عافيتها، وتواصل مشوارهما الطويل، بكثير من الثقة، والأمل في مستقبل واعد لأبنائهم وبناتهم، مهما تغيرت الأمور، إيجابا أم سلبا، من أجل المصلحة العليا للبلاد.

رقمنة التعليم واستشراف المستقبل

د. الطاهر قدوري

المركز الجهوي لمهن التربية والتعليم لجهة الشرق

مقدمة:

منذ أن تسلم الغرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول جنوب شرق آسيا مشعل التطور العلمي والتقني، والعالم يشهد تطورات متسارعة أدت إلى تحولات عميقة في بنية المجتمع والاقتصاد والإدارة، بل وفي باقي مناحي الحياة. ولقد اتخذت كل مرحلة من مراحل هذا التطور السريع عنوانا بارزا لها، دالا على ثورتها التي كان لها تأثير كبير على حاضر ومستقبل البشرية.

ومن هذه المراحل التطورية التي عرفها العالم، يمكن أن نركز الحديث على الثورات التقنية والتنظيمية التي شهدها العالم منذ القرن 18م، والتي أدخلت أوروبا أساسا مرحلة الثورة الصناعية، التي تميزت بتحول البشرية من استخدام للطاقة الطبيعية، إلى استخدام الطاقة البخارية التي أحدثت ثورة حقيقية على مستوى توظيف نتائج البحث العلمي، التي لم تتوقف إلا لتعلن عن اكتشافات عديدة أدخلت أوروبا والعالم للثورة الثانية التي كانت مع استخدام واسع للكهرباء والبترول.

ولئن كان استخدام الطاقة النووية وتفجير ذرات الهيدروجين اعتبر ثورة في مجال الفيزياء الحديثة، فإن العالم يشهد مع بداية هذه الألفية ثورة رقمية مست كل المجالات وأحدثت تحولات عميقة في بنى المجتمع، وسرعت التوجه نحو الرقمنة

والتخلي عن كل الأعمال اليدوية والشكل الحضورى للعامل والموظف والمتعلم، وبدأت الحاجة ماسة إلى تعميم الرقمنة في كل مناحي الحياة مع الانتشار الواسع لشبكة الأنترنت.

ليدخل العالم إلى هذه الثورة المعلوماتية الهادئة، التي فرضت نمطا جديدا في التفكير والعيش والتسيير والتدبير والتعليم، إنه عصر الثورة المعلوماتية الكبيرة التي بدأ معها العالم قرية صغيرة، تتناقل أخبارها وسائل الاتصال في حينه، وأضحى مع هذا التطور الرقمي من الصعب التكتم على المعلومة أو محاصرتها، وأصبح الكل مرئيا أمام الكل، في تطور مذهل، وتدفق هائل للمعلومات.

هذا التطور السريع فرض على الدول التي كانت على هامش هذا التفوق التكنولوجي والتي كانت تراقب المشهد من بعيد، فرض عليها ضرورة البحث في سبل اللحاق بالركب، وإلا فإن العزلة التامة ستفرض عليها وعلى الدول التي لم تفقه استشراف المستقبل وآليات العمل والتطوير، ولعل هذا ما أدى إلى فجوة رقمية¹ يمكن النظر إليها من خلال أبعاد ثلاثة:

أ- فجوة رقمية بين دول المعمور خاصة بين الشمال والجنوب²: ومردّها أساسا إلى الاستقرار السياسي الذي صاحبه تطور أدى إلى إرساء مجتمع مسقر قد قطع مع الانقلابات العسكرية المفسدة للانتقال السلمي للسلطة، وقطع أيضا مع النزعات القبلية، فأصبح الولاء للوطن الذي يتسع للجميع، مع ما صاحب ذلك من

¹ - نبيل علي، الفجوة الرقمية، عالم المعرفة، عدد 318، غشت 2005، ص 11 وما بعدها.

² - نفسه، ص 14.15.

دينامية اقتصادية واستغلال واسع لتكنولوجيا الإعلام والاتصال في كل مناحي الحياة، وبالعكس فإن عدم الاستقرار السياسي والتوترات الداخلية وعدم الحسم في النموذج السياسي المتفق عليه بين أبناء الشعب الواحد، لن يسمح بتطور مقبول على مستوى الانخراط في مجتمع الاتصال والرقمنة، ولا شك أن العلاقة مضطربة بين الاستقرار السياسي وباقي المجالات الحيوية في البلد الواحد.

ب- فجوة رقمية بين أبناء البلد الواحد: وهنا يمكن أن نستحضر تلك المقولة التي كثيرا ما يتم ترديدها عند الحديث عن تباين الاهتمامات في إطار ما يعرف بصراع الأجيال، فالغالب على من يبدي نفورا من الوسائل الحديثة للاتصال ويعرض عنها هم الفئات العمرية الكبيرة في السن، والذين يشغلون مساحة كبيرة من هرم أعمار دولة ما، وبالمقابل نجد أن الأشخاص الذين هم في مقتبل العمر يقبلون على الوسائل الحديثة للاتصال بشكل كبير، ويجتهدون في حل مشاكلها وتعقيداتها واكتشاف ثغراتها ومن ثم تطويرها، ويعملون على تعميمها في كل مناحي الحياة الخاصة بهم، في: العمل، والتعليم، والبحث، والتبضع، واستخراج وثائق، وطلب عروض، وترفيه...

ج- فجوة رقمية في البلد الواحد: فداخل مجال الدولة الواحدة نجد تباينا صارخا بين مختلف المناطق والجهات التي قلصت من الفجوة الرقمية وانخرطت في مجتمع المعرفة والتواصل والتكنولوجيا¹، ولا شك أن مرد ذلك يمكن تلمسه في تركيز مختلف الأنشطة الاقتصادية في هذه المناطق الغنية على مستوى تركيز اليد العاملة

¹ - الفجوة الرقمية، ص 30. 31.

المدربة والتقنية، والخدمات الحديثة وصناع القرار، فلم تتمكن الدولة من ضمان الانصاف في توزيع الأنشطة المختلفة بين كل الجهات¹.

ففي المغرب مثلا، تتركز معظم الأنشطة الاقتصادية والخدمات والإدارة في جهة الدار البيضاء الكبرى، التي تحتضن حوالي ثلث ساكنة المغرب، وتتركز فيها أغلب الأنشطة الاقتصادية والخدماتية، فمثلا تضم 49% من الساكنة النشيطة، و43% من اليد العاملة وتنشط في تراها أزيد من 3097 مقالة²، وهذا كله فرض تغطية جيدة لشبكة الاتصال على مستوى جودة صبيب الانترنت وقوته، ومرد ذلك لارتباط هذه المنطقة بالخارج تصديرا واسترادا: مطار محمد الخامس، ميناء الدار البيضاء، بورصة الدار البيضاء، كما أن السياسة العمومية المغربية تطمح إلى جعل مدينة الدار البيضاء قطبا ماليا على المستويين الإفريقي والعالمي، مع ما يتطلب ذلك من توفير بنية تحية قوية وبمواصفات عالمية³، كل هذا زاد في الفجوة الرقمية بين هذا المحور وباقي جهات المملكة، خاصة في الريف وجبال الأطلس المتوسط والمغرب الشرقي والجنوب.

لذا ستشهد العديد من الدول مع بداية هذه الألفية تفكيرا مضطردا وعملا مسترسلا في ضرورة الدخول إلى ميدان الرقمنة والعمل الإلكتروني في شتى المجالات، سواء تلك التي تم التعامل مع الخارج عبر البيع والشراء، تصديرا

¹ - جهة الدار البيضاء الكبرى بالمغرب مثلا على ذلك.

² - المندوبية السامية للتخطيط، النشرة الإحصائية، 2017، ص 3. 36. 118. 119.

³ - الخطاب الملكي، بمناسبة افتتاح الدورة التشريعية الثالثة، للولاية التشريعية التاسعة. 11 أكتوبر 2013.

واسترداداً، أو تلك المرتبطة بالمعيش اليومي للمواطن الذين لم يعد في حاجة إلى التنقل إلى مختلف الإدارات والمصالح لقضاء حاجاته والحصول على أغراضه، فكل ذلك وغيره يمكنه أن يقوم به من بيته، وفي هذا الإطار يمكن الحديث عن:

الحكومة الإلكترونية: التي تعتمد العمل الرقمي سواء على مستوى التدبير اليومي لشؤون المواطنين، أو على مستوى عملها اليومي المعتاد، فلم تعد الحاجة ضرورية لحضور الوزراء إلى الاجتماعات الدورية للحكومة، وأضحى الاجتماع يتم من المكان الذي يوجد فيه الوزير، وهذا الأمر أعطى للعمل السياسي مرونة كبيرة.

الإدارة الإلكترونية: لم يعد المواطن في حاجة إلى التنقل إلى مقرات الإدارات العمومية للحصول على مختلف الوثائق التي يحتاجها في معيشه اليومي، بل يكفي بالتواصل مع الإدارة المعنية عبر تقنيات التكنولوجيا الحديثة ليحصل على ما يريد: شواهد الميلاد، شواهد الإقامة، جواز السفر، بيانات الأجرة...

الاقتصاد الإلكتروني: التسوق، وطلب العروض، والصفقات العمومية، أداء الضرائب، والسياحة وما ارتبط بها من حجز وترفيه... كل ذلك بالإمكان أن يتم بواسطة الرقمنة.

1- التعليم الإلكتروني؛

منذ مطلع الألفية التي نحن شاهدها، أخذت العديد من الدول تتحول نحو الخروج بالتعليم من مجاله التقليدي، الذي يعتمد الشكل الحضورى للمتعلم والمدرس على حد سواء وما يرافقها من برامج ومناهج دراسية تنفذ في مختلف فصول الدراسة ومستويات التعلم، إلى تعليم رقمي يستغل التطورات السريعة التي

يشهدها مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، فلم يعد الكتاب ورقيا كما كان في السابق، كما أنه أصبح متوفرا ومن السهولة واليسر الحصول عليه.

وأضحت المؤسسة التربوية في عداد الافتراضي، وتمت رقمنة الموارد الدراسية عبر محافظ إلكترونية يتم تزويد المتعلم بها في بداية الموسم الدراسي، وتفتح له فضاء رحبا للتعلم الذاتي والاستزادة من المعارف والعلوم والمهارات عبر انفتاحه على نوافذ متعددة من المعرفة عبر شبكة الأنترنت.

وهذه التجربة النوعية في مجال التربية والتكوين عرفت العديد من الدول المتقدمة، ودول أخرى أدركت أهمية التعليم عن بعد وإمكانية التقليص من الفجوة الرقمية بين دول الشمال والجنوب، وكسبت رهان تعليم جيد باعتماد الوسائل الإليكترونية الحديثة، وهنا نستحضر تجارب كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والدول الإسكندنافية وألمانيا وفرنسا...

وهذا التعليم الإليكتروني بدت الحاجة ملحة إليه في ظل اجتياح فيروس كورونا المستجد للعالم منذ يناير 2020، انطلاقا من الصين لينتشر في كل العالم، ويعمل على تعطيل الحياة الطبيعية المعتادة التي ألفها الناس، فعمل على حجر الناس في بيوتهم، وأغلق مرافق الحياة الطبيعية دونهم، وأوقف النشاط السياحي والأسفار، وأوصد أبواب المدارس وأجبر المتعلمين على ضرورة أخذ تعلماتهم عن بعد، والانخراط الواسع في شبكات ومنصات التعليم عن بعد، كما فرض تعجيل تنفيذ المخططات الرقمية في التعليم، وتطوير مختلف المنصات التربوية من أجل إنقاذ الزمن الدراسي وسد الخلل على مستوى تكوين جيل ما بعد كورونا.

ولقد استطاعت الدول التي كانت تعي معنى الرقمنة في قطاع التربية والتعليم ومدى خطورتها، أن تنخرط بيسر كبير وبسلاسة في تحدي الجائحة، لأنها تتوفر على بنية تحتية قوية تساعدها على تنفيذ مختلف محطات التعليم عن بعد، بدءاً من تخطيط التعلّمات الإلكترونيّة إلى تنفيذها وانتهاء بتقويمها، كل ذلك يتم وفق برامج متقنة لا تترك مجالاً للهفوات أو الخلل، بينما عجزت دول أخرى عن مساندة الركب وركنت إلى الزاوية الضيقة، وأخذت تندب حضنها لعدم مساندة التعلّم الرقمي نظراً لضعف بنيتها التحتية، الأمر الذي جعلها تسابق الزمن في إمكانية إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الزمن المدرسي والحد من الهدر المدرسي.

وقد استطاعت الدول المتقدمة تكنولوجياً أن تعمل على أجرأة التعلّم عن بعد، عبر تحويل الأنشطة الصفية الحضورية إلى موارد رقمية يتم إرسالها إلى المتعلمين وتكوين أقسام افتراضية عبر منصات التكوين المعتمدة، فتحوّلت المنازل إلى أقسام افتراضية، وتم عبرها تأمين الزمن المدرسي على الأقل في حده الأدنى، وضمان نوع من العدل وتكافؤ الفرص بين المتعلمين في البلد الواحد.

وميزة هذا النوع من التعلّم أنه تخطى قيود الزمان والمكان على مستوى التفاعل بين المتلقي (المتعلم) والموارد الرقمية، فلا يشعر المتعلم بأي حرج في إعادة أو تكرار مشاهدة مقطع أو نشاط تعليمي أو فكرة مرات عديدة حتى يتمكن من فهمها وضبطها، وهذا بخلاف ما هو عليه الأمر في التعلّم الحضور الذي تقيد حواجز الزمان والمكان¹، ويصعب معه تكرار التعلّمات عدة مرات.

¹ - ينظر، درس الاجتماعيات، فريق البحث في ديداكتيك مواد الاجتماعيات، نشر المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، ط 1، 2020، ص 24.24.26.27.

بينما كل هذا يصبح متجاوزا عند الحديث عن التعليم الرقمي الذي يتيح إمكانية إعادة التعليمات، ويتيح أيضا فتح نوافذ عديدة في إطار التعلم الذاتي، والتواصل الإيجابي مع متعلمين آخرين للمزيد من الضبط والفهم، وبذلك نتجاوز الزمان والمكان معا، بعيدا عن الزمن الدراسي في فصل معين، فالكل أضحى افتراضيا، فلم يعد المكان كما كان، أي أن الفصل الدراسي لم يعد بناية معينة وفق هندسة ما، وبوسائل تعليمية تقليدية: لوح وطبشورة أو قلم ومقاعد... وإنما تجاوز ذلك إلى مكان آخر: البيت، والمقهى، والحديقة، والشاطئ...

وهذا النوع من التعليم الإلكتروني يحتاج إلى بيئة تحتية قوية يمكن أن نحدد بعض معالمها في:

- التوفر على شبكة أنترنت ذات صبيب عال، وتغطي كل تراب البلد الواحد، حتى يتمكن كل التلاميذ من الولوج بيسر لمختلف المنصات، ومتابعة الدروس التي تكون على المباشر بواسطة تطبيقات الغرف المغلقة.
- توفير السائل التقنية التي تعين على إنجاح مشروع المحفظة الرقمية من: لوحات إلكترونية، وحواسيب، وهواتف ذكية.
- يُسرُّ أو مجانية الولوج إلى مختلف شبكات ومنصات التعليم الإلكتروني.
- توفير الأمن المعلومات الذي يظل الهاجس الأكبر ونقطة ضعف الرقمنة في مختلف مجالاتها، إذ سرية المعلومات والخصوصية الشخصية للمستفيدين من هذه الشبكات تظل من بين العوائق التي تعيق تطور منسوب الأمان ومؤشر الثقة لدى الزبناء.

• تمكين المدرسين سواء جدد أو أولئك الذين يزاولون بطريقة التعليم الحضوري من تكوين وتأهيل في مجال التعليم الإلكتروني، وتشجيعهم على إنتاج مواردهم الرقمية وتوظيفها بشكل تفاعلي مع متعلميهم، وتزويدهم بمختلف وسائل العمل التي تيسر لهم تنفيذ التعليم الإلكتروني.

2- وزارة التربية الوطنية ومشروع رقمنة التعليم.

وعى المغرب أهمية الانخراط في الرقمنة منذ مدة ليست بالطويلة، ومع ذلك فقد عمل على تقليص الفجوة الرقمية عبر مشروع المغرب الرقمي الذي أعطى انطلاقته ملك البلاد 2009/2013م، والذي عمل على تشجيع الرقمنة في الإدارة والتعليم والمعاملات الاقتصادية وعمل على:

تطوير خدمات الأنترنت سواء السلبي أو اللاسلبي، مما جعله في 2019 من أكبر المستخدمين للأنترنت في الشمال الإفريقي، وهو ما شجعه على إطلاق الجيل الرابع من خدمات الأنترنت.

كما عمل على عقد مناظرات، أبرزها:

المناظرة الوطنية في 2001، حول الاستراتيجية الوطنية لدمج المغرب في مجتمع المعرفة والإعلام، والمناظرة الوطنية في 2002،¹ حول الإصلاح الإداري وتنمية استعمال تكنولوجيا المعلومات: والتي ركزت على معالجة مجموعة من المحاور في مقدمتها، التحسيس بأهمية استخدام الأنترنت،² توظيف تكنولوجيا الإعلام

¹ - المملكة المغربية، وزارة الوظيفة العمومية وإصلاح الإدارة، تقرير مناظرة 2002 حول إصلاح الإدارة، ص 20 و21..

² - نفسه، ص35.

والاتصال في مختلف أسلاك الإدارة المغربية¹.

ولتفعيل هذه الرقمنة فإن وزارة التربية الوطنية ستعمل على الانخراط الإيجابي في هذا المشروع الاستراتيجي عبر إطلاق مجموعة من المشاريع بغية تأهيل الرأس مال البشري، والتقليص من الأمية الرقمية في صفوف التلاميذ، عبر تزويد المؤسسات التربوية بالبنية الضرورية على مستوى تجهيز قاعات متعددة الوسائط بالحواسب وربطها بشبكة الأنترنت، وتعزيز مستوى حضور دروس الإعلاميات في السلك الإعدادي أساسا عبر مادة التكنولوجيا.

أما فيما يخص الموارد البشرية للوزارة فإنها أطلقت مشروعين كبيرين هما:

إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في حقل التربية والتعليم، مما فرض على الوزارة الوصية إقرار تدريس هذه المادة باعتبارها مجزوءة إلى جانب أخرى خلال الموسم التكويني، وعلى الطالب المتدرب بمختلف مراكز التكوين أن يستوفيها، أما المدرسون الذين لم يدرسوا هذا المجزوءة خلال مرحلة تكوينهم، فقد نظمت وزارة التربية الوطنية برنامجا طموحا عرف ببرنامج جيني²، وقد شمل العديد من المدرسين في إطار مواكبة الرقمنة والانخراط في برنامج المغرب الرقمي في أفق 2013م عبر محاور خمسة:

1- تجهيز كافة المؤسسات التعليمية بالعتاد المعلوماتي.

2- الربط بشبكة الأنترنت.

¹ - تقرير مناظرة 2002 حول إصلاح الإدارة، م.س، ص36

² - يعتبر أحد المشاريع المهيكلة للورش الوطني "المغرب الرقمي"

3- تطوير كفاءة الفاعلين التربويين.

4- اقتناع وملاءمة وانتاج الموارد الرقمية.

5- التحسيس بالقيمة المضافة لاستعمال هذه التقنيات.

لكن مشكلة برنامج جنبي أنه لم يكن إلزاميا يخضع للتكوين في أطر التربية الوطنية، مما جعله يدخل في دائرة إذا قام به البعض سقط عن الكل، الأمر الذي لم يسمح بملازمة نتائج جيدة على أرض الواقع، والعملية ذاتها نلمسها بخصوص مشروع برامج MOS. الذي استفاد من مدرسو المرحلة الابتدائية بشكل كبير في رغبة منهم في الحصول على شهادة تؤهلهم لاجتياز مباراة مسلك الإدارة التربوية، وقد عبرت المذكرة الوزارية 0873/19 عن طموح وزارة التربية الوطنية لاستفادة أكبر عدد ممكن من الأطر التربوية والتعليمية من برنامج MOS، وكانت التوقعات على الشكل الآتي:

الأطر التربوية الإدارية:

السنة	2020/2019	2021/2020	2022/2021
المستفيدون	25963	51926	77889

وقد استفاد 2470 إطارا تربويا من التكوين عن بعد خلال شهري أبريل

ومايو، وذلك لاجتياز امتحان شهادة MOS.¹

¹ - بوابة وزارة التربية الوطنية.

المستفيدون من تلاميذ التعليم من المتوقع أن يبلغ عددهم 312374 مستفيدا

2022/2021	2120/2020	2020/2019	2018/2017
5627	46856	37485	1200

المستفيدون من التعليم الخصوصي. من المتوقع أن يصل عددهم إلى 28004

مستفيد عبر السنوات الآتية:

2022/2021	2021/2020	2020/2019
28004	28004	28004

3- الرؤية الاستراتيجية ورقمنة التعليم.

بلور المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي خطة استراتيجية لإصلاح أعطاب منظومة التربية والتعليم بالمغرب تمتد من 2015 إلى 2030. وقد اتخذ لذلك شعارا: "من أجل مدرسة الانصاف والجودة والارتقاء"¹. وقدم مجموعة من التصورات حول السبل الكفيلة من أجل معالجة اختلالات منظومة التربية والتعليم، ووضع تصورا لما يجب فعله لتجاوز هذه الوضعية التي باتت تؤرق الفاعل السياسي والمجتمع المدني والفاعلين في الميدان، والذي يهمننا في هذه الرؤية، هو كيف نظرت إلى التعليم الرقمي؟ وهل استحضرت هذا التحدي في مشروع عملها استشرافا للمستقبل؟

¹ - المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، الرؤية الاستراتيجية 2030/2015، ص 1.

من خلال تصفح مشروع الرؤية الاستراتيجية، نجدها منذ الوهلة الأولى قد استحضرت مشروع التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، فقد نص الفصل الأول، في الراجعة السابعة على ضرورة إرساء مدرسة ذات جدوى وجاذبية،¹ وهذه المدرسة بهذه المواصفات لا يمكنها أن تكون كذلك إلا إذا جددت أساليب عملها، وزادت من الانفتاح على محيطها وتبني مختلف المستجدات التي تجعل عرضها التربوي مقبولا ومواكبا لمستجدات العصر.

كما أنها تنص على ضرورة تنوع أساليب التعليم منبهة على ضرورة إيلاء التعليم العصري المعتمد على التعليم المتلفز وتيسير التمكن من التكنولوجيا العصرية والتعليم عن بعد ما يستحقه من مكانة²، خاصة وأن العالم يشهد تحولا رقميا كبيرا وجب مسابته.

بل أكدت الرؤية على إمكانية جعل التعليم عن بعد خيارا من بين الخيارات التي أخذت تعمل بها وزارة التربية الوطنية على المدى البعيد³، إلا أن هذا الزمن البعيد في مشروع المجلس الأعلى للتربية والتعليم قد قربته جائحة كورونا، فجعلت وزارة التربية الوطنية تسابق الزمن من أجل الانخراط السريع في رقمنة التعليم واعتماد التعليم الإلكتروني خيارا استراتيجيا للرقمي بالمدرسة المغربية.

أما على مستوى الموارد البشرية، فقد نصت الرؤية على العمل من أجل تأهيل

¹ - الرؤية الاستراتيجية، ص 20

² - نفسه، ص 20.

³ - نفسه، ص 21

العاملين في القطاع، على مستوى تشجيع البحث والابتكار والتكوين المستمر الممتد على مدى حياة الموظف، مع ما يواكب ذلك من انفتاح بيداغوجي على مستجدات العصر في قطاع التربية والتكوين، على مستوى المعارف والمناهج العلمية واستثمار التطبيقات التفاعلية والرقمنة.¹

كما انتبعت الرؤية الاستراتيجية إلى ضرورة التجديد في الكتاب المدرسي وعدم الاقتصار على الطابع التقليدي فيه، أي الجانب الورقي، بل لا بد من مواكبة التطور التكنولوجي على مستوى رقمنة الكتاب المدرسي²، مع إعداد استراتيجية وطنية جديدة لمواكبة المستجدات الرقمية.³

وقد أكد الفصل الثالث وبالضبط في الراجعة 20، على ضرورة مواكبة المدرسة المغربية لمختلف التطورات التقنية والتكنولوجية بالإضافة إلى اللغات والبحث والابتكار العلمي والتميز.⁴

وقد فصلت الرؤية في هذا الجانب وذلك عبر النقاط الآتية:

- إدماج ناجح لتكنولوجيا الإعلام والاتصال في المدرسة المغربية.

- استراتيجية المغرب الرقمي.

- إعداد برنامج وطني قصد استكمال تجهيز المؤسسات التعليمية بتكنولوجيا

¹ - الرؤية الاستراتيجية، ص 31.

² - نفسه، الفصل 2، الراجعة 12، ص 35.

³ - نفسه.

⁴ - نفسه، ص 58.

الإعلام والاتصال والقاعات المتعددة الوسائط والوسائل السمعية البصرية مع ربطها بشبكة الأنترنت.

- تزويد المدارس بالموارد الرقمية.

- توفير البرمجيات الإلكترونية والوسائل التفاعلية والحوامل الرقمية.

- رقمنة الكتاب المدرسي ورقمنة المضامين والوثائق التعليمية.

- إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال والثقافة الرقمية.

- تكوين متخصصين في مجال البرمجيات التربوية والإعلامية البيداغوجية وإنتاج المضامين الرقمية.

- تحفيز الشباب لخلق مقاولات متخصصة في إنتاج الحوامل التربوية الرقمية.

- تنمية وتطوير التعليم عن بعد باعتباره مكملاً للتعليم الحضوري.

- الانفتاح على المقاولات والمعهديين في مجال الإعلام والاتصال وطنياً ودولياً من أجل تطوير البنيات التحتية.¹

4- معيقات التعليم الإلكتروني.

نشير في البداية إلى الأرقام التي أعلنت عنها وزارة التربية الوطنية وهي تحاول تقييم تجربة التعليم عن بعد، فقد قدم السيد الوزير مجموعة من الأرقام نحول أن نذكر

¹ - الرؤية الاستراتيجية، ص 60.

منها المعطيات الآتية¹:

- بلغ معدل مستعملي البوابة الإلكترونية Telmid Tice حوالي 600 ألف مستعمل يوميا.

- بلغ مجموع الموارد الرقمية المصورة حوالي 3000 موردا.

- غطت القنوات التلفزيونية العمومية: القناة الثقافية والقناة الأمازيغية وقناة العيون، جميع المستويات المعتمدة بالمدرسة المغربية.

- وصل عدد الدروس اليومية التي تبث عبر القنوات العمومية 56 درسا كل يوميا، بما مجموعه 730 درسا منذ انطلاق عملية التعليم عن بعد.

- إطلاق الخدمة التشاركية Teams المدججة في منظومة مسار لتنظيم الأقسام الافتراضية، وقد بلغ عدد الأقسام الافتراضية 400 ألف قسم، بنسبة تغطية وصلت إلى 25% من مجموع الأقسام حتى فاتح أبريل، و30 ألف قسم بالنسبة للتعليم الخصوصي، أي بنسبة 15%.

- بلغ عدد الأطر التربوية المستفيدين من التكوين عن بعد عبر بوابة خاصة بهم e.takwine إلى غاية فاتح أبريل 23 ألف مستفيد.

- وبدءا من 5 أكتوبر 2020، شرعت وزارة التربية الوطنية عملية بث الدروس المصورة عبر القنوات العمومية، ومنصة Tilmid Tice، حيث وزعت

¹ - المعطيات مأخوذة من تصريح السيد الوزير بخصوص حصيلة التعليم عن بعد الذي أمّلته ظروف جائحة كورونا، وهو منشور على موقع وزارة التربية الوطنية.

القنوات الدروس على الشكل الآتي: قناة العيون تبث دروس المصورة للتعليم الأولي والابتدائي، أما قناة الأمازيغية فتبث الدروس المصورة الخاصة بالتعليم الثانوي الإعدادي، فيما تبث قناة الثقافية الدروس المصورة الخاصة بالتعليم الثانوي التأهيلي.

رغم كل هذه المجهودات فإن التعليم عن بعد على الأقل في المغرب لم يحقق النتائج المرجوة، كما أنه لم يلق قبولا أو استحسانا من لدن فئة عريضة من المجتمع المغربي، التي عبرت عن رفضها للتعليم عن بعد وذلك بما يشبه استفتاء شعيبا، عندما فضلت الغالبية الساحقة من الأسر المغربية تسجيل أبنائها بصيغة التعليم الحضوري إبان طلب الوزارة من الأسر الاختيار بين صيغتي التعليم: الحضوري أو عن بعد، خلال الموسم التعليمي 2021/2020، فكانت النتائج غير متوقعة: إذ عبرت أكثر من 90% من الأسر المغربية أن يدرس أبنائها حضوريا، مما أربك حسابات وزارة التربية الوصية، التي لم يكن أمامها من خيار سوى اللجوء إلى التعليم الحضوري بصيغة التناوب أمام ضغط الجائحة، وضرورة احترام البرتوكول الصحي الذي اعتمدته الوزارة.

ويمكن أن نتلمس في هذا الخيار رفض التعليم عن بعد في العديد من الجوانب لعل أبرزها:

- ضعف البنية التحتية للتعليم الإلكتروني على مستوى:

• توفير الأجهزة الضرورية من حواسيب ولوحات إلكترونية وهواتف ذكية وطابعات وماسحات ضوئية.

• تكوين موارد بشرية مستوعبة للتعليم الإلكتروني، وضابطة لآليات

استغلاله.

• تشجيع رقمنة الكتاب المدرسي، وإنتاج الموارد الرقمية، والدروس

التفاعلية.

• الانتقال إلى مستوى المحفظة الإلكترونية التي ستعوض المحفظة التقليدية.

• تغطية قوية لشبكة الأنترنت ذات صبيب قوي، يمكن من متابعة الدروس

والانخراط في الأقسام الافتراضية، في كل أنحاء الوطن دون تمييز بين المدينة والبادية

والجبل، فقد ظلت العديد من مناطق المغرب غير مدرجة في الشبكة الوطنية

للأنترنت مما حرم عددا كبيرا من المتعلمين من فرص التعلم وتكافؤ الفرص بين كل

أبناء الوطن.

• مشكلة الفقر الذي ينهش العديد من الأسر التي لم تستطع توفير مستلزمات

التعليم الإلكتروني، بالإضافة لمشكلة توفير بطاقات التعبئة.

• مشكلة الأمية في صفوف الأسر عامة، وبالأخص في صفوف الأمهات

اللائي يتابعن أبنائهن في عملية التعليم عن بعد، وصعوبة إلزامية أبنائهن على التعليم

والمواكبة المستمرة للدروس وضبطهم.

• صعوبة التأكد من مدى استيعاب المتعلم للمعارف المقدمة عبر تقنية التعليم

عن بعد، مما يصعب معه صعوبة التقويم وخطط المعالجة والدعم.

• ضعف التواصل البيداغوجي بين المدرسين والمتعلمين.

• التركيز على الجانب النظري في العملية التعليمية، وإغفال للتجارب

والتطبيقات.

• إهدار الوقت الكثير من زمن المتعلم الذي يقضي الساعات الطوال أمام شاشة الحاسوب أو الهاتف، مما ينعكس سلبا على بناء شخصيته التي تميل إلى الانعزالية، وتنامي النزعة الفردية عنده.

• ينعكس سلبا على صحته البصرية، فقد أكد الخبراء في ميدان طب العيون أن مكوث المتعلم الذي هو في بداية مراحل تكوين جسمه لمدة طويلة أمام الحاسوب أو الهاتف قد يؤدي إلى مشاكل على مستوى البصر واختلالات على مستوى العمود الفقري والرقبة.

• سوء برمجة الحصص الدراسية عن بعد والتي لم تعد تحترم الفترة الزمنية المبرمجة في المدرسة، ومنحت الصلاحيات للمدرسين الذين يكتفون زمن الحصص الدراسية حسب ظروفهم وظروف أولياء أمور المتعلمين، فوجدنا بعض الحصص ترمج في الليل، مما يعني أن المتعلم يقضي سحابة يومه في فراغ تام لا يقوم فيه بأي فعل تربوي.

• صعوبة تلبية الأسر لحاجات المتعلمين على مستوى توفير الأجهزة الإلكترونية لأبنائهم المتمدرسين، خاصة إذا كان عددهم أكثر من واحد، فكل متعلم وجب أن يتوفر على لوح أو حاسوب أو هاتف، ولنا أن نتصور مدى معاناة العائلات المغربية الفقيرة في هذه القضية.

• صعوبة التتبع الدقيق للأسرة لأبنائها المتعلمين، خاصة في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي، الذي يفرض على أولياء الأمور المكوث بجانب أبنائهم حتى تنتهي الحصص الدراسية.

• تنامي خطر الإدمان على الأنترنت، وسياد علاقة الإنسان مع الآلة، مما تترتب عليه آثار سلبية على إنسانية الإنسان.

خاتمة:

لعل ما يمكن أن نركز عليه في ختام هذه الورقة، أن مسألة العناية بالتعليم عن الإليكتروني/ التعليم عن بعد لم تعد ترفاً فكرياً، أو موضوعاً يناقش في الغرف المغلقة، ويدبج في المذكرات والأطر المرجعية. بل وجب منحه ما يستحق من راهنية فرضتها جائحة كوفيد 19، والتي أعادت بشدة ضرورة طرح موضوع التعليم عن بعد للنقاش، وجعلته في الواجهة، بل أضحى خياراً استراتيجياً، وجب تطويره وتوفير بنية تحية صلبة لإنجاحه، وضمان تكافؤ الفرص بين كل أبناء المغاربة، ولعل التفكير السليم في هذه المرحلة هو العمل الجاد في ضرورة التخلي عن الكتب المدرسية الورقية واعتماد الكتب الإليكترونية التي يمكن أن تتيح للمتعلم إمكانات هائلة للتعلم الذاتي.

المحفظة المدرسية الذكية¹

د. عبد العزيز غوردو

المركز الجهوي لمهن التربية والتعليم لجهة الشرق

مقدمة

فكرة مشروع "المحفظة الذكية" تعود إلى سنة 2007م، لكن لا المكان ولا الإمكانية إذك كانا يسمحان بإخراجها إلى الوجود. كان علينا إذن أن نغير إطارنا الإداري ومنتظر عشر سنوات بعد ذلك (أي حتى حلول سنة 2017م) لتصدر الوزارة الوصية مشروع تطوير البحث العلمي التربوي في المراكز.

هكذا، وفي سنة 2017 انخرطنا في هذا الورش الإصلاحية الكبير ودعونا إلى تأسيس "مركز علمي تربوي خاص بالمحفظة المدرسية الذكية"، لكن مع الأسف لم يتم استيعاب الفكرة كما أردناها - أو أننا كنا عاجزين عن إيصالها بشكل صحيح - بحيث بدت فكرة تخصيص "مركز بحثي كامل" لـ "المحفظة المدرسية" مسألة عسيرة على الفهم، بله الانخراط فيها، فكل ما تحتاجه، أو يمكن أن تحتاجه، "محفظة" - أي محفظة - هو فريق بحث من ثلاثة أفراد أو أربعة أو حتى خمسة، ولا حاجة بها إلى

¹ - وجب التنبيه إلى أمرين أساسيين هنا: أولاً) هذه الورقة أرضية نظرية مُفكَّر فيها بما هي إنجاز أصيل، ولذلك سيلاحظ القارئ بأنها خلقت من الإحالات والهوامش بالمعنى الأكاديمي؛ وثانياً) يمكن الشروع في تنزيل هذا التصور/المشروع تدريجياً، إذ ليس ضرورياً أن نشرع فيه بالنسبة لجميع المستويات والشعب، كما أنه ليس من الضروري تنزيهه في الوسط القروي والحضري دفعة واحدة؛ إنه مشروع قابل للتنزيل - بعد تجريبه - على مستويات، بحيث يستحضر الظروف وشروط التنزيل الواقعية، لكنه ينطلق من مبدأ: ما لا يدرك كله لا يترك جله.

"مركز" كبير أو حتى "مختبر بحثي"! لكن هل استحضرننا العملية البحثية في هذا المشروع في أبعادها الأفقية والعمودية الممتدة والمتشعبة؟

صرفنا النظر عن هذا المشروع إذن، مؤقتاً، لأن استيعابه لن يتحقق إلا من خلال ضرب الأمثلة، حتى يتأكد فعلاً بأن تعقيداته تفقأ العين. فتم تأسيس فريق بحث (من ثمانية أفراد) للاشتغال، من باب التجربة، على كتاب مدرسي ذكي تفاعلي، خاص بمادة الاجتماعيات للسنة الثانية ثانوي إعدادي، غير أن العملية انتهت إلى الفشل، لكنها مكنت على الأقل من مراكمة التجربة في هذا الباب، أولاً، وفتحت الأعين على الصعوبات التي يمكن أن تعترض مشاريع من هذا النوع يمكن أن تُنجز مستقبلاً، ثانياً؛ ولذلك فنحن لا نعتبرها فاشلة تماماً، بل حجرة في هذا البناء الكبير.

ثم كنا، والعالم كله، بحاجة إلى هزة عنيفة بحجم جائحة كورونا (كوفيد 19) لنقف على رؤسنا، وندرك بأننا لا نحسن وضع السيناريوهات والاستراتيجيات في مجال التربية والتعليم جيداً، وربما نحن أسوأ حتى في باقي المجالات الأخرى (لا دليل على ذلك أحسن من التخبط الذي وقع فيه الاقتصاد العالمي وعثرته الجائحة إياها)؛ فجأة وقفنا على معضلة عvisية على الحل: "التعليم الحضوري" (بالمعنى الرسمي) مستحيل التحقق، فما هو البديل؟ (هذا إشكال كبير لكن من ورائه يتبدى إشكال أكبر يتعلق بالتقويم "الإشهادي" عن بعد). طبعاً رحنا نتخبط كما تخبط العالم، ومعلوم بأنه في كل تخبط لا يمكن أن يحضر إلا منطق الارتجال من باب محاولة تجاوز الأزمة، واعتبارها ظرفية، وانتظار لحظة الفرج. لكن ماذا لو طالت الأزمة

(وهو ما حدث نسيباً فعلاً)؟ وماذا لو عادت بعد سنتين أو ثلاث... أو حتى عشر؟ وماذا لو عادت في صورة أخرى؟ لا يمكن إذن أن تكون الحلول ظرفية، أو ارتجالية، أو هما معاً؛ الحلول أو البدائل ينبغي أن يكون مُفكِّراً فيها بتأن وروية، ومؤسسة على تصورات رصينة وهادئة، وتتغىب الاستمرارية والدوام؛ مع قابليتها للتجريب والتقويم طبعاً. من هنا تقاطعت جميع المقومات والظروف لتجعلنا نعيد إحياء المشروع وبعثه من جديد، على أمل ألا يُفكَّر فيه – وبالذات من الوزارة الوصية – على أنه بحث أنجز ليوضع على الرفوف، أو في أحسن الحالات ليقرأ ويُستفاد منه في الدرس التربوي النظري الأكاديمي، فنحن لا نرى أي فائدة من مثل هذه البحوث (الموسومة بالتدخلية عموماً) إذا ما تم الاكتفاء بنشرها في المجلات والكتب والدوريات... دون تنزيل واقعي، أو على الأقل طرحها للمدارسة والتقويم، ومن ثم قبول، أو رفض، التفعيل والأجراً عن بيئته؛ لأنها ليست بحوثاً نظرية من أجل الترف الفكري والممارسة الرياضية الذهنية...

هذا إذن بحث تربوي تدخلي، موضوعه إحداث ثورة على المدرسة التقليدية، من مدخل المحفظة المدرسية، والاستعاضة عن التقليدية منها بالذكية؛ فماذا نقصد بالمحفظة المدرسية الذكية؟ ولماذا مركز بحثي كامل لتنزيل هذا المشروع؟ وكيف نبني "محفظة ذكية"؟

المحفظة المدرسية الذكية: محاصرة المفهوم

"المحفظة المدرسية الذكية"، أو "الإلكترونية التفاعلية"، حدٌ وسط بين حدّين، يتجاوز ويستوعب الحد الأدنى لكنه لا يتحقق إلا من خلاله؛ ويرنو إلى

تحقيق الحد الأعلى الذي يشكل طموحا وتحديا بالنسبة إليه.

فأما المستوى الأدنى فهو "الكتاب المدرسي الذكي" (أو الإلكتروني التفاعلي) الذي يشكل ركيزة أساسية ومكونا مركزيا من مكونات هذه المحفظة، ومن دونه لا يمكن الحديث عنها أصلا؛ أما المستوى الأعلى فهو "المدرسة الذكية" (المدرسة بمعناها العام وليس كناية عن المستوى الابتدائي كما في التعريفات الرسمية)، التي تتحقق من خلال المحفظة الذكية، لكن في سياق آخر أعم وأشمل يستحضر باقي العناصر التي تشرط العملية التعليمية والتربوية (البيئة والمجتمع والمناهج والمقررات والبنية المادية والموارد البشرية...); وهكذا فإن مدرسة ذكية لا يمكنها أن تتحقق إلا من خلال دعائم عدة متكاملة، ومن ضمنها توفير "المحفظة الذكية"، وهذه لا تتحقق إلا من خلال "الكتاب المدرسي الذكي".

فليس الهدف أن يكتب التلميذ بالورقة والقلم، بل الهدف أن يكتب؛ وليس الهدف أن يقرأ على نص ورقي، بل أن يقرأ... فإذا طلبت من التلميذ كتابة كلمة فلا يعني ذلك أن يكتبها بالضرورة بالقلم على صفحة ورقة أو بالطبشور على السبورة، مادام أن نقرة على لوحة المفاتيح ستؤدي المطلوب... لا تهم الوسيلة هنا بل الهدف، وبالطريقة التي تسهل العمل على التلميذ ويجبها ويرغب في القيام بها... فنحن اليوم لا نكتب بالريشة والدواة كما كنا نفعل قبل أربعين أو خمسين سنة، ولا أحد أصبح يقول لنا بأنه لا بد من التعلم بالريشة والدواة قبل المرور إلى قلم الحبر الجاف (رغم أننا كنا نعاقب بقسوة في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي إذا كتبنا بقلم الحبر الجاف!)؛ فليس ضروريا أن نمر على عصر البخار حتى نصل إلى الكهرباء، كما قال

لينين يوما. إن التفكير بهذه الطريقة، في هذا المستوى المنهجي، يجعلنا نعيد النظر حتى في مسلمات اعتدنا التعامل بها، ليس على المستوى المدرسي التعليمي بل على المستوى الأكاديمي إبستمولوجيا؛ ومثال على ذلك يمكن أن نستحضر علم الخرائط، أو الكارتوغرافيا، وهو مثال سنعود لتطوير النقاش حوله لاحقا، ضمن نقاشنا للدعامات التي يمكن أن تسند محفظتنا هذه.

المحفظة الذكية أيضا مشروع مجتمعي، وليس مؤسساتيا فقط، صحيح يحضر فيه الجانب المؤسسي الرسمي بقوة، لأنه يُمكن من احتضانه ويعمل على تنزيله وإرسائه فيسهل عملية إدماجه في المجتمع التربوي، والمجتمع عامة، لكن هذا المجتمع (العام) مدعو أيضا للانخراط فيه من خلال التفكير في الإعلاميات بما هي "ثقافة رقمية"، وليس مجرد أداة للاتصال والتواصل الاجتماعي وبعض الترفيه.

إن زمن المحفظة الذكية بات ملحا إلى درجة أن تبريره سيبدو للقارئ فائضا عن الحاجة، ومع ذلك فإننا سنعيد التذكير بهذه المبررات النظرية حتى تقوم مدخلا يمكن التأسيس عليه. فمن حيث البنية تختلف المحفظة المدرسية التقليدية، المتداولة حاليا، من تلميذ إلى آخر وتبعا لمجموعة من الظروف (المستوى الدراسي؛ الإمكانيات المادية؛ الاعتبار الثقافية للأسرة...) مما ينتج عنه تعدد واختلاف في شكل المحفظة التقليدية وبنيتها؛ أما من حيث حملتها فهي ترهق كاهل جميع المعنيين بالشأن الدراسي (أساتذة؛ آباء؛ تلاميذ خاصة الصغار منهم)؛ كما تتميز بتكلفتها المالية الكبيرة، حيث يترتب عن مكوناتها أعباء مالية ترهق كاهل الأسرة والوزارة الوصية؛ علما بأن هذه النفقات تتجدد سنويا مع كل دخول دراسي جديد؛ فضلا عن

أنها باتت متجاوزة بالنظر إلى الطموح نحو الانخراط في العالم الرقمي... وينتج عن كل هذا تعليم مكلف؛ مرهق؛ يتميز ببطء الأداء وقلة النجاعة والفاعلية.

أما المحفظة الذكية (الإلكترونية) فهي محفظة عصرية، منفتحة على محيطها، وعلى العالم، ويمكنها أن ترافق التلميذ في مستويات عدة في مساره الدراسي وتعفيه من شراء الدفاتر والكتب المدرسية؛ كما أنها تساعد على إدماج تكنولوجيا المعلومات في نظامنا التربوي؛ وتستجيب لتصورات الأجيال الصاعدة في التعلم (جيل نشأ على الصوت والصورة فلا داعي لإرهاقه بالأنظمة والطرائق التعليمية التي تعلمنا بها نحن في الماضي)؛ وكذا بناء منظومة للتقويم تعتمد على الطرائق الحديثة...

المحفظة الذكية إذن تجمع كل المقررات الدراسية للمستوى الواحد في لوحة واحدة، أو حاسوب؛ شريطة أن يتم بناء الكتب المدرسية بطريقة تفاعلية إلكترونية (تستنفد كل ما تتيحه التكنولوجيا الحديثة من صوت وصورة وفيلم وغير ذلك؛ وترتكز على كفايات تعلم المتعلم كيف يتعلم)؛ وهي (أي المحفظة الذكية) تفتح إمكانية استعمالها لأغراض أخرى (الكتابة؛ الحساب؛ التواصل مع عائلة التلميذ - عبر النت -؛ وتحقيق الترقى الذاتي للمتعلمين؛ وتراعي التعلمات وتقويم التعلمات من مدخل الكفايات...).

فهي إذن مكثفة بذاتها، ومنفتحة على العالم باللغة التي يفهمها، وفوق كل ذلك قابلة للأجراًة والتطبيق حتى لو كانت مناطق استعمالها محدودة مجالياً (حيث يمكن بداية تطبيقها في المناطق التي توفر بنية مادية واجتماعية مناسبة)؛ ذلك أن

إدماجها ضمن المجتمع التربوي، والنسق المغربي عموماً، لا يعني إما كل شيء أو لا شيء، بل يمكن إدماجها بالتدرّج وفق ما تسمح به الظروف والإمكانات.

مبررات الـ"مركز" الخاص بـ"المحفظة الذكية"

ما هي مبررات هذا الـ"مركز" الخاص بـ"المحفظة الذكية"؟ للإجابة على هذا السؤال ينبغي تمثله، والتفكير فيه، من مدخلين مركزيين: مدخل أفقي وآخر عمودي.

المدخل الأفقي: نقصد به المقررات الدراسية الخاصة بكل مستوى، وبكل شعبة؛ وهكذا فعندما نقول مثلاً: "المحفظة المدرسية الذكية" الخاصة بالسنة الثالثة ثانوي إعدادي فإنه ينبغي استحضار جميع ما يمكن أن تتضمنه هذه المحفظة من مكونات. فعلى مستوى الكتب، مثلاً، فإن التلميذ يحتاج إلى كتاب في اللغة العربية وآخر في اللغة الفرنسية وثالث في الاجتماعيات ورابع لعلوم الحياة والأرض وهكذا... فإذا نحن نحتاج إلى "فرق تأليف" كثيرة خاصة ومؤهلة، حتى نتمكن من إنتاج كل هذه المقررات.

المدخل العمودي: التفكير من هذا المدخل يجعلنا نتمثل العملية على مستوى كل مادة دراسية على حدة، فإذا أخذنا مادة الاجتماعيات، مثلاً، فإنها تراقبنا منذ السنة الرابعة من السلك الابتدائي، فإذا ثلاث سنوات في هذا السلك، ومثلها في الثانوي الإعدادي، ومثلها أيضاً في الثانوي التأهيلي مع التنصيص في هذا السلك (أي التأهيلي) على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار حضور تخصصات شتى، وهذا التصور إذن يجعلنا، مرة أخرى، أمام فرق تأليف كثيرة، ويمكن أن يتضاعف العدد

مرتين على الأقل، إذا استحضرننا مبدأ تعدد الكتب المدرسية، أي وجود كتابين - على الأقل - لكل مستوى دراسي حتى تحضر المنافسة، ومن ثم الجودة، بعيدا عن منطق المحاصصة والمقاطعات.

نحن عمليا إذن في حاجة إلى عشرات، أو حتى مئات، المؤلفين الذين لهم من المعرفة الأكاديمية والعدة المنهجية والخبرة التربوية (خاصة في مجال النقل الديدكتيكي) والمعرفة المعلوماتية... ما يكفي للتصدي لهذا المشروع، و"تحمل" مسؤوليته العلمية الكبيرة والجليلة، بعيدا عن منطق الربح والخسارة بالمعنى المقاولاتي الضيق.

فإذا أضفنا لذلك أن هذه المحفظة الموسومة بالذكية، على الأقل كما نتصورها،¹ يجب ألا تتضمن أي شيء آخر غير اللوحة الإلكترونية أو الحاسوب - أي أن التلميذ أو المتعلم لا يجب أن يحمل معه، وهو ذاهب إلى المدرسة، في النهاية أكثر من لوحة أو حاسوب - فيجب إذن استحضار أطقم أخرى متخصصة في مجالها (الإعلاميات) لتوفير هذه العدة؛ إذ الهدف كما ألمعنا إلى ذلك من قبل، هو أن يكتب التلميذ أو يقرأ أو يحسب... وما دام بإمكانه فتح ملف "وورد" أو "إكسيل"، أو غيرهما، وتخصيصه لمادة معينة فإنه يمكن اعتبار هذا الملف يقوم مقام دفتر لهذه المادة أو تلك، فلا نحتاج عندها ورقا ولا قلما ولا ألوانا أو بركارا...

نخلص إذن إلى أننا في الواقع نحتاج "جيشا" من المتطوعين الباحثين ورجال

¹ - يمكن في محطة أولى الاكتفاء بالكتب المدرسية إلكترونيا، مع الاحتفاظ بالمكونات الأخرى من دفاتر ولوحة/أردواز وأقلام... كما هي في صورتها التقليدية - مرحليا -.

التربية والإعلاميين وربما حتى من كتاب السيناريو والمصورين (فقد نحتاج مثلا تصوير تجربة في مختبر كيميائي، أو خرجة دراسية، ونقلها بالفيديو ضمن الكتاب المدرسي...)؛ وبالتالي ضرورة إحداث "مركز" فعلا لهذه "المحفظة" حتى يتم تنزيلها على أرض الواقع.

قطعا سيكون المتضرر الأول من العملية كلها هو التأليف الورقي، ما دام أن كل شيء ورقي سيعدم - على المدى البعيد أو ربما المنظور - ومع هذا الإعدام لما هو ورقي سيتم إعدام عدد من دور النشر، واللوبيات التي تدور في فلكها، لكننا لا ننظر للعملية من هذه الزاوية فقط؛ فالمشروع مجتمعي أولا، أي أن فائدته لا يجب أن يُنظر إليها من زاوية استفادة فئة معينة، بل فائدة الجميع، أي تماما كما تحضر "المصلحة العامة" (الدولة بوصفها صاحبة السيادة) عندما نريد شق طريق أو إنشاء سد... حيث يتم المشروع حتى لو تضررت بعض الأسر من ضياع أراضيها التي ستعمرها مياه السد، أو تخرقها الطريق؛ فنحن في هذه الحالة - ومع تعويض الفئات المتضررة طبعا - لا ننظر إلى المصلحة الخاصة لهذه الجماعة من الأسر، بل ننظر لفائدة المشروع وقيمتها العامة. أيضا وجب التنبيه في هذا الباب إلى أن دور النشر، في هذا العصر عموما، مدعوة لتحديث آلياتها، فالكتب والمجلات والجرائد... الورقية تسير في طريقها إلى الانقراض، بغض النظر عن مشروع "المحفظة المدرسية الذكية"، وبالتالي فدور النشر التي لا تضع في حساباتها هذه التحولات التكنولوجية المتسارعة ستقرض أيضا، فالمسألة شبيهة تماما بما يحدث في الانتقاء الطبيعي. من جهة ثانية إن "المحفظة المدرسية الذكية" ستوفر فرص شغل من طبيعة أخرى، وتوفر على الدولة

ميزانية ضخمة، في طباعة وإعادة طباعة الكتب وشراء حقوق النشر واستيراد الورق وباقي الأدوات المدرسية الأخرى مما يمكن أن توفره المحفظة الذكية، وفوق ذلك كله هناك "حبة الفراولة فوق الكعكة" المتمثلة في الحفاظ على البيئة، فالمحفظة الذكية هي محفظة صديقة للبيئة بامتياز.

بناء الكتاب المدرسي الذكي: خطوة أساسية نحو بناء المحفظة الذكية

تأسيسا على ما سبق فالمحفظة الذكية هي لوحة أو حاسوب، يمكن أن يستوعب جميع المواد الدراسية، كما يمكن أن يكون وسيلة للتواصل مع الآباء، عبر النت ومباشرة من داخل الفصل الدراسي، وقد يسمح بأمور أخرى تقنية كثيرة يعلمها أهل الاختصاص أكثر منا؛ لكن ما يهمننا هو أنه صالح لأن يكون أداة للكتابة، وأداة للقراءة، وأداة الحساب، وأداة للرسم، وأداة لنقل تجربة كيميائية في المختبر، وأداة للتواصل الإداري... وفوق ذلك كله يمكنه أن يرافق المتعلم/التلميذ لسنوات طويلة قادمة. حاسوب واحد يغني عن العبء الثقيل الذي يحمله التلميذ؛ ويمكن حفظ محتوياته في حاسوب مركزي عند الأستاذ أو الإدارة التربوية... فالشأن التدبيري اليومي سهل جدا، المهم هي النقلة النوعية الكبيرة، التي تسمح بها الفكرة، في المجال التربوي؛ وخصوصا في مجال بناء المقررات والكتب المدرسية، فكيف يمكن بناء كتاب مدرسي تفاعلي/رقمي؟

لن نتحدث هنا عما يجب أن يتوفر في الكتاب المدرسي من شروط بيداغوجية وديداكتيكية، ذلك أن سوق البحث في هذا المجال قد استنفدت أغراضها فيما نعتقد، ولم يهلك المدرسة المغربية عموما، بالإضافة إلى السياسة السياسية، أكثر من

الإغراق في النظريات والتنظير، وإعادة ما ينشر في الأدبيات التربوية الغربية، باللغة العربية، بل وحتى عند محاولة بناء تأليف مدرسي " وطني " فإننا كنا نبدو دائما عاجزين عن تجاوز مستوى الترجمة والنقل، والقفز عليه، أو اختراقه، بالاجتهاد في مجال الإبداع الذي يفتح التصورات، والآفاق، نحو عمل تربوي أصيل يمكنه أن يحمل علامة " صنع بالمغرب " .

الكتاب المدرسي التفاعلي الجديد - الذكي أو الإلكتروني - الذي نقترحه إذن يطمح للانتقال بتجربة التأليف المدرسي إلى هذا المستوى الإبداعي، الذي يفترض أن تتحقق فيه شروط الإنجاز التربوي، دون الخوض فيها نظريا من جهة، والاستجابة للغة العصر/الإعلاميات، من جهة ثانية.

أولا) مفهوم الكتاب المدرسي التفاعلي الجديد

الكتاب المدرسي الذي بين أيدينا (الورقي أو الورقي الذي يتم تفريغه حاليا فيما يسمى بالإلكتروني) نشأ في ظروف معينة خلال القرن التاسع عشر، وبما أن طبيعته ورقية تستهدف جمهورا قارئاً/كاتباً، فإنه اعتمد وسائل تربوية (أو معينات أو دعومات... لا تتم مناقشة التسمية في هذا المستوى) مقروءة قبل كل شيء، ولذلك فإن بنيته الأساسية تقوم على المكتوب (المتون والنصوص)، وعندما تفتن المؤلفون بعد ذلك إلى ضرورة إدخال وسائل تربوية أخرى لم تسعفهم الطبيعة الورقية لاعتماد غير البصري المسطح، فتم إدخال الصورة والخريطة والرسم والجدول والخطاطة... أما الآن فإن الإعلاميات توفر لنا مساحة رحبة من الدعومات، ولذلك لا يجوز بتاتا - عندما نفكر في تأليف الكتاب المدرسي - أن نبقي حبيسي التصورات والظروف

التي كانت سائدة من القرن 19 وحتى ثمانينيات القرن 20، أي زمن إنتاج الكتاب الورقي. ولذلك فإن الكتاب المدرسي الإلكتروني الذي نريده لا يعني مجرد نقل الكتاب كما هو في صيغته الورقية ليصبح متوجا إلكترونيا قابلا للتصفح على اللوحة الإلكترونية أو الحاسوب، بل شيئا آخر تماما؛ ولأجل تقريب الصورة لا بد من ضرب الأمثلة من خلال المادة الدراسية التي خبرناها، أي الاجتماعيات، على أن ما يجري عليها يمكن أن ينسحب على غيرها من المواد الدراسية الأخرى؛ أي أن الأفكار المعروضة هنا هي عبارة عن أطر مرجعية يتم فيها تفريغ المواد الأخرى حسب خصوصياتها.

قلنا بأن الكتابة - ومنها الكتاب - بالورقة والقلم اختراع تاريخي بشري في وقت معين، ويبدو أنها اليوم تسير في طريق الانحسار - أو حتى الانقراض - مفسحة المجال لتكنولوجيا جديدة؛ وفي اعتقادنا لا معنى لأن نقول بأننا نبني مقررات باستغلال التكنولوجيا الحديثة، تتفاعل معها وتستوعبها الأجيال الحالية أفضل من غيرها، إذا كان كل ما نقوم به هو مجرد تفريغ كتاب ورقي في آلة/حاسوب أو لوحة؛ بل لا بد من أن نستنفد كل ما تتيحه لنا هذه التكنولوجيا الحديثة من صوت وصورة وفيلم وغير ذلك... مع التركيز على كفايات تعلم المتعلم كيف يتعلم، وحيث يكون "المعلم" فعلا مجرد موجه للعملية، ولذلك نقترح أن يتم بناء دروس المقرر، أي مقرر، ليس على أساس كمي بل كيفي، (فالمهم في رأينا ليس عدد الدروس، أو الوحدات، الكثيرة بل نماذج يكتسب من خلالها المتعلم طرائق البحث) ما دام أن الأمر يركز على اكتساب آليات التعلم الذاتي؛ بناء على التصور التالي:

لنفترض بأننا في مستوى السنة الأولى إعدادي عند درس "ظهور الإسلام...؛ فبعد أن يتم تحديد الحاجيات (وضع سيناريو بيداغوجي)، أي الأهداف والوضعيات وغيرها... يشع في التنفيذ، أو الإخراج، وهكذا مثلا إذا تم الاستشهاد بآية قرآنية يتم استحضارها بالصوت والصورة/الفيديو مثلا؛ وإذا احتاج الأمر صورة للكعبة يمكن استحضارها بأبعادها الثلاثة، أو حتى اقتطاع مشهد أو لقطة من فيلم تاريخي، أو وثائقي؛ وإذا استدعى الأمر الإحالة على نص للطبري يمكن المناداة على المصدر الأصلي، وإظهاره للتلاميذ في شكله المطبوع، ثم الإحالة على الجزء والصفحة، أو الانتقال إليه مباشرة على رابط الشبكة العنكبوتية، وهكذا... وبالتالي يتم ربط ذهن المتعلم باللغة التي يرتضيها وهي لغة عصره، أي الصوت والصورة (المرئي والمسموع)، وفي الوقت نفسه يكتسب مهارة البحث واستقصاء المعلومة من مصدرها (النت مثلا).

وإذا كنا بصدد تأليف درس في الجغرافيا فيمكننا توظيف الصوت والصورة والفيلم بالطريقة نفسها، حيث نستغل كل المساحة التي توفرها لنا هذه التكنولوجيا، عوض الاقتصار على المتن المكتوب أو الصورة الصماء أو الخريطة المسطحة...

إن تجاوز الكتاب الورقي والاتجاه نحو الكتاب التفاعلي/الذكي يجعلنا نتجاوز ما هو مسطح، جامد، إلى الحركي متعدد الأبعاد... وهو ما نسعى إلى تطوير النقاش حوله في هذه الورقة، بل ومنتقل به من مستوى التنظير إلى مستوى الأجرأة والفعل، حيث تقدم الكارتوغرافيا، بوصفها أحد المكونات الأساسية لمادة الاجتماعيات عموما، والجغرافيا خصوصا، مختبرا حيا للتجربة على مستويين: باعتبارها رافدا من

روافد الاشتغال والبحث والتطوير، أولاً؛ وبما توفره من بنية تحتية قوية لدعم الدروس (بناء التعلّات وتقويمها) في جميع المستويات التعليمية، ثانياً.

فمن المعلوم بأن الكارتوغرافيا تطورت في مجتمع علمي اتسم بالتسطيح، ولا نعني بالتسطيح هنا أي معنى قدحي قد يتبادر إلى الذهن، بل نعني شكلاً من أشكال فضاء الاشتغال كذاك الذي ساد عالم الرياضيات في الهندسة الأوقليدية، وقام لوباتشيفسكي وريهان بالانقلاب عليه، منذ القرن التاسع عشر.

انطلقت الكارتوغرافيا في رسم الخرائط منذ زمن بعيد، إن تاريخها يغوص في القدم، منذ إراتوستينس والشريف الإدريسي والآخرين... لكنها ظلت تشتغل دائماً على الشكل المستوي، ثنائي الأبعاد، باستثناء الحالات التي يكون فيها الكارتوغرافي مشتغلاً على المجسمات، التي عرفت بنماذج الكرة الأرضية. كان هذا الاشتغال على الأسطح المستوية، ثنائية الأبعاد، يعني بالضرورة كما هو معروف اللجوء إلى تقنيتين مركزيتين في إعداد أي رسم خرائطي؛ فيما أن الأرض جرم كبير "كروي" فإننا نستدعي عند تمثيله مبدأ أي التصغير وزاوية السمّت، أي ما يعرف بـ"السُّلم" و"الإسقاط"، فالسلم يجعلنا نحترم مبدأ التناسبية، والإسقاط يجعلنا منطقيين أكثر عند تمثيل المجسمات؛ غير أن ذلك - كما يعلم الجغرافيون - لا يخلو من عيوب وتشويهات، تزداد أكثر كلما ابتعدنا عن مركز الإسقاط، وتنعكس بشكل حاسم في شبكة الإحداثيات الوهمية، فتشوهها تماماً، ومعها يتم تشويه مساحة الأبعاد المثلثة، القارية والمائية، فيصبح عندها "السلم" فاقداً لأي معنى، حيث تتسع مناطق ودول وتضيق أخرى حسب شكل الإسقاط المعتمد... وعبثاً حاول الرياضيون والكارتوغرافيون حل هذه المعضلة إلا أن ذلك كان من دون نتيجة، لأن

الأمر لا يعدو ضربا من ضروب "تربيع الدائرة".

ما الذي يجري الآن؟ وما الذي نقترحه في هذه الورقة؟

ما يجري حاليا شبيه بالانقلاب الذي حصل على الرياضيات، حيث مع الثورة المعلوماتية، أصبح بالإمكان إضافة أبعاد أخرى إلى فضاء "أوكليدس" المسطح، فلم نعد مضطرين للاشتغال على المسطحات، أو المستويات، حتى عندما نكون أمام شاشة حاسوب، مسطحة مبدئيا، إلا أنها توفر لنا بفضل "البرانم" المختلفة أبعادا تتجاوز مجرد بعدي الطول والعرض بكثير. إن هذه الإضافة النوعية ستجعل علم الكارتوغرافيا يُثوّر نفسه، فما عاد بعد الآن مضطرا إلى تسطيح الجسم الكروي، بل يمكنه أن يرسمه على حقيقته، طبعا مع تضافر جهود الخوارزميات، وبالتالي يمكن الاستغناء بتاتا عن الإسقاطات التقليدية؛ وبالمثل فإن السلم أيضا لم يعد ثابتا بل نسبيا بما أن خاصية التكبير والتصغير باتت متاحة على الحاسوب، ما يعني أن المساحة الممثلة على الخريطة يمكن أن تخضع للتكبير والتصغير حسب الطلب والحاجة... إن مستقبل الكارتوغرافيا إذن محسوم بموت "الإسقاط" و"السلم" التقليديين، وإحلال أنظمة خرائطية جديدة متعددة الأبعاد والإسقاطات والسلام.

ففي درس الاجتماعيات، أو في غيره، يمكن الاستفادة إذن مما تتيحه الأبعاد المختلفة، غير المسطحة المرتبهة بالطول والعرض، وبخاصية التكبير والتصغير (تماما كما يحدث في كثير من القنوات التلفزيونية عند تقديم النشرات الجوية مثلا)؛ بحيث يصبح المعلم والمتعلم معا مدعوان للتعامل مع الخريطة، موضوع الفقرة أو الدرس، بما يناسب الأهداف المسطرة فعلا.

وبالمثل يمكن الاستفادة في درس الكيمياء بنقل تجربة في مختبر مجهز، عبر

الصوت والصورة، في حال تعذر إنجازها داخل فضاء مؤسسة تفتقر إلى مختبر للفيزياء والكيمياء، وتسجيل التجربة ثم نقلها وتعميمها في الكتاب المدرسي الإلكتروني على باقي المؤسسات التي تفتقر إلى مختبرات تحقق شروط الإنجاز الحي؛ والأمر نفسه يمكن اعتماده في دروس علوم الحياة والأرض وغيرها (باعتقاد تقنية الأشرطة المدججة مع مقاطع أو أنشطة الدروس)...

لقد حان الوقت لإعدام النشر الورقي، أو على الأقل بداية التصفية الجسدية معه؛ ففي كل سنة تتراكم مشاكل عديدة مما يرتبط بهذا الموضوع: بدءاً من رداءة الطباعة وانتهاء بغلاء الكتب والمقررات المدرسية، مروراً بندرة الكتب في السوق أو تأخر نزولها إليه، وكثرة الأخطاء الواردة فيها، وإثقال كاهل الأسر مادياً وكاهل التلميذ بأوزان لا قبل له بها... وفي جميع الحالات فإن الكتاب الإلكتروني لن تكون تكلفته المادية أكبر من الكتاب الورقي المتداول، فضلاً عن أن تجريبه وتنزيله وتصحيح الأخطاء التي قد ترد عليه... كلها أمور أسهل بكثير.

أما على المستوى القانوني فينبغي أن يتم التعاقد مع لجان التأليف مرة واحدة يتم فيها شراء جميع الحقوق من طرف الدولة (من خلال الوزارة الوصية)، على أن تسلم لجان التأليف أعمالها في نسخ إلكترونية قابلة للتكييف مع "المحفظة الذكية"، بحيث يتم إدخال جميع الكتب المدرسية، المقررة في المستوى الدراسي، دفعة واحدة؛ ثم يقتنيها التلميذ (أو تعطى له كما هو الحال في برنامج مليون محفظة) مرة واحدة... فتنحل العديد من المشاكل: مشاكل رداءة الخط، وعدم إحصار التلاميذ للأدوات الدراسية، وبالتالي إخراجهم من القسم وهدر الزمن الدراسي، والتعود على التقنيات الجديدة، وتوفير الدعامات والأسناد التربوية كما يفترض مخطط الدرس (أي

الأستاذ)؛ وفضلا عن كل ذلك يمكن أن تكون وسيلة لكتابة الدروس (ملفات وورد تقوم مقام الدفاتر)، وأداة للتواصل مع الآباء (عبر برامج كما هو الحال في برنامج مسار)... وغيرها من الأمور التي ألمعنا إليها سابقا.

ثانيا) مثال كتاب مدرسي تفاعلي من حقل الاجتماعيات

الكتاب المعني هنا كتاب إلكتروني ناجز فعلا، ولذلك فإن مجرد عرضه بالطريقة الورقية يضعه في موقع تناقض مع ذاته؛ لذا سنكتفي هنا بتقديم بعض الصفحات منه، بينما هو في جميع الحالات جاهز لأن يوضع بين يدي المهتمين ليدخل مجال التجربة، والدرس، والتقويم...

(صفحة الغلاف الخارجي للكتاب)



(صفحة الولوج إلى مكونات المادة)



(صفحة الاستقبال في مكون التاريخ)



(الصفحة الأولى الموحدة بين دروس التاريخ)

عززي التلميذ

يستغرق هذا الدرس حصتين تعليميتين، وتنقسم كل حصة منه إلى ثلاثة مقاطع. يتخلل، وينتهي، هذا الدرس بمجموعة من الأنشطة التقييمية لتتبع مدى استفادتك منه.

الحصة الأولى

المقطع التمهيدي

المقطع الوسيط 1

المقطع الختامي 1

الحصة الثانية

مقطع الربط

المقطع الوسيط 2

المقطع الختامي 2

اللازم

دليل الإستعمال

(صفحة المقطع التمهيدي للدرس الأول من دروس التاريخ)

المقطع التمهيدي / الوضعية الاستكشافية

الوثيقة 1

الوثيقة 2

الدولة الطوية

الدولة السعدية

الدولة الوطاسية

الدولة المرينية

الدولة الموحية

الدولة المرابطية

الدولة الأيرمية

الحصة الأولى

المقطع التمهيدي

المقطع الوسيط 1

المقطع الختامي 1

الحصة الثانية

مقطع الربط

المقطع الوسيط 2

المقطع الختامي 2

استكشف موضوع الدرس من خلال الوثيقتين

اللازم

المستخرج

(الصفحة الأولى من المقطع الوسيط للدرس الأول من دروس التاريخ)

(صفحة لأحد أنشطة الدرس الأول حيث يمكن المناادة على مصدر النص من

خلال النت)

(صفحة لنشاط تثبيتي بإدماج الفيديو في الدرس الأول من دروس التاريخ)

المقطع التعليمي التالي: اتعرف تاريخ بناء مدينة فاس وأحد الاموار التي لعبتها خاصة بعد بناء جامع القرويين

النشأته تثبيتي

الوثيقة 15

مدينة فاس وجامع (ة) القرويين

جامعة القرويين في فاس بالمغرب من أقدم الجامعات في العالم وفيها تأسس مفهوم الكرسي العلي.

أرسخ القيمة الحضارية لكل من فاس وجامع (ة) القرويين.
أترك دلالة العبارة: "فاس قلب المغرب والقرويين قلب فاس".

الوحدة الأولى

المقطع البهيمي

المقطع الوسيط 1

المقطع الختامي 1

الوحدة الثانية

مقطع الربط

المقطع الوسيط 2

المقطع الختامي 2

اللازم

الاستيعاب

خاتمة

نريد أن نؤسس، من خلال هذه الورقة، لمرحلة جديدة من تاريخ الكتاب المدرسي، والنقل الديدكتيكي، وطرائق التدريس، والمدرسة عموماً... وسبيلنا الذي نتوسل به لتحقيق ذلك كله هو المحفظة الذكية باعتبارها خطوة مفصلية أساس نحو تنزيل المدرسة الذكية مستقبلاً.

إن المشروع، كما نفترض، كبير ومعقد، ويستدعي تأهيلاً أكاديمياً وتجربة ميدانية ومعرفة متنوعة بعلوم التربية... لكنه يستدعي قبل ذلك كله اقتناعاً به واستعداداً للانخراط فيه والتضحية (بالوقت والجهد والمال...) من أجل تنزيله.

نقول هذا ولدينا رجاءان، متقاطعان، قبل الختام: أولهما أن تجد هذه الدعوة صداها لدى الجهات المؤسساتية الرسمية، حتى تنتقل من مجال التنظير إلى مجال التجريب، قبل القبول أو الرفض عن بيّنة؛ والثاني أن تكون هذه الورقة موضوع نقد ودراسة وتقويم... من طرف المهتمين بالشأن التربوي النظري في مجال النقل الديدكتيكي عموما والتأليف المدرسي خصوصا، بغية إثرائها وملء ثغراتها وتجويدها.

التكوين عن بعد

بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين:

الواقع والآفاق

د. عبد الله بوغوتة

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق

تقديم

أوجدت جائحة كورونا " كوفيد 19 " أكبر انقطاع في نظم التعليم في التاريخ، وهو ما تضرَّر منه نحو 1,6 مليار من طالبي العلم في أكثر من 190 بلداً وفي جميع القارات. وأثرت عمليات إغلاق المدارس وغيرها من أماكن التعلُّم على 94% من الطلاب في العالم، وهي نسبة ترتفع لتصل إلى 99% في البلدان منخفضة الدخل والبلدان المتوسطة الدخل من الشريحة الدنيا¹.

ومن جهة أخرى، حفزت الأزمة الابتكار داخل قطاع التعليم. وقد رأينا مُهْجاً مبتكرة دعماً لاستمرارية التعليم والتدريب: من الإذاعة والتلفزيون إلى الحزم التعليمية المنزلية. وجرى تطوير الحلول القائمة على التعلُّم عن بعد بفضل الاستجابات السريعة من قِبَل الحكومات والشركاء في جميع أنحاء العالم دعماً لاستمرارية التعليم، بما في ذلك التحالف العالمي للتعليم الذي دعت إليه اليونسكو².

¹ - التعليم أثناء جائحة كوفيد-19 وما بعدها، موجز سياسياتي، الأمم المتحدة، غشت 2020، ص 2.

² - نفسه.

وقد جرى التذكير أيضاً بما للمعلمين من دور أساسي، لا يمكن الاستغناء عنه، وبأن ثمة واجباً متواصلاً يقع على عاتق الحكومات والشركاء الرئيسيين الآخرين لرعاية العاملين في مجال التعليم.

ولقد انطلقت في الغرب، على غرار باقي دول العام، عملية التعليم والتكوين عن بعد في إطار الاستمرارية البيداغوجية في عموم مؤسسات التربية والتكوين، مراعاة للسياق الدولي والمحلي، وعملاً بمقتضيات النصوص التشريعية والتنظيمية التي نظمت العمل خلال المرحلة، ومن ذلك مجموعة من المذكرات والمراسلات والبلاغات بخصوص التدابير الاحترازية والوقائية الرامية إلى الحد من العدوى وانتشار فيروس كورونا (كوفيد19)، تنفيذاً للتوجيهات الحكومية والوزارية في هذا الشأن على مستوى جميع مؤسسات التربية والتكوين، ومنها المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين.

بادرت الوزارة¹، في المرحلة الأولى لانتشار الفيروس على الصعيد العالمي، وبشكل استعجالي، إلى تشكيل لجن اليقظة والوقاية جهويا وإقليميا، مع تكثيف عمليات التوعية والتحميس بهذا الفيروس، وبطرق انتشاره، وبأساليب الوقاية منه، انسجاماً مع الدور التربوي والتوعوي للمدرسة.

ولتجنيب بلادنا مخاطر الانتشار السريع والواسع لهذا الفيروس، باعتبار صحة المواطنين والمواطنات أولى الأولويات الوطنية في هذه الظرفية العصيبة،

¹ - من كلمة السيد وزير التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي بمجلس المستشارين حول "حصيلة تجربة التعليم عن بعد وآفاق استكمال السنة الدراسية"، يوم الثلاثاء 12 ماي

اتخذت الوزارة قرار تعليق الدراسة الحضورية بمختلف المؤسسات التعليمية والتكوينية العمومية والخصوصية بمختلف الأسلاك التعليمية، ابتداء من 16 مارس 2020، كإجراء وقائي ضروري.

وقد طرحت هذه الوضعية، غير المسبوقة والمستجدة على منظومتنا التربوية، تحديات حقيقية مركزيا وجهويا ومحليا، يتمثل في ضمان استمرارية الخدمة التعليمية والتكوينية، في ظروف تضمن سلامة الجميع.

لهذا، اعتمدت الوزارة آلية التعليم عن بعد، بديلا ظرفي للدروس الحضورية، بما طرحته هذه الآلية الاستثنائية، من تحديات، ومن سباق مستمر مع الزمن، من أجل توفير وتجويد المحتويات الرقمية، وتوسيع نطاق الاستفادة منها.

كما طرحت هذه الآلية أيضا، بعض الإكراهات، وخاصة على مستوى التكييف السريع مع هذه الآلية المستجدة في التدريس والتعلم وخاصة بالنسبة للتلاميذ/ المتدربين والأسر.

وكانت المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، على غرار مختلف الأكاديميات ومؤسسات التربية والتكوين، مواكبة للحدث؛ بحيث نظمت عددا من اللقاءات الاستشارية داخل هذه المراكز، غالبيتها كان عن بعد باعتماد تقنية المناظرة المرئية، لوضع صيغة أولية لتدبير التكوين عن بعد لفائدة المتدربات والمتدربين بمختلف الأسلاك والمسالك والتخصصات، باستحضار الموجهات الآتية:

✓ إنجاح هذا المخطط يندرج في خانة ترسيخ قيم المواطنة والسلوك المدني، والإسهام بروح الوطنية في الجهد الوطني لتفادي الجائحة وتحقيق الاستمرارية

الإدارية والبيداغوجية.

✓ اعتبار التكوين عن بعد تكويناً إجبارياً يخضع لعمليات التخطيط والتدبير والتتبع وفق الضوابط المنهجية والتنظيمية المعتمدة في عدة التكوين.

✓ إنجاز التكوين عن بعد بتأطير ومواكبة الأساتذات والأساتذة المكونين، تزامنياً وتفاعلياً، ما أمكن.

✓ إبقاء الموارد الرقمية والمحتويات متاحة بشكل مستمر على موقع المركز ومسطحة جهوية موجودة أو في طور الإنشاء ومن خلال استغلال واستثمار كل الإمكانيات والوسائل التكنولوجية المتاحة، نظراً للظروف الطارئة وبعد الإعداد القبلي للتعامل مع هذه الوضعية.

ولم تنطلق هذه العملية من فراغ نظري كما يوضح عدد من المتبعين، ومنهم د. طارق عبد الرؤوف عامر، لأنه: "في ظل التحديات والاختلافات التي تواجهها معظم أنظمة التعليم في العالم، لجأت العديد من الدول إلى البحث عن بدائل غير تقليدية تمكنها من مواجهة التزايد الكبير في الطلب على التعليم من قبل فئات المجتمع"¹.

أولاً: السياق والمرجعيات:

جاءت هذه التدابير والإجراءات في سياق عالمي وإقليمي ووطني، نذكر منه:

✓ تقرير منظمة الصحة العالمية باعتبار وباء كورونا المستجد "كوفيد19"

¹ - التعليم عن بعد والتعليم المفتوح، طارق عبد الرؤوف عامر، مقتطف من تقديم الكتاب، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ص2.

جائحة عالمية؛

✓ التدابير الاحترازية الحكومية الرامية إلى الحد من العدوى وانتشار "وباء كورونا" (كوفيد 19)؛

✓ بلاغات وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي بتعليق الدراسة والتكوين؛

✓ النصوص التشريعية والتنظيمية لتدبير المخاطر.

واعتمدت المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، في عملها على مجموعة من النصوص التشريعية والتنظيمية، سواء منها يتعلق بإحداثها وتنظيمها، أو ما يتعلق بالعمل خلال هذه الفترة، نذكر منها:

- المرسوم 2.11.672 صادر في 27 من محرم 1433 (23 ديسمبر 2011)، المتعلق بإحداث وتنظيم المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، كما تم تغييره وتميمه؛

- النصوص المنظمة للدراسة والتقويم بمختلف الأسلاك والمسالك والتخصصات؛

- المذكرة الوزارية رقم 014.20 بتاريخ 06 مارس 2020 في شأن التدابير الاحترازية والوقائية من فيروس كورونا المستجد "COVID19"؛

- منشور وزير الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة رقم 1.2020 بتاريخ 16 مارس 2020، في شأن التدابير الوقائية من خطر انتشار وباء "كورونا" بالإدارات

العمومية والجماعات الترابية والمؤسسات العمومية والمقاولات العمومية؛

- المراسلة الوزارية رقم 20-0231 بتاريخ 16 مارس 2020 في شأن تفعيل

خطة الاستمرارية البيداغوجية؛

- المراسلة الوزارية رقم 20-0237 بتاريخ 16 مارس 2020 في شأن تفعيل

خطة الاستمرارية الإدارية للتصدي لجائحة فيروس كورونا (كوفيد 19)؛

- المراسلة الوزارية، رقم 021.20، بتاريخ 31 مارس 2020، في شأن

التكوين عن بعد؛

- منشور وزير الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة رقم 3.2020 بتاريخ 15

أبريل 2020، في شأن العمل عن بعد بإدارات الدولة؛

- منشور وزير الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة رقم 4.2020 بتاريخ 22

ماي 2020، في شأن إجراءات وتدابير العمل بالمرافق العمومية؛

- مراسلة وزارية رقم 056.20 بتاريخ 29 ماي 2020، في شأن الاستمرارية

البيداغوجية بمؤسسات تكوين الأطر؛

- مراسلة 0334-20 بتاريخ 1 يونيو 2020 في شأن التدابير الإجرائية

لاستكمال السنة التكوينية بمؤسسات تكوين الأطر التربوية،

- مراسلة 859.20 بتاريخ 08 يونيو 2020، في شأن امتحان التخرج من

مسلك تكوين أطر الإدارة التربوية؛

- مراسلة وزارية رقم 378.20 بتاريخ 19 يونيو 2020 في شأن تنظيم

الامتحانات بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين (2020)؛

- مراسلة وزارية رقم 870.20 بتاريخ 30 يونيو 2020، في شأن تتبع خطة "الاستمرارية البيداغوجية" بمؤسسات تكوين الأطر التربوية؛

- المذكرة رقم 039.20 بتاريخ 28 غشت 2020، في شأن تنظيم الموسم الدراسي 2020-2021 في ظل جائحة كوفيد 19؛

- المذكرة رقم 042.20 بتاريخ 02 شتنبر 2020، في شأن الدخول التكويني 2020-2021 بمؤسسات تكوين الأطر التربوية.

ثانياً: مصطلحات ومفاهيم

يطلق على "التعليم الإلكتروني" أسماء عديدة، منها التعليم عن بعد، والتعليم الافتراضي، والتعليم الرقمي... ويعد التعليم الإلكتروني بمختلف صيغه وأشكاله من أهم أساليب التعلم في الوقت الحاضر لما يتيح من التوظيف الحر أو المؤطر للمهارات الذاتية بفاعلية كبيرة، والمساهمة في تطوير جوانب شخصية المتعلم في جوانبها السلوكية، والمعرفية، والاجتماعية، والوجدانية، وتزويده بسلاح المعرفة الذي يمكنه من الاستفادة واستيعاب معطيات عصره، فالتعلم والمعرفة يعتبران معينا ثريا متجددا، تمتلكها الإنسانية لرفع التحدي وفتح آفاق مستقبلية جديدة.

وقد عمدت خلال هذه السنة مجموعة من دول العالم إلى إتاحتها بديلا مساعدا وأداة أساسية لتحقيق "الاستمرارية البيداغوجية"، وهو عملية تعليمية-تعليمية يتم فيها الفصل بين المتعلم والمعلم والمنهاج الدراسي في البيئة التعليمية التقليدية، ويوفر التقنيات الرقمية المتمثلة في الكتب الإلكترونية والرسائل النصية والصوتية

والمسجلات الصوتية والمرئية وغيرها من التقنيات الحديثة باستعمال وسائل وآلات التعلم والتقنيات المختلفة كالإذاعة والتلفزيون والكمبيوتر...

1- تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

هي الأنظمة الإلكترونية على اختلاف أنواعها وأشكالها المستخدمة في عملية الاتصال بين الأفراد أو الجماعات الذين يكونون في مواقع مختلفة، بقصد تسهيل التواصل بينهم¹.

ويُمكن تعريف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (Information and communications technology) واختصارها (ICT)، بأنها: جميع التقنيات التي تُستخدم في الاتصالات، ووسائط البث، وأنظمة إدارة المباني الذكية، وأنظمة المعالجة والإرسال، السمعية البصرية وغيرها، كما استخدمت مؤخراً للتعبير عن توظيف خطوط الاتصال، لنقل أنواع وصيغ متنوعة من البيانات، حيث يتم دمج الشبكات السمعية والبصرية وشبكات الحاسوب من خلال نظام مشترك للكابلات؛ مثل توفير خدمات الإنترنت، والهاتف، والتلفاز للمنازل والشركات من خلال كابل بصري واحد، مما يساهم في تقليل التكاليف بشكل كبير². ويُمكن اعتبار مصطلح (ICT) الذي ظهر في الثمانينيات، وازدادت شعبيته بعد عام 1997م، بأنه المرادف الأوسع لتكنولوجيا المعلومات (information technology)، لأنه يتضمن

¹ - المعجم الموحد لمصطلحات المناهج وطرائق التدريس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2020، ص 17.

² - نقلا عن موقع: www.techopedia.com بتاريخ 14 أبريل 2020.

التركيز على الاتصالات الموحدة وتكامل الاتصالات؛ بهدف تخزين ونقل المعلومات¹.

2- التعليم عن بعد:

بصفة عامة، تعرف الأدبيات التربوية التعليم عن بعد بكونه يتميز بغياب التواصل المباشر (الحضوري) بين الأستاذ والتلميذ، إذ يتم بشكل مبدئي عندما توجد مسافة ما بينهما مع حضور وساطة تجمعها وتنظم تواصلهما تارة تقليدية (رسائل) وأخرى متقدمة (هاتف، تلفاز، أنترنت...)².

ويعتبر تحديد هولمبرج Holmberg لمصطلح التعليم عن بعد، الذي اقترحه في عام 1977، من أشهر التعريفات وأبسطها وأكثرها تداولاً؛ حيث يشير إلى أنه "نموذج يشمل كافة أساليب الدراسة، وكل المراحل التعليمية التي لا تتمتع بالإشراف المباشر والمستمر والفوري من قبل المدرسين داخل قاعات الدراسة التقليدية بالرغم من خضوع عملية التعليم للتخطيط والتنظيم والتوجيه من قبل مؤسسة تعليمية"³

وقد تبني "رملبل Rumble" هذا المفهوم وطوره لاحقاً، حيث أشار إلى أن

¹ - نقلاً عن موقع: www.computerhope.com بتاريخ 14 أبريل 2020.

² - دراسة حول الاستمرارية البيداغوجية والتعلم عن بعد بجهة سوس ماسة، من إنجاز الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة سوس ماسة، أبريل 2020، ص 19.

³ - واقع وآفاق التعليم عن بعد وأثره في التعليم في العراق، فضل الله جان سيريل، <https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=53241> اطلع عليه بتاريخ 20 أبريل 2020.

التعليم عن بعد، "نظام تعليمي يتم فيه:

- الفصل بين المتعلم والمعلم مكانيا؛

- إعداد المواد التعليمية بشكل ييسر عملية التعلم عن بعد".¹

فهو إذا "نظام يتم باستخدام التقنية الحديثة بمساعدة الطالب الذي يكون في مكان مختلف عن مكان التدريس، ولذلك يتطلب تقنيات خاصة لتصحيح المقرر، وتقنيات خاصة بالتدريس، وطرق خاصة للاتصال بواسطة التقنية الإلكترونية وغيرها، إضافة إلى تنظيمات إدارية خاصة بهدف تمكين عدد كبير من الطلاب من التعلم في الوقت نفسه بغض النظر عن أماكن معيشتهم"².

وللتعليم عن بعد عناصر تميزه عن التعليم العادي التقليدي، وهاته العناصر يمكن أن تساهم في عملية التخطيط السريع، وفي تلقي المعلومات وفي التقييم السريع لأداء المتعلمين وفي تطوير قدراتهم المتعددة، نذكر منها³:

- الفصول الافتراضية التي يمكن إنشاؤها عبر مسطحات/منصات معدة

خصيصا لذلك (teams)؛

- الندوات التعليمية عن بعد (Vidéo-conférences)؛

¹ - نفسه،

² - المعجم الموحد لمصطلحات المناهج وطرائق التدريس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2020، ص35.

³ - التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، كمال جنبي، ص3-5.

- التعلم الذاتي (e-learning)؛

- المواقع التعليمية على الأنترنت وخاصة الرسمية والمعتمدة منها (Sites

؛(internet

- التفاعل بين المدرسة والطالب والمتعلم من خلال تقنيات التواصل عن بعد

.(Interactive relationship)

وينقسم التعليم عن بعد من حيث النقل إلى نوعين:

1 - النقل المتزامن “Synchronous Delivery”: حيث يكون الاتصال

والتفاعل مباشرة أي في الوقت الحقيقي “Real Time” بين المحاضر والطلاب (الدارسين) في مؤسسات التعليم المختلفة من جامعات ومعاهد ومدارس وذلك في حالة التعليم عن بعد وكذلك هو الوضع عند إقامة بعض الدورات التدريبية من على البعد.

2- النقل اللامتزامن “Asynchronous Delivery”: وفي هذا النوع يقوم

المحاضر بنقل وتوصيل أو توفير المادة الدراسية بواسطة أشرطة الفيديو، أو عبر جهاز الكمبيوتر أو أي وسيلة أخرى، والطالب (المتلقي) من الجانب الآخر يتلقى أو يتحصّل على المواد في وقت لاحق (أي ليس في الوقت نفسه)¹.

¹ - تجارب من دول العالم في مجال التعليم الإلكتروني، سعاد محمد السيد، موسوعة التعليم والتدريب،

3- الاستمرارية البيداغوجية:

يرى "فيليب ميريو Philippe Meirieu" أن الاستمرارية البيداغوجية (Continuité pédagogique) تتأسس على عنصرين:

- أولهما: أن يظل الاتصال بين التلاميذ (ومن في حكمهم) والمؤسسات التعليمية قائما؛

- وثانيهما: يتمثل في إبقاء التلاميذ في حالة تحفيز ذهني، وتمكينهم من إنجاز أنشطة تعليمية، تكون في ارتباط مع البرنامج الدراسي ما أمكن، وتسمح لهم بمراجعة وتعميق فهم ما أنجز سلفا¹.

ثالثا: آليات التفعيل والتدبير²

ولتفعيل خطة الاستمرارية البيداغوجية، تنفيذا للتوجيهات والمذكرات والمراسلات الوزارية الواردة، تم اللجوء إلى التكوين عن بعد ابتداء من 16 مارس 2020 بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، وهو صيغة من صيغ التعليم عن بعد؛ بحيث لم تكن هناك استعدادات قبلية للمرور إلى هذه المرحلة، وإنما تحكمت في ذلك ظروف انتشار جائحة كورونا "كوفيد 19"؛ وكان مرورا اضطراريا وليس

¹ - التعليم عن بعد يفاقم أوجه اللامساواة، حوار صحفي مع فيليب ميريو، ترجمة يوسف عبد السلام، <http://www.couua.com> بتاريخ 07 أبريل 2020.

² - الخطة الجهوية للاستمرارية البيداغوجية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق، مارس 2020.

اختيارياً.

وتم تدبير المرحلة باعتماد المبدأ التشاركي، وذلك بتفعيل بنيات وهياكل المركز كالاتي:

- أشرفت إدارة المركز ومجلس المركز (لجنة الشؤون البيداغوجية ورؤساء الشعب) على تدبير المرحلة، من خلال عقد لقاءات راتبة وكلما اقتضت الضرورة عبر تقنية المناظرة عن بعد (WebEx meeting)؛

- اشتمل التكوين خلال الأسدوس الثاني من السنة الأولى بالنسبة لسلك تأهيل أطر هيئة التدريس، أطر الأكاديميات، على ثمان (08) مجزوءات، وست (06) بالنسبة لمسلك تكوين أطر الإدارة التربوية، وفق الرزنامة المعدلة مع الأخذ بعين الاعتبار تأجيل العطلة الربيعية حسب بلاغ الوزارة؛

- تسطير برنامج زمني للتنفيذ حسب كل مسلك وشعبة وبشكل متدرج، يمتد على مدى 10 أسابيع، وتخصص باقي الأسابيع، إلى غاية 15 يوليوز 2020، للأنشطة المهنية وتحليل الممارسات، والإعداد لاختبارات التصديق على مجزوءات الفترة الأولى؛

- تتبع تنفيذ أجرأتها وفق محطات لتحديد الحصيلة (الإدارة والشعب) باعتماد تقارير أسبوعية عموماً.

- وضع برنامج عمل أسبوعي للتكوين من قبل السيدات والسادة الأساتذة المكونين تحت إشراف السيد المدير المساعد المكلف بالسلك، وبتنسيق مع السيدات والسادة رؤساء الشعب؛

- إعداد المضامين الرقمية لمحاوالمجزوءات ومختلف الأعمال المرتبطة بها (عروض تفاعلية عبر منصات مثل Laclasse.ma و GoogleClassRoom و MicrosoftTeams و WebExTeams، وعروض تم إرسالها إلى المتدربين مذيلة بتعليمات لإنجاز أنشطة عبر البريد الإلكتروني ومجموعات الواتساب الخاصة بكل فوج)؛

- اعتماد كل وسائل التواصل الرقمي المتاحة (إمكانا واستعمالا) لتبليغ المضامين الرقمية للمتدربين؛

- إنجاز تقارير التتبع والتقييم وفق محطات لتحديد الحصيلة.

رابعا: صيغ ووسائل العمل¹

تضمن التكوين خلال هذه المرحلة صيغا مختلفة ومتكاملة و متمفصلة، على الشكل الآتي:

- تكوين حر عن بعد من خلال الموارد الرقمية الموضوعة على المسطحة <http://e-takwine.men.gov.ma>؛

- تكوين عن بعد تفاعلي وفق برنامج محدد بإشراف السيدات والسادة المكونين وبتنسيق رؤساء الشعب؛

- تكوين ذاتي مؤطر بتوجيه ودعم السيدات والسادة منسقي المجزوءات.

- تخصيص حصص للدعم استعدادا للامتحانات.

¹ - الخطة الجهوية للاستمرارية البيداغوجية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق، مارس

ونظرا للوضعية الطارئة وعدم الإعداد القبلي، تم السماح باستعمال كل الوسائل المتاحة حسب إمكانيات الأساتذة المكونين ومراعاة واقع المتدربين؛ وانطلاقا من نتائج الاستمارة الرقمية الموجهة للسيدات والسادة رؤساء الشعب، وكذا الاستمارة الموجهة لمنسقي الأفواج، تم اقتراح الوسائل والأدوات التواصلية التالية:

- مجموعات الواتساب (مجموعة فريق التكوين - مجموعة التواصل مع منسقي الأفواج - مجموعات التواصل مع المتدربين حسب الأفواج)؛
- مجموعات البريد الإلكتروني الخاصة بالشعب؛
- مجموعات الفيسبوك المغلقة (خاصة بكل مجموعة) وكانت الأقل استعمالا؛

- منصات التكوين عن بعد (- Webex meeting - Google Classroom .Webex teams).

ولقد تم نشر برنامج العمل الأسبوعي للتكوين قبل متم يوم السبت من كل أسبوع - إن اقتضى الأمر ذلك - من قبل السيدات والسادة رؤساء الشعب وفق جداول الحصص المعتمدة سابقا، حتى لا يقع أي إرهاق أو تشويش، واستمر تنفيذ الخطة الجهوية للاستمرارية البيداغوجية إلى حين صدور بلاغ عن الوزارة والجهات المختصة في شأن انتهاء فترة الطوارئ الصحية، وبعد صدور البلاغ تم الاتفاق على تمديد فترة التكوين عن بعد إلى غاية إجراء الاختبارات الكتابية للتصديق على المجزوءات في أواسط يوليوز 2020؛

خامسا: التقويم في أفق التطوير والتجويد

رغم أن واقع الجائحة قد أحدث نوعا من الهلع بمراكز تكوين الأطر كغيرها من مؤسسات التربية والتكوين، لكنه ألجأ جميع المتدخلين (إداريين ومكونين ومستفيدين) إلى تعميق التفكير لإيجاد الحلول الآتية، كالتي أشرنا إليها آنفا، مع وجود الاختلافات على مستوى التنزيل نظرا لعدة عوامل وأسباب نذكر منها:

1- القصور العام في فهم الطبيعة وتعدد أغازها، فرغم ما راكم الإنسان من معرفة علمية عبر قرون خلت، فإنها لم ترق بعد إلى المستوى الذي كان الفيلسوف العقلاني (ديكارت R. Descartes) يطمح إليها لجعلها المعرفة التي "تجعل الإنسان سيد الطبيعة ومسيطرا عليها"¹.

وهذا القصور العام في التفكير والفهم ينبغي أن يكون نقطة بداية عمل يعتمد على الذكاء والخبرة في أفق صياغة نموذج للتربية والتكوين بإعادة النظر في دور مؤسسات التربية والتكوين والمتدخلين في العملية برمتها، بشكل جذري باستحضار الواقع والمستقبل تحقيقا للجودة المنشودة باعتماد تقارير الأداء وقياس الأثر، وألا يقتصر الإصلاح على ما هو شكلي لمعالجة الوضعية الآتية الطارئة، لأن عالم اليوم والغد هو عالم المعرفة بامتياز، ويخشى من أن تسلب الشبكية (شبكة الأنترنت) المعلم/المكون سلطته المعرفية أو على الأقل التصديق على المعرفة الأكاديمية والمهنية "إذ إن ازدياد تيسر شتى مصادر المعرفة والنفاذ إليها يزيد انتشار فرص للتعلم، قد تكون أقل تنظيما وأكثر ابتكارا، ما يؤثر على قاعة التدريس، وسلطة

¹ - Discours de la méthode, René Descartes (1637), «pour bien conduire une raison, et chercher la vérité dans les sciences»

المعلم وعمليات التعلم"¹.

لقد أصبح مقدار كبير من التعلم يجري في البيت أو في أماكن أخرى²، مما يفرض العمل على التغيير ليس فقط في مضامين التعليم والتكوين، بل حتى في صيغته وطرقه ووسائله ليلائم حاجيات الواقع والمستقبل، وخلاصة القول إن نظمنا التعليمية والتكوينية تحتاج إلى ثورة علمية في العلاقات مع المعرفة وكذا في أدوار جميع المتدخلين.

2- وما يمكن ملاحظته، أن الوباء غير الاتجاهات والاختيارات والسياسات والاستراتيجيات على مختلف الأصعدة، وأعطت الدول الأولوية للقطاعات الأكثر إلحاحية وحيوية في المجتمع، والتي لم تعط لها كامل الأهمية والأولوية إلى عهد ما قبيل الجائحة، فمن التسابق على التسلح مثلا، بدأ الاهتمام بشكل جلي بالمجالات العلمية التي ترنو حفظ الصحة والسلامة، مع تسجيل مجموعة من الملاحظات السلبية الناتجة عن السلوك الإنساني غير المنضبط وخاصة ما يتعلق بالاستغلال السيء لظرفية الجائحة للاغتناء غير المشروع سواء على مستوى بعض الأفراد أو الشركات أو حتى بعض الدول كما هو الأمر عامة في الحروب والأزمات.

وفي مجال الثورة الرقمية في علاقتها بالتربية والتكوينية، فلقد ظهرت قبل ثلاثة عقود تقريبا، وأحدثت تحولا عميقا في المجتمع بصفة عامة، وفي المجتمع المدرسي

¹ - إعادة التفكير في التربية والتعليم نحو صالح مشترك عالمي؟ منشورات اليونسكو، 2015، ص 47.

² - بيداغوجية الفصل المعكوس، أحمد أوزي، مجلة علوم التربية، العدد 70، يناير 2018، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

والجامعي بشكل خاص، مع وجود بعض التفاوتات حسب المجالات والتخصصات ومدى تمكن المتدخلين من تكنولوجيا المعلومات والاتصال في مجال التعليم ومدى أهميتها وجدواها.

إن أزمة جائحة كورونا أكدت لنا باللموس، أهمية الرأس المال البشري، وأن نجاح أي سياسة أو نموذج تنموي حقيقي مصدرها الموارد البشرية التي ينبغي إيلاؤها ما تستحقه من العناية والتكوين والتأهيل والتممين، ولذا وجب إعادة النظر في نظام تعليمي وتكويني أساسه العقل الجماعي، وما يثريه التفكير العميق، والخبرات المكتسبة من خلال الممارسة المهنية.

3- الرقمنة والتعليم/ التكوين عن بعد: فرص وتحديات

من خلال تجربة السنة التكوينية المنصرمة (2019-2020)، تبين أن مصدر التعليم والتكوين قد يكون غير الفضاءات التقليدية المخصصة لذلك سابقا، بل قد يكون مصدره المنزل أو أي فضاء آخر باعتماد تكنولوجيا التواصل عن بعد، لكن النقص الحاصل في التكوين القبلي للمتدخلين والمستفيدين، وضعف وقلة الموارد الرقمية المناسبة جعل استخدام هذه الموارد الرقمية لم يكن في مدارسنا ومراكزنا موجودا إلا بشكل خجول من قبل بعض المبتكرين والمجددين الممارسين سابقا لهذه التكنولوجيا، إضافة إلى البعض الذين خاضوا التجربة لأول مرة ولو بأبسط الوسائل المتاحة خلال مرحلة الجائحة.

إن تأثير الجائحة على التعليم سيغير لا محالة صيغ التعليم والتكوين، ولذا وجب لزاما إعادة التفكير- كما أشرنا سلفا - في ضرورة إعادة النظر في الصيغ

المعتمدة حاليا، وكيفية تطويرها وفق الضوابط والشروط العلمية لتصبح ذات جدوى ليس في المدى القريب فقط لتفادي الآثار المرتقبة، ولكن لا بد من تحديد مجموعة من الصيغ والاستراتيجيات والطرائق لتحقيق الجودة بمراعاة الحاجات التعليمية والتكوينية، ولهذا ينبغي بداية أن تتوفر الموارد الرقمية بالمواصفات العلمية المحددة، وأن تكون متاحة عبر الشبكة وخاصة المنصات الوطنية والجهوية لمراكز تكوين الأطر، كما ينبغي التفكير في التكوين الأساس والمستمر للمكونين في هذا المجال لمواكبة المستجدات وتلبية الحاجات، وذلك بالرفع من قدراتهم ومهاراتهم في توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم.

ومما لا شك فيه فإن المدرسة (ومنها مراكز تكوين الأطر بمختلف فضاءاتها) ستظل بلا منازع هي الأساس والفضاء الطبيعي والمناسب للتعليم والتكوين، ولكن التعليم الرقمي/الإلكتروني وخاصة عن بعد سيغدو شريكا أساسيا مكملا للتعليم والتكوين وسيفرض نفسه بقوة، ولذا وجب اعتماد التكوينات والصيغ المناسبة للتفعيل السليم والملائم لتحقيق الأهداف المرجوة.

4- تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم دعامة أساسية

للبيداغوجيات الفعالة

عرفت عدة التكوين بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين منذ تأسيسها وتنظيمها سنة 2012، إدماج مجزوءة "تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم" تماشيا مع السياسة العامة المعتمدة في النظام التربوي المغربي، لكنها بقيت أكثر ارتباطا بمفهوم المعلومات.

وهنا لا بد من التفريق بين أمرين اثنين في هذا المجال، فأما الأمر الأول فهو تمكين المكونين والمدرسين من المبادئ الأساسية لاستعمال هذه التكنولوجيا في حد ذاتها، وأما الأمر الثاني فهو استعمال هذه التكنولوجيا في التعليم والتكوين خلال السنة التكوينية، وإقدار المدرسين على استعمالها خلال ممارساتهم المهنية المستقبلية.

وإن اللافت للانتباه، أن الطرائق البيداغوجية الفعالة القائمة على قدرات المتعلمين والمتمركزة حولهم معظمها يستند على تكنولوجيا المعلومات والاتصال، ومختلف وسائلها وأدواتها المتطورة في التعليم، والمتوفرة بشكل أو بآخر لدى المتعلمين/المدرسين اليوم، وتكفي الإشارة هنا إلى أهمية الفصل المقلوب التي تقلب القاعدة التقليدية، وتجعل شعارها "الدرس والمحاضرة في البيت" والتمارين والورشات العملية في الفصل الدراسي، وهي طريقة قلبت البراديجم التقليدي للتعليم والتكوين، وجعلت المتعلم/المدرّب مرافقاً للعملية التعليمية والتكوينية، ولذا وجب أن يكون هو الفاعل المركزي في هذه العملية ليس من باب أنه هو المستفيد، ولكن من باب التأكيد على ضرورة تفعيل البراديجم: عملي - نظري - عملي؛ بحيث تنطلق العملية التعليمية التكوينية من المستفيد أساساً لخلق الحاجة وطرح الأسئلة القبلية التي تحتاج إلى البحث والتفاسم والمناقشة والتصديق على المعرفة الأكاديمية والمهنية، ثم الانطلاق من جديد إلى الورشات أو الممارسة الميدانية للضبط والتعديل في إطار سيرورة بنائية تراكمية لتحقيق الكفايات الأكاديمية والمهنية المحددة.

"والنهج المعتمد في هذه البيداغوجيات يتفق تماماً مع ما تدعو إليه العديد من

المنظمات التي تعنى بالتربية والتعليم، فهي تحفز على توظيف الطرائق البيداغوجية التي تجعل المتعلم سيد تعلماته، ويعتبر التعليم الإلكتروني عن بعد جزءاً أساسياً منها، لأنه يحقق التعلم الذاتي، والتعلم الدائم، ويعود المتعلمين على تحمل المسؤولية¹.

5- ضعف البنية التحتية

بينت دراسة مسحية أنجزتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، للوقوف على حاجات أعضاء المنظمة وتصوراتها لأهداف التربية في أوائل القرن الحادي والعشرين²، وأشارت اليونسكو بدورها في بحث أنجزته مؤخراً، أن 51% من الدول لا تتوفر على البنية التحتية لممارسة التعليم الإلكتروني، ففي النرويج مثلاً نجد أن 95% من الأطفال يمتلك كل واحد منهم حاسوبه الخاص، مقابل 5% فقط في أندونيسيا³.

وخلاصة القول، فإن الوضعية العامة ليست في المستوى المطلوب، بل قد لا تحقق حتى الحد الأدنى، ولقد ظهر هذا جلياً خلال مرحلة تنفيذ الخطة الجهوية للاستمرارية البيداغوجية، وتجلي ذلك بشكل أساس في عدم تكافؤ الفرص بين المتعلمين/المتدربين، وخصوصاً باعتبار تغطية الشبكة، مما أثر بشكل سلبي وخاصة

1 - التعليم والتعلم بعد وباء كورونا، وتجديد البراديجم البيداغوجي، أحمد أوزي، مجلة علوم التربية، العدد 73، أكتوبر 2020، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط.

2 - دراسة مسحية لمطلوبات الدول الأعضاء في مجالات التربية والعلوم والثقافة، أحمد أوزي، منشورات الإيسيسكو.

3 - مناقشة إقليمية حول مستقبل التعليم، اليونيسكو، مكتب اليونسكو الإقليمي في الدول العربية، بيروت، والمركز الإقليمي للتخطيط التربوي وشعبة البحث والاستشراف في مجال التعليم.

في الدروس والمحاضرات المباشرة والتفاعلية، مما جعل غالبية المكونين يعتمدون على مجموعات الواتساب والبريد الإلكتروني المشترك.

6- ضعف التغطية بشبكة الأنترنت.

إن الحق في التعليم والتكوين وغيرها من لزوميات الحياة اليومية في القريب العاجل بغض النظر عن تفشي جائحة كورونا وتأثيرها، رهين بالصيب المعقول والربط بشبكة الأنترنت التي تتيح الوصول إلى المعلومة الرقمية، كما هو معلوم، وهو شيء غير متاح للجميع بالشكل الكافي حالياً.

ولقد أبانت الجائحة عن هذا الضعف على المستوى العالمي، وما لم يتم تقويتها وتحسينها بين مختلف دول العالم وجعلها متاحة بالشكل المطلوب، سيزيد ذلك من تفاقم الأزمة واتساع الهوة الرقمية الموجودة أصلاً.

لقد كان هدف قمتي جنيف عام 2003 وتونس 2005 هو: "بناء مجتمع معلومات جامع، هدفه الإنسان، ويتجه نحو التنمية، مجتمع يستطيع كل فرد فيه استحداث المعلومات والمعارف والنفاد إليها واستخدامها وتقاسمها، ويتمكن فيه الأفراد والمجتمعات والشعوب من تسخير كامل إمكانياتهم للنهوض بتنميتهم المستدامة ولتحسين نوعية حياتهم"¹، غير أن هذا الحلم لم يتحقق بسبب الفجوة الاقتصادية بين شعوب الشمال وشعوب الجنوب، وعدم وجود إرادة سياسية دولية حقيقية، ولقد أكد الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره الصادر في شهر مايو 2010، أنه "ما زالت هناك حواجز قائمة بين بعض المنظمات أمام تنفيذ هذه العملية السليمة

¹- <http://www.itu.int/net/wsis/index-ar.html>

والنشطة¹.

إن التحول الرقمي وعملياته واستراتيجيته ووسائله مرهونة بوجود وإتاحة هذه البنية وخدماتها للجميع، فالوصول إلى الموارد الرقمية أصبح حقا ينبغي أن يتمتع به الجميع ولو في حده الأدنى.

سادسا: صيغ وسيناريوهات مقترحة للتعليم والتكوين عن بعد:

لقد ظهرت الثورة الرقمية في مجال التربية والتكوين منذ قرابة ثلاثة عقود تقريبا، وأحدثت تحولا عميقا في المجتمع عموما، وفي المجتمع المدرسي والجامعي أيضا، وقد أثرت في مختلف الأعمار بشاشاتها المتعددة والمتنوعة (الهاتف الذكي والكمبيوتر واللوحة الإلكترونية...)، غير أن التعليم والتكوين ما يزال يعاني من قصور استخدامها، إما لنقص في البنية التحتية والإمكانات المرتبطة بها، أو في مجال القدرة على استخدامها بشكل يفي بالغرض، وهذا ما كشفت عنه الجائحة، مما يجعل نظامنا التعليمية والتكوينية تحتاج إلى ثورة في العلاقات مع المعرفة، وتحول في أدوار المتعلمين والمعلمين على السواء.

يجب على البيداغوجيات المعتمدة في القرن الواحد والعشرين، أن تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم وتقودها وتستثمر فوائدها الكثيرة وإمكانيتها الهائلة والمتعددة دون الاستغناء عن دور المدرس/المكون والمدرسة.

لقد أصبحنا بحكم الوضعية العامة التي فرضتها الجائحة، مرغمين على الانتقال من التعليم/التكوين الحضوري الصرف إلى التعليم/التكوين عن بعد،

¹ - نفسه.

باعتقاد مختلف الوسائل والموارد المتاحة من أجل ضمان "الاستمرارية البيداغوجية"، رغم ما اكتنف ذلك من صعوبات حقيقية تغلبت عليها الإرادة الجماعية؛ إذ ليس القول كالفعل.

ولقد ظل دور المدرس/المكون عن بعد هو تقريبا الدور نفسه الذي يضطلع به عن قرب: فهو يقوم بدور التخطيط للحصص، والمضامين والأنشطة التعليمية والتكوينية، والتنشيط وتوجيه المتعلمين/المدرسين، ما يضمن استمراريتهم ومشاركتهم المعرفية والوجدانية، ويؤدي إلى تحقيق أهداف التعلم/التكوين المنشود ولو في حدوده الدنيا المعقولة والمقبولة.

وقبل أن نقدم مقترحات الصيغ والسناريوهات، لا بد من التنويه بأننا نعتمد أساسا مميزات المنهج البنائي الذي يجعل المتعلم/المتدرب يكتسب المعارف والأفكار والمهارات العملية من خلال سيرورة بنائية ارتقائية تكاملية، معنى ذلك أن تنظم الوضعية التعليمية/التعليمية بشكل يسمح لهذا المتعلم بممارسة التفكير كفعالية نظرية وعملية في نفس الوقت، وتجعله على اتصال مباشر بالأشياء والموضوعات المختلفة، وتتيح له إمكانية التفكير فيها واستخلاص المعارف والقوانين والقواعد المتحكمة فيها، وفق سيرورة منهجية تعكس إبداعيته وعطاءه الشخصي¹.

والدرس الاستقرائي، كما هو معلوم، يعتمد طريقة الوصول إلى المعارف

¹ - في طرق وتقنيات التعليم: من أسس المعرفة إلى أساليب تدريسها، تأليف عبد الكريم غريب وعبد العزيز الغرضاف وعبد الرحيم أيت دوصو، سلسلة علوم التربية، العدد7، 1992، ص 170.

انطلاقاً من الحسي (العملي) إلى المجرد (النظري)، ويمارس فيه المتعلم/المتدرب سيرورة تبدأ بالملاحظة الاكتشاف، وتنتهي بالاستنتاج مروراً بالتصنيف والنمذجة، في حين أن الدرس الاستنباطي يدفع بالمتعلم/المتدرب إلى ممارسة طريقة منطقية استنتاجية للوصول إلى المعارف أو المعارف أو المحتويات والمضامين المرغوب فيها، ويتم ذلك عبر ممارسة مجموعة من العمليات، تنطلق من فهم واستيعاب معطيات عامة (مسلمات، مقدمات، قضايا...)، وإعمال الفكر لتحليلها في مرحلة ثانية، لكي يتم استنتاج المعرفة سواء المدرسية أو الأكاديمية أو المهنية (بناء أو إعادة بناء) في مرحلة لاحقة.

إن اعتماد الانطلاق من الحسي إلى المجرد، أو القول بالنزول من المجرد إلى المحسوس، يعتبر كل منهما، عملية المعرفة سيرورة خطية ذات اتجاه أحادي تعطى فيها الأولوية، إما للمنطق (العقل) أو للنشاط الحسي، ولا سبيل لتقاطعهما¹.

وإن تجاوز هذه السمة الخطية لكلا المنهجين هو ما يميز المنهج البنائي، الذي يقدم عملية المعرفة باعتبارها عملية بناء واكتشاف لا سبيل فيها لتفضيل العقل على الملاحظة الحسية، ولا لتفضيل هذه الأخيرة على العقل، بل ينبغي أن يكون هناك تكامل في الوظائف والأدوار؛ بحيث إن الذات (المتعلم/المتدرب) لا تمارس النشاط المعرفي لمجرد أنها تسير حسب خطة محددة ومقننة مسبقاً، بل لأنها تبني المعرفة كجواب على وضعية-مشكلة تستدعي حلاً معيناً، وهنا لا بد من الإحساس والشعور والوعي وإدراك المشكل (نظري أو عملي واقعي). هذه الدينامية فحواها

¹ - نفسه، ص 170.

القيام بنشاط أو أنشطة يعمل فيها العقل بنماذجه وبنياته المختلفة، إلى جانب الفعل الحسي الحركي وحتى النفسي، للتأثير على الأشياء والموضوعات والوصول بالتالي إلى تجريد ما حدث من تغيرات عليها في صورة معارف محددة، وقد يؤدي هذا النشاط المعرفي/المهني أيضاً في العديد من الحالات والوضعية المشابهة، إلى تعديل النماذج والبنى العقلية والمعارف بمختلف مستوياتها (معارف الفعل ومعارف الكينونة ومعارف التصرف).

وما يهمننا أكثر في هذا المجال، ونحن نتحدث عن هذه الصيغ في إطار الاستمرارية البيداغوجية، وما يأتي بعدها من التحولات الضرورية لمواكبة المستجدات المستقبلية، هو الإطار التدريسي/التكويني لتحقيق الكفايات الأكاديمية والمهنية لنقل المسؤولية بالتدرج، الذي نشأ عن تقاطع عدة نظريات منها¹:

- أعمال بياجى (1952) حول البنى الإدراكية والمخططات؛

- أعمال فيجوتسكي (1962 و1978) حول نطاقات التطور والأقرب؛

- أعمال بندورا (1965) حول الانتباه والاحتفاظ والاستنساخ والتحفيز؛

- أعمال وود وويرنر وروس (1976) حول التعليم المتدرج.

وبالنظر إلى هذه النظريات في مجملها، نجد بأنها تجمع على أن التعلم يتم من

¹ - تعلم أفضل من خلال تدريس منظم، إطار نقل المسؤولية بالتدرج، تأليف دوغلاس فيشر، ونانسي فراي، ترجمة أسعد محمد علي أسعد، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 2016، ص 11.

خلال التفاعل مع الآخرين، وأنه حين يكون ذلك التفاعل مقصودا ومبرجا فإن التعلم المحدد يكون هو النتيجة.

وجملة القول، إن إطار التعلم/التكوين للقرن الواحد والعشرين، يقوم على قاعدة من المعرفة الأكاديمية والمهنية من خلال المبادئ الرئيسية للابتكار والتجديد، والتفكير النقدي وحل الوضعيات المشكّلة، والتواصل والعمل المشترك بين الأقران، لأن القرنين للقرنين ألقن، كما يقال، "ولست المسألة هي ضروب تعلم قديمة في مقابل ضروب تعلم جديدة، وإنما هي مسألة تحقيق تكامل دقيق بين الضروب القديمة والجديدة لتوفير فرص تدريسية تفضي إلى تخريج طلاب مستعدين للدراسة الجامعية وممارسة المهنة¹.

وعند مقارنة التعليم الإلكتروني عموما بالأساليب التقليدية للتعليم يتبين لنا أن هناك عددا من المزايا، نذكر منها:

- تجاوز قيود المكان والزمان في العملية التعليمية؛
- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وتمكينهم من إتمام عمليات التعلم في بيئات مناسبة لهم والتقدم حسب قدراتهم الذاتية؛
- إتاحة الفرصة للمتعلمين للتفاعل الفوري إلكترونيا فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين المعلم من جهة أخرى من خلال وسائل التواصل الإلكتروني ومجالس

¹ - تدريس مهارات القرن الحادي والعشرين، أدوات عمل، تأليف سوز. بيرز، ترجمة محمد بلال الجيوسي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 2014، بتصرف.

النقاش وغرف الحوار ونحوها؛

- نشر ثقافة التعلم والتدرب الذاتيين في المجتمع، والتي تمكن من تحسين وتنمية قدرات المتعلمين والمتدربين بأقل تكلفة وبأدنى مجهود؛

- رفع شعور وإحساس الطلاب بالمساواة في توزيع الفرص في العملية التعليمية، وأسر حاجز الخوف والقلق لديهم وتمكين الدارسين من التعبير عن أفكارهم والبحث عن الحقائق والمعلومات بوسائل آثر وأجدى مما هو متبع في قاعات الدرس التقليدية؛

- سهولة الوصول إلى المدرس/المكون حتى خارج أوقات العمل الرسمية.

- تخفيض الأعباء الإدارية للمقررات الدراسية من خلال استغلال الوسائل والأدوات الإلكترونية في إيصال المعلومات والواجبات والفروض للمتعلمين وتقييم أدائهم؛

- تمكين الطالب من تلقي المادة العلمية بالأسلوب الذي يتناسب مع قدراته من خلال الطريقة المرئية أو المسموعة أو المقروءة ونحوها؛

- توفير رصيد ضخم ومتجدد من المحتوى العلمي والاختبارات والتاريخ التدريسي لكل مقرر يمكن من تطويره وتحسين وزيادة فعالية طرق تدريسه.

إن إدماج المدرس للوسائط السمعية البصرية في التدريس يستهدف فيه عمليات الملاحظة أو المعاينة واكتشاف المجال وحصره، والمقارنة وغير ذلك، «منطلقا سيكولوجيا ينص على أن الفرد يدرك الأشياء التي يراها إدراكا أفضل

وأوضح مما لو قرأ عنها أو سمع شخصا يتحدث عنها، ويجب أن يأخذ المدرس في اعتباره أثناء استخدامه لهذه الوسائط أنها مجرد أدوات للتعلم ووسائل لتحقيق أهدافه، وليست غاية في ذاتها¹

لقد تولدت لدى المدرسين، رغبة كبيرة في الاستعمال المتزامن لثنائية الصوت والصورة مسايرة للتطور التكنولوجي الحاصل في جميع المجالات، فبعدما انضافت الآلة المسجلة والتلفاز إلى مجموع الوسائل السمعية البصرية المساعدة، والتي عرفت انتشارا واسعا خلال النصف الأول من القرن العشرين في مجال التصوير والشفافيات والسينما والأسطوانات، والمذياع وغيرها؛ نما لدى المدرسين وعي بفائدة هذه الوسائل الحديثة، الشيء الذي جعل الطريقة السمعية البصرية تمثل إدماجا ديداكتيكيا حول الدعامة السمعية البصرية، وما يهم اكتسابه هو الكفاية التواصلية في وضعية معينة أو مقام تواصل محدد، ويعود بنا هذا الجانب إلى المقاربة الوظيفية التي تأخذ المقامات التواصلية بعين الاعتبار وتجعلها دعامة أساسية في اختيار الوسيط التكنولوجي المناسب للتعلم أو تطوير المهارات اللغوية لدى المتعلمين²

ومهما ذكرنا من صيغ وأساليب واستراتيجيات، فيبقى دور المدرس/المكون

¹ - رهانات البيداغوجيا المعاصرة دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية، عبد الحق منصف، ط 1، 2007، إفريقيا الشرق.

² - طرق وأدوات التدريس والتكوين، عبد الكريم غريب، ط 1، منشورات عالم التربية. 2011 مطبعة النجاح الجديدة. المغرب.

مركزياً؛ بحيث هو المخطط والمدير والمنشط والموجه والوسيط ومحرك النقاشات سواء في الجماعة الفصل أو في المجموعات المصغرة، وهو المنظم للنقاش والتقاسم والمصادق على المعرفة...

إن التحدي القائم في ظل الجائحة وفي المستقبل القريب، هو "الانتقال بالتربية والتكوين والبحث العلمي، من منطق التلقين والشحن والإلقاء السلبي أحادي الجانب، إلى منطق التعلم الذاتي، والتفاعل الخلاق من المتعلم والمدرس، في إطار عملية تربوية قوامها التشبع بالمواطنة الفعالة، واكتساب اللغات والمعارف والكفايات والقيم، فردية وجماعية وكونية، وتنمية الحس النقدي وروح المبادرة، ورفع تحدي الفجوة الرقمية" وفي "تمكين المتعلمين والمتعلمين من التحقيق المتدرج للمواصفات المستهدفة في كل مستوى دراسي وتكويني، طبقاً لما ينص عليه الميثاق في دعامته الرابعة، مع ملاءمة المواصفات مع رافعات التغيير لهذه الرؤية"¹.

ونعرض فيما يلي أهم الصيغ العملية التي يمكن استعمالها لتنفيذ التكوين عن

بعد:

الخصبة الأولى: العرض التفاعلي²:

- إعداد العرض المقرر باعتماد الضوابط العلمية والمنهجية والتركيز على

النقط الأساسية؛

¹ - الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030، ص 12.

² - 4 سيناريوهات للتعليم عن بعد، جان فرانسوا بارممتي وكونيان فيسان، ترجمة محمد حسني، مراجعة وتقديم أحمد أوزي، مطبعة النجاح الجديدة، 2020 (بتصرف).

- إعداد مجموعة من الأسئلة، ما أمكن، بالنسبة لكل مفهوم من المفاهيم،
باعتماد اختيار من متعدد مثلاً، هذه الأسئلة تكون لها علاقة بما سيقدم عموماً خلال
العرض؛

- خلال العرض التفاعلي، وفي الوقت المحدد، يدفع المدرس/المكون
المعلمين/التدريين إلى الاختيار/التصويت، وتبعاً للنتائج المحصل عليه، يقوم
بتنظيم نقاش مصغر أو مستفيض حسبما يقتضيه الأمر باعتبار النتيجة، ويمكن
إضافة أسئلة مفتوحة تقتضي من المستفيدين التفكير في النقاط التي تكتسي بالنسبة لهم
أهمية أكثر أو النقاط التي تبدو أقل وضوحاً؛

- يمكن إتاحة بعض الوقت للمناقشة بين المعلمين/التدريين في إطار
مجموعات صغيرة حسب الإمكانيات التي تتيحها بيئة العمل (الغرف الافتراضية)؛

- يمكن للمدرس/المكون التنقل بين الغرف المصغرة المخصصة
للمجموعات، كما هو الشأن أثناء العمل في ورشات داخل الفصل الدراسي.

- بعد انتهاء العمل في مجموعات مصغرة، يتم عرض الإنتاجات وتقاسمها
ومناقشتها في إطار التصديق على المعرفة من قبل المدرس/المكون، وأخذ الخلاصات
الضرورية.

- طرح أسئلة توليفية إحصائية للحصة المقبلة في حدود 30%، لتحفيزهم على
البحث والإعداد والتفاعل.

الحصة الثانية: العمل في مجموعات صغيرة.

- بعد تسجيل حضور المتعلمين/المتدربين عبر المنصة المعتمدة، وفي إطار الاستعداد لحصة العمل حول الموضوعات والحالات العملية، يبدأ المدرس/المكون باختبار التحضير، وهو مكون من اختيارات من متعدد للتحقق من أن الجميع قد استعد للحصة، وبعد مدة في حدود 05 دقائق، للقيام باستخلاص سريع للمعلومات ذات العلاقة بالحصة.

- بعد ذلك يقوم المدرس/المكون بتقديم الوضعية التعليمية/التكوينية المشكّلة، ويقوم كل متعلم/متدرب بقراءة الوضعية المقترحة، وبعد ذلك تكون أمامه حوالي 10 دقائق للاشتغال الفردي لإعطاء إجابة فردية عبر قناة التواصل المعتمدة والمتفق عليها سلفاً، ويمكن للمدرس/المكون أن يتفاعل مع جميع الأجوبة بشكل شفهي عند الاقتضاء لحسن استغلال الوقت المخصص.

- بعد ذلك يقوم المدرس/المكون بتقسيم المستفيدين (أو اعتماد التقسيم المعمول به)، إلى مجموعات صغيرة تتكون من أربع إلى ست مجموعات على الأكثر، لتنظيم العمل عبر تقنية المناظرة عن بعد، ولديهم حوالي 20 دقيقة للتوصل إلى منتج مشترك، يقوم قائد كل مجموعة بعد ذلك بعرضه أما المجموعات الأخرى خلال الجلسة العامة.

- يستغل المدرس/المكون هذه الفترة للنظر في الأجوبة الفردية لأجل تكوين فكرة عامة عن كيفية تعامل المتعلمين/المتدربين مع الوضعية المشكّلة، ويمكنه زيارة الغرف الافتراضية المخصصة للمجموعات لإثراء النقاش وتقديم التوجيهات، إذا

اقتضى الأمر ذلك، أو الاتصال بشكل مباشر بالبعض الذين يبدو أنهم خارج المجموعة.

- بعد ذلك، يعود الجميع إلى الغرفة المخصصة للفوج كاملاً لعرض الخلاصات والمناقشة والتقاسم، ويقدم المدرس/المكون خلاصة تركيبية للتصديق على المعرفة، وتستمر الحصة على هذا المنوال حسب المحاور والوضعيات والأهداف التعليمية/التكوينية المحددة.

ومن أهم ما يمكن التنبيه إليه في هذه المرحلة، ضرورة التخفيف والتقليل من التكاليف وتسهيل وتنظيم التفاعلات وتعلم أساليب العمل الجماعي المنظم، وضمان مشاركة معرفة فردية مكتسبة مع المحتوى التعليمي/التكويني المعتمد والجارى به العمل ومشاركة الجميع ما أمكن ذلك؛ إذ العبرة بالنوع وليس بالكم.

الفصل المقلوب أو المعكوس¹

التعلم المقلوب (المعكوس) Flipped Learning أو الفصول المقلوبة (المعكوسة) Flipped Classrooms هو نموذج تربوي حديث يرمي إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ICT بطريقة فعالة في التدريس، بحيث يعكس ويقرب نظام التعليم التقليدي رأساً على عقب.

في التعليم التقليدي يتلقى الطالب معلومات الدرس من خلال الشرح

¹ - للتوسع في موضوع الفصل المقلوب، يمكن الرجوع إلى كتاب أحمد أوزي "الفصل المقلوب، بوابة إشراك المعلمين وممارسة التعليم عن بعد"، منشورات مجلة علوم التربية،

والمحاضرة داخل الغرفة الصفية من المعلم مباشرة، ويقوم بحل التمارين والواجبات التعليمية لتعميق المفاهيم المهمة في البيت بمفرده، الأمر الذي لا يراعي الفروق الفردية للطلبة وتفريد التعليم. بينما في التعلم المعكوس أو الصف المقلوب يتلقى الطالب المعلومات والشروحات في البيت، ويقوم بحل الواجبات التعليمية وتعميق المفاهيم داخل الصف بمساعدة المعلم والطلبة الأقران.

ويتم ذلك من خلال استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ICT في نقل الدرس للبيت من خلال الوسائط المتعددة، حيث يقوم المعلم بإعداد الدرس على شكل ملف صوتي أو مرئي لشرح المفاهيم الجديدة والتركيز على مفاهيم المعرفة والتذكر باستخدام التقنيات السمعية والبصرية وبرامج المحاكاة، لتكون في متناول الطلبة قبل الدرس. ويمكن أن يقوم المعلم بتصوير نفسه وهو يشرح الدرس على السبورة العادية أو السبورة الإلكترونية، أو باستخدام برنامج عرض الشرائح البوربوينت على الحاسوب مباشرة وتسجيل صوته وتحويل الصوت وشاشة العرض إلى فيديو، وذلك باستخدام أحد البرامج المناسبة لذلك مثل كامتازيا Camtasia و Snagit وغيرها الكثير، ويمكن كذلك استخدام بعض الدروس الجاهزة على الإنترنت بعد تعديلها، من خلال مواقع مشهورة مثل Khan Academy و TED.

تتراوح مدة الدرس المرئي أو الفيديو بين 5 و 15 دقيقة بما يتلاءم مع الفئة العمرية للطلبة، ويتم رفعه على شبكة الإنترنت من خلال اليوتيوب أو غيره، ووضع الرابط في أحد مواقع الويب أو شبكات التواصل الاجتماعي. وللتسهيل على الطلبة، يمكن إنشاء مجموعة على الفيسبوك أو الواتساب خاصة بهم وبمعلمهم

وبالمشرفين الآخرين على العملية التعليمية، ودعوتهم للانضمام إليها، ويمكن أن تكون مجموعة مغلقة لفسح المجال أمام الطلبة للنقاش وتبادل المعلومات والأفكار، علماً أنه توجد مواقع وتطبيقات عديدة تسمح بمتابعة تقدم عملية التعلم لدى الطلبة وتقييمهم.

خلال التعلم المعكوس، يقوم الطالب بالاطلاع على الفيديو وتحضير الدرس المطلوب، وذلك خارج التوقيت المدرسي، ومن أي مكان يتوفر فيه ربط بالنت وعبر أي جهاز ملائم، مثل جهاز الحاسوب الشخصي أو المحمول أو اللوحي أو الهاتف الذكي... وهذا يتمكّن الطالب من الاطلاع على الدرس أكثر من مرة وحسب حاجته، ليتسنى له استيعاب المفاهيم الجديدة. وفي هذه الحالة، يأتي الطلبة إلى الغرفة الصفية ولديهم الاستعداد التام لتطبيق تلك المفاهيم، والمشاركة في الأنشطة الصفية، وحل المسائل التطبيقية.

واستعداداً للحصة الصفية، يقوم المعلم باختيار الأسلوب الملائم للتأكد من اطلاع جميع الطلبة دون استثناء، على الدروس المرئية خارج الغرفة الصفية، ويمكن وضع أسئلة قصيرة يجيب عنها الطالب قبل الحضور إلى الغرفة الصفية من خلال الإنترنت يطلع عليها المدرس قبل بدء الدرس؛ حيث يمكن للطلّاب الإجابة عن أسئلة مناسبة تحضيراً للحصة الصفية مثل: كتابة فقرة قصيرة عن المعلومات والأشياء الجديدة التي تعلمها، أو صياغة سؤال حول الدرس لطرحه على الزملاء...

صحيح أن درس الفيديو يُعدّ عنصراً مهماً في الفصول المقلوبة، لكن الأهم من

ذلك هو أسلوب التدريس الملائم لذلك داخل الغرفة الصفية، فالمعلم يجب أن يبدع في استخدام أساليب التعلم البنائي، والتعلم النشط، والتعلم القائم على المشاريع، وما إلى ذلك من أساليب فعالة لملاءمة نموذج التعلم المعكوس، ورفع مستوى الأسئلة إلى التطبيق والاستدلال للمساهمة في زيادة التحصيل والدافعية، ورفع مستوى مهارات التفكير لدى الطلبة، وزيادة الثقة والاعتماد على النفس في عملية التعلم.

وللتعليم المعكوس إيجابيات عديدة كالأستغلال الجيد لوقت الحصة، وزيادة التفاعل بين الطلبة أنفسهم من جهة ومع المعلم من جهة أخرى، وإتاحة المجال للمتعلمين/الطلبة/المتدربين لتحضير الدروس من أي مكان يتوفر فيه ربط بشبكة الإنترنت، وبأي جهاز يتوفر لديهم، وفي أي وقت يناسبهم، وإعادة الدرس أكثر من مرة بناءً على فوارقهم الفردية، إضافة إلى أنه يبني علاقات قوية بين الطالب والمعلم، مما يساهم في جعل الطالب محور العملية التعليمية التعلمية، والباحث عن مصادر المعلومات، وتعزيز التعلم الذاتي، والتفكير النقدي، وبناء الخبرات ومهارات التواصل والتعاون بين الطلاب.

وفيما يلي نقترح صيغة العمل:

- بعد حصة العرض التفاعلي والعمل في مجموعات مصغرة، ومن أجل الاستمرار في تكوين وتدريب المتعلمين/المتدربين على استخدام التحليل الصحيح واستثمار الإمكانيات الفردية في التعلم، يخطط المدرس/المكون لمجموعتين من أسئلة الاختيارات المتعددة، مع الحرص على تضمين التحليل غير الصحيح بين الإجابات

الخاطئة المحتملة.

- تخصص الساعة الأولى لأنشطة عملية/تمارين باعتماد تقنية التفكير الفردي والزوجي والتشاركي، وتقوم الفكرة أساسا على الجمع بدقة بين الأنشطة التي سيتم تنفيذها بين الحصص الدراسية/التكوينية والأنشطة المتزامنة؛ بحيث يطلع المدرس/المكون على العمل المنجز من قبل المتعلمين/المتدربين ويقدم الملاحظات الضرورية حول الأخطاء التي تم ارتكابها ويقترح أنشطة جديدة للدعم والمعالجة للضبط والتعديل وتعميق المفاهيم.

- وتتم هذه الآلية من خلال تحليل عمل المتعلمين/المتدربين من قبل المدرس/المكون أثناء الفاصل الزمني، أي بين نهاية الأنشطة غير المتزامنة وبدء الأنشطة المتزامنة.

- تتيح الأنشطة غير المتزامنة عبر الأنترنت وما يتيحها من إمكانية الوصول إلى المورد الرقمي حسب الوقت والحاجة والإيقاع الذي يناسب كل واحد من المتعلمين/المتدربين، وتسمح أسئلة الاختيارات المتعددة والأسئلة المفتوحة والأنشطة الأخرى المصاحبة للمورد الرقمي (مقاطع الفيديو عموما)، وكذا الوثائق الرقمية المرفقة بالمشاركة في المشاهدة والاستماع والقراءة النشطة التي تتجاوز مجرد العرض البسيط والآني للمعلومات.

- تحتتم هذه الحصة بالتفسيرات الضرورية والتوجيهات الخاصة بالعمل الذي يتعين القيام به للأسبوع المقبل.

وفي ظل إمكانية تنظيم التكوين بنصف العدد المحدد، يمكن اعتماد التكوين التناوبي، كما نصت على ذلك المذكرات والمراسلات الواردة في شأن تنظيم السنة التكوينية 2020-2021:

يقوم "التكوين بالتناوب" على أساس تخصيص فترات التكوين الحضوري وأخرى للتكوين الذاتي، بشكل تناوبي (50 ٪ لكل واحد منهما)، وحسب الإمكانيات المتاحة بكل مؤسسة (الموارد المادية والبشرية وقدرتها الاستيعابية والمرافق والتجهيزات المتوفرة بها) وخصوصية المنطقة أو الإقليم أو الجهة التي تنتمي إليها.

ويعتمد التدريس/التكوين بالتناوب على ما يلي:

- تقسيم كل فوج إلى مجموعتين من أجل تسهيل عملية الرجوع إلى السير العادي للدراسة حين العودة إلى الوضعية الصحية الطبيعية، كما سيتمكن هذا التقسيم من تحقيق التباعد الجسدي الذي تفرضه الإجراءات الاحترازية لمواجهة جائحة كورونا؛

- إعداد استعمالات الزمن موزعة إلى شقين: الأول تكوين حضوري، والثاني تكوين ميداني وتكوين ذاتي مؤطر، بشكل متساو (نصف الفوج الأول يستفيد من التكوين الحضوري وفي الوقت نفسه نصف الفوج الثاني يستفيد من أنشطة التكوين الذاتي بشكل متناوب).

ولإنجاح هذا الصيغة، وجب احترام مجموعة من الضوابط والموجهات

لتدبير الحصص (الحضورية وعن بعد):

- اعتماد الأندراغوجيا في تكوين المتدربين؛

- اعتبار حصص التكوين الذاتي المؤطر حصصا ضمن رزنامة التكوين؛

- يتم تدبير الحصص التكوينية بشكل متناوب بين التكوين الحضوري والتكوين الذاتي المؤطر؛ بحيث يتم تقديم نفس المحور أو النشاط حضوريا وفي إطار التكوين الذاتي؛ وفق ما يلي:

- تقديم نشاط أو محور خاص بالمجزوءة حضوريا لنصف الفوج الأول في الأسبوع الأول؛

- تقديم المحور أو النشاط نفسه مع نصف الفوج الثاني في إطار التكوين الذاتي المؤطر في الأسبوع الأول؛

- تقديم نشاط أو محور خاص بالمجزوءة حضوريا لنصف الفوج الثاني في الأسبوع الثاني؛

- يتم تقديم المحور أو النشاط نفسه مع نصف الفوج الأول في إطار التكوين الذاتي المؤطر في الأسبوع الثاني؛

- يخصص زمن في بداية كل حصة حضورية لتذليل بعض الصعوبات المسجلة في فهم المحور أو النشاط المقدم في إطار التكوين الذاتي؛

- يتم العمل كلما أمكن ذلك، على إحداث منصات رقمية لتقاسم الموارد الرقمية ووثائق الاشتغال؛

- توحيد خطة ومحاور التكوين بين مختلف مقرات التكوين بكل مؤسسة لتكوين الأطر التربوية واستثمار منصة التكوين عن بعد e-takwine؛

- إحداث أقسام افتراضية للقاءات متزامنة عبر المنصات التي تتيح التفاعل الآني؛

- تعزيز منصة الوزارة باعتبارها منصة وطنية تجمع عدة مساقات تضمن عرضا تكوينيا يواكب التكوين الحضوري ويكمله؛

- الانفتاح على تجارب محلية و جهوية لتعزيز التكوين عن بعد.

كما يستند التكوين بمختلف الأسلاك والمسالك والتخصصات على مبدأ التنوع في أنشطة التكوين، من قبيل: الورشات العملية والمحاضرة، ولعب الأدوار، ودراسة الحالات، والعمل بالمجموعات، والعروض، وإشراك الأشخاص الموارد...، انسجاما مع متطلبات مهنة التكوين،

سابعاً: معالم وأسس رقمنة منظومة التكوين .

1- تقوية ومأسسة الجانب التشريعي والتنظيمي

من المعلوم أن رقمنة المدرسة ومأسسة التدريس/التكوين عن بعد لن يزيح التدريس/الحضوري من واقع المدرسة؛ بحيث إن المدرسة كفضاء هي أكبر من أن تكون فقط فضاء للتعلم ليس إلا، بل هي فضاء للتربية والتعلم والتعليم والتنشئة الاجتماعية بالأساس؛ بحيث تعمل على تنشئة وتكوين وتخريج مواطنين صالحين قادرين على المشاركة الإيجابية والفعالة في كل شؤون المجتمع، تلك المشاركة التي

تضمن تطور المجتمع واستمراريته.

وكلامنا عن ضرورة تقوية ومأسسة الجانب التشريعي والتنظيمي لرقمنة المؤسسة ومواكبة المستجدات المعرفية والتكنولوجية، بما يحقق الإصلاح المنشود، إنما يأتي في سياق التفكير الجماعي لاستثمار الإمكانيات الهائلة التي توفرها تكنولوجيا المعلومات والاتصال للعملية التعليمية التكوينية، ويأتي كذلك، كما أشار القانون الإطار، في إطار اتخاذ الحكومة للتدابير اللازمة والمناسبة لتمكين مؤسسات التربية والتعليم والتكوين والبحث العلمي في القطاعين العام والخاص من تطوير موارد ووسائل التدريس والتعلم والبحث في منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، ولا سيما من خلال الآليات التالية¹:

- تعزيز إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في النهوض بجودة التعلّمات وتحسين مردوديتها؛

- إحداث مختبرات للابتكار وإنتاج الموارد الرقمية، وتكوين متخصصين في هذا المجال؛

- تنمية وتطوير التعليم عن بعد، باعتباره مكتملا للتعلّم الحضوري؛

- تنويع أساليب التكوين والدعم الموازية للتربية المدرسية والمساعدة لها؛

- إدماج التعليم الإلكتروني تدريجيا في أفق تعميمه.

وهذا الأمر، يحتاج إلى استراتيجية وطنية للتعليم والتكوين عن بعد، وإصدار

¹ - القانون الإطار 51.17، الباب الخامس، المادة 33.

نصوص منظمة لذلك، وخاصة ما يتعلق بتنظيم التعليم/التكوين عن بعد بصفته مكتملا للحضوري، وكذا تنظيم القويم عن بعد إذا اقتضى الأمر ذلك، وخاصة فيما يتعلق ببعض التكوينات ذات العلاقة أساسا بالتكوين المستمر...

1- ضرورة دعم البنية التحتية وتوفير اللوجستيك الضروري واللازم.

وهنا لا بد من الحديث عن ضرورة إلزام شركات الاتصال بتخصيص جزء من عائداتها للتعليم/التكوين عن بعد، وجعل الولوج إلى تلك الخدمات مجانيا للمتدخلين والمستفيدين على السواء، حتى يمكننا تحقيق الأهداف المنشودة في المشاريع المندجة لتفعيل مقتضيات القانون الإطار 51.17، ومن تلك الأهداف أن تكون المؤسسات التعليمية مجهزة ببنيات مناسبة مع الصيانة والربط بالإنترنت¹، وهذا يروم:

- استكمال تجهيز مؤسسات التعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي بقاعات متعددة الوسائط SMM وبحقائب متعددة الوسائط VMM؛
- تجهيز المؤسسات التعليمية بحقائب متعددة الوسائط VMM؛
- تجهيز 7000 مدرسة فرعية بحقائب متعددة الوسائط (VMM) وربطها بشبكة الإنترنت؛

- تجهيز مؤسسات التربية والتكوين بالأجهزة الضرورية، مثل حاسوب

¹ - حافظة المشاريع لتفعيل مقتضيات القانون الإطار 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث

العلمي، قطاع التربية الوطنية، المشروع 14، ص52.

ومسلاط في كل قاعة؛

- إرساء منظومة معلوماتية لتتبع حظيرة العدة المعلوماتية، والربط بشبكة الأنترنت المخصصة للعملية التعليمية بالمؤسسات التعليمية والمديريات الإقليمية ومراكز التكوين؛

كما يسعى هذا البرنامج، إلى ربط المؤسسات التعليمية بشبكة الإنترنت مع خدمة التصفية وتفعيل برنامج لصيانة العتاد المعلوماتي، من أجل الوقاية والإصلاح بشكل فعال.

وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالتخطيط الجيد وتضافر جهود جميع المتدخلين في العملية التعليمية/التكوينية، كل من موقعه ومسؤوليته، وألا تكون التقارير هي الأهم الأساس، بل لا بد من خطة تتبع ومواكبة لتقييم الأداء وقياس الأثر...

2- إعداد وتنفيذ خطة للتكوين الأساس والمستمر في مجال التكوين عن بعد.

لا يمكن الحديث عن نجاح العملية في غياب تأهيل العنصر الأساسي، ألا وهو المدرس/ المكون، ولذلك وجب إعداد برنامج متكامل لتكوين جميع المدرسين/ المكونين ليس فقط في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال وكيفية إدماجه واستثماره في العملية التعليمية/التكوينية، ولكن تكوينهم بشكل شامل وعادل وجعلهم قادرين على التدريس/ التكوين بصيغ تناسب عصر الرقمنة؛ إذ لم يعد مقبولا البتة أن نستمر في التدريس/ التكوين بالصيغ والطرائق التقليدية رغم أهميتها، ومن هنا وجب التذكير مرة أخرى بضرورة القيام بثورة علمية تربوية تقلب

البراديجمات التقليدية، وتنطلق نحو الرقمنة، وما يترتب عنها من مستلزمات علمية ومهنية ومنهجية.

وهذا أمر يمكن تحقيقه في مدة معقولة، إذا توفرت الإرادة السياسية على مستوى الدولة، لأن المدرسين/المكونين أبانوا عن انخراطهم بنسبة عالية خلال تنفيذ الاستمرارية البيداغوجية؛ سواء على مستوى عدد الساعات المنجزة أو عدد الموارد الرقمية التي تم إعدادها على صعيد مؤسسات التربية والتكوين وطنيا و جهويا وإقليميا ومحليا.

وفي هذا الصدد، نص القانون الإطار¹ على أنه يتعين على السلطات الحكومية ومؤسسات التكوين المعنية أن تعمل على مراجعة برامج ومناهج التكوين الأساسي لفائدة الأطر العاملة بمختلف مكونات منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي ومستوياتها، بقصد تأهيلهم وتنمية قدراتهم، والرفع من أدائهم وكفاءتهم المهنية، وذلك من خلال ملاءمة أنظمة التكوين مع المستجدات التربوية والبيداغوجية والعلمية والتكنولوجية، مع مراعاة خصوصيات كل صنف من أصناف التكوين، مما يهدف تطوير أداء هؤلاء الفاعلين التربويين، من خلال الرفع من جودة تكوينهم وتحسين تدبير مساراتهم المهنية لتحقيق أداء مهني متطور من خلال توفير تكوينات حضورية وعن بعد²:

¹ - القانون الإطار في الباب السادس (الموارد البشرية)، المادة 39

² - حافظة المشاريع لتفعيل مقتضيات القانون الإطار 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، قطاع التربية الوطنية، المشروع 14، ص 52.

من أجل تطوير الأداء المهني للأطر التربوية عبر التكوينات الحضورية والتكوينات عن بعد، تعمل الوزارة، من خلال برنامج جيني، على ضمان مواكبة هاته الأطر عبر تعزيز مهاراتهم المهنية وتوفير تكوينات إسهادية في المعلومات وفي مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من خلال التدابير التالية:

- ضمان توفير التأطير البيداغوجي ومصاحبة التعلّيمات، من أجل إرساء استعمالات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم من خلال التكوينات الحضورية؛

- تنظيم تكوينات حضورية أو عن بعد للمكونين الرئيسيين حول إنتاج وإدماج موارد رقمية من طرف مكوفي المركز المغربي الكوري للتكوين مع ضرورة مضاعفة هذه التكوينات على مستوى الجهات والأقاليم؛

- تعزيز مهارات الفاعلين التربويين وتوفير تكوينات عن بعد عبر منصة التكوين عن بعد: "ComPracTICE" و "MOOC GENIE"؛

- مواكبة الأطر التربوية، من خلال تعزيز مهاراتهم المهنية وتوفير تكوينات إسهادية في المعلومات، وفي مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات MOS وMCE؛

- توظيف الحساب الإلكتروني taalim.ma من طرف الأطر التربوية؛

- تطوير المهارات الأساسية للمدرسين والمفتشين المتدربين بالمراكز في مجال إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم؛

- تنظيم تكوينات حضورية حول إنتاج وإدماج موارد رقمية في المركز المغربي الكوري للتكوين؛

وحتى يمكننا تطوير هذه العملية، لا بد من إعداد وبرمجة مجزوءة تكوينية حول التدريس وتدبير التعلّات عن بعد موجهة للأطر التربوية، يستفيد منها جميع المتدربين بمختلف أسلاك التكوين بمراكز تكوين الأطر، وكذا برمجتها ضمن عدة التكوين المستمر.

3- توفير الموارد المالية لضمان نجاح العملية واستمرارها وتشجيع الاستثمار العمومي في المجال.

كما يقال، المال عصب الحياة، ولذلك لا يمكن أن نتحدث عن مأسسة التعليم/التكوين عن بعد بصفته مكملًا ومعززا للحضور، وتوفير بنياته ومستلزماته المادية واللوجستية، دون استحضار أهمية التمويل والاستثمار، وفي هذا الصدد، جاء في المادة 4 من الباب الثاني من القانون الإطار 51.17 أن: "اعتبار الاستثمار في التربية والتكوين والبحث العلمي استثمارًا منتجًا في الرأسمال البشري، ورافعة للتنمية المستدامة ودعم أساسية للنموذج التنموي للبلاد".

وهنا، نحتاج إلى ثورة ثقافية حقيقية، لنعيد المدرسة إلى موقعها الحقيقي داخل المجتمع؛ بحيث تصبح مركزية في الاهتمام والعناية والتفكير المجتمعي، وأن تزول عنها الصورة النمطية التي علقنا بها منذ عقود خلت، وهي أنها مؤسسة الدولة أو الوزارة، وينظر إليها في بعض الأحيان على أنها جسم غريب داخل الكيان المجتمعي، فالاستثمار في التربية والتكوين، ينبغي ضرورة أن يظهر أثره على

مؤسسات التربية والتكوين ومكوناتها، سواء على مستوى الهندسة والبناء والموقع الجغرافي، أو على مستوى المكانة والعناية والاهتمام والاحترام، أو على مستوى التجهيز والتمكين من أدوات العمل، وهذا يمكن أن يتم بالإحسان الفردي والعمومي، وتاريخ المغرب حافل بالنماذج، وخاصة فيما يتعلق بأوقاف المدارس والجامعات...

1- ضرورة إعادة النظر في المنهاج الدراسي وخاصة ما يتعلق بالموارد الرقمية

وتطويرها

يقترح فيليب ميريو تحليلاً نسقياً للتعليم، من خلال كتابه: لتتعلم ولكن كيف

apprendre oui mais comment

ويرى أن الوظيفة الأساسية للمدرسة، تكمن في إنجاح التربية، وليس إنتاج خطابات ديباغوجية حول الفشل المدرسي. لذا على كل تفكير في فعل التعلم، التخلص من النزعة التطبيقانية، والاتجاه نحو تعبئة مختلف موارد الفلسفة وعلوم التربية. أما الفعل الديدانكتيكي، فينبغي أن يتأسس على تنظيم التفاعل بين مجموع وثائق أو موضوعات، وبين مهمة للإنجاز. فعمل المدرس هو تيسير التفاعل بين المتعلم وبين وضعية التعلم ليصبح لها معنى¹.

ويقول أيضاً: "يصبح هم المدرس هو كيفية تحويل المعرفة المدرسية إلى طريقة

للحب: حب المعرفة وحب التعلم، إن (المتلقي) هو المالك للسلطة، فلا أحد يمكن

¹ - نقلاً عن عبد الرزاق التيجاني: فيليب ميريو: فلسفة أبيقورية تؤطر التعلم، الفكر وحده قادر على تسليح الحرية ومناقشة الأمل الديمقراطي، الشرق الأوسط، 18 أغسطس 2016م.

أن يلزمه بالتحرك وفق المعارف المدرسية، فهو الذي يستثير تلك المعارف وليس العكس. واهتمام المتعلم، هو أساس أي فعل تعليمي. وبعبارة أخرى، انخراط المتعلم في سيورة التعلم هو ما يضمن تطوره، ولا أحد قادر على اتخاذ القرارات بدلا منه¹.

وبالرجوع إلى القانون الإطار 51.17 نجده قد نص في المادة 3 من الباب الثاني، على: "تحسين جودة التعليم والتكوين وتطوير الوسائل اللازمة لتحقيق ذلك، ولا سيما من خلال تكثيف التعلم عبر التكنولوجيات التربوية الحديثة، والرفع من نجاعة أداء الفاعلين التربويين، والنهوض بالبحث التربوي، والمراجعة العميقة والمستمرة والمتنظمة للمناهج والبرامج والتكوينات"²؛ بحيث وجب لزوما إعادة النظر في النظام البيداغوجي الحالي، والتفكير في اعتماد نظام يستجيب لمتطلبات التنمية الوطنية، وينفتح على التجارب الدولية، مع توفير الوسائل والإمكانات المناسبة لتطبيقه وتطويره بكيفية مستمرة ودائمة، ليستجيب للحاجات الحقيقية للمتعلمين/المتدربين، وهذا ما أشارت إليه المادة 27، من الباب الخامس، فيما يخص المناهج والبرامج والتكوينات؛ حيث نصت على أنه: "من أجل بلوغ أهداف منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي وتمكينها من القيام بوظائفها، تتولى السلطات الحكومية المعنية بتشاور مع مختلف الشركاء، ولا سيما منهم الفاعلون التربويون

¹ - فلسفة أبيقورية تؤطر التعلم، الفكر وحده قادر على تسليح الحرية ومناقشة الأمل الديمقراطي، م.س.

² - ظهير شريف رقم 1.19.113 صادر في 7 ذي الحجة 1440 (9 أغسطس 2019) بتنفيذ القانون الإطار

رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي.

والاقتصاديون والاجتماعيون والخبراء، العمل على تجديد وملاءمة المناهج والبرامج والتكوينات والمقاربات البيداغوجية المتعلقة بها، والسهر على تنفيذ مضامين الهندسة اللغوية المعتمدة، وتطوير موارد ووسائل العملية التعليمية، وإصلاح نظام التقييم والامتحانات والإشهاد... وذلك من خلال إعداد إطار مرجعي للمنهاج ودلائل مرجعية للبرامج والتكوينات، والسهر على تحيينها وملاءمتها مع التطورات البيداغوجية الحديثة بكيفية مستمرة.

ويجب على اللجنة أن تراعي، عند إعدادها لهذا الإطار والدلائل، مبادئ وقواعد وتوجهات، نذكر منها:

- التنسيق الوثيق بين مختلف مكونات منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي ومستوياتها، والاسترشاد بالتجارب الأجنبية الناجحة والممارسات الفضلى في هذا المجال؛

- اعتماد منهجية تفاعل المعارف، وتكامل التخصصات، لتحقيق مرونة وتناسق أكبر في التعلّات والتكوينات؛

- جعل المتعلم محور الفعل التربوي وفاعلا أساسيا في بناء التعلّات؛

- تنويع وملاءمة المقاربات البيداغوجية في ممارسة أنشطة التدريس والتكوين والتعلم، بما يكفل المزيد من الاستقلالية البيداغوجية لهذه الأنشطة؛

- مراجعة الكتب المدرسية ومختلف المعينات التربوية، والعمل على تجديدها وملاءمتها بكيفية مستمرة...؛

- استثمار نتائج البحث التربوي والاجتماعي من أجل الرفع من جودة البرامج
والمناهج والتكوينات؛

- اعتماد برامج للاستكشاف المبكر للنبوغ والتفوق لدى المتعلمين من أجل
دعم المتميزين منهم، ومساعدتهم على إبراز مواهبهم وقدراتهم وتفوقهم.

ومن الأهداف الواردة في حافظة المشاريع¹:

- إدماج ناجع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المقاربة المنهجية منذ
الشروع في تصور المناهج والبرامج والمواد وذلك بإدماج موارد مكيّفة وفق المنهاج
الجديد، وتغطي جميع المواد والأسلاك الدراسية؛

تحرص الوزارة من خلال هذا المشروع، على إعداد برامج ومناهج تدمج
تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم والتعلم وذلك، بدءاً بتقديم تصور
شمولي لكيفية إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المناهج الدراسية. كما
أن المشروع يسعى إلى إحداث موارد رقمية مكيّفة وفق المنهاج الجديد، تغطي جميع
المواد والأسلاك الدراسية باعتماد التدابير التالية:

- توفير تطبيقات تربوية رقمية للمواد الدراسية المنقحة وفق المنهاج الجديد
للسلك الابتدائي؛

- تسكين الموارد الرقمية المقتناة والحرّة والمصادق عليها على البوابة الوطنية

¹ - حافظة المشاريع لتفعيل مقتضيات القانون الإطار 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث

العلمي، قطاع التربية الوطنية، المشروع 14، ص 50.

لإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم taalimtice.ma ووضعها
رهن إشارة الأطر التربوية لتوظيفها في الممارسات البيداغوجية؛

- وضع رهن إشارة المتعلمين منصة رقمية telmidtice.ma خاصة بالتدريس
عن بعد معززة، بموارد رقمية على شكل دروس، بالإضافة إلى تمارين تفاعلية للدعم
والتقوية وذلك بعد التصديق عليها من قبل الجهات المختصة؛

- تشجيع إنتاج مشاريع تربوية رقمية (ممارسات بيداغوجية) من طرف الأطر
التربوية من خلال تنظيم مباراة INNOVATICE؛

- التصديق على الموارد الرقمية المنتجة من طرف الأطر التربوية ومنح علامة
الجودة VAREN؛

- مأسسة الإنتاجات التربوية الرقمية من طرف الأساتذة وتأطيرها من طرف
السادة أطر المراقبة التربوية؛

- تطوير أو اقتناء منظومة لإدارة التعلم LMS وربطها بمنظومة مسار للتدبير
المدرسي (MASSAR TICE)

خلاصة؛

في إطار نموذج بيداغوجي قوامه التنوع والانفتاح والنجاعة والابتكار
ومواكبة المستجدات، فإن التعليم عن بعد يمكن أن يعطي دفعة قوية لتجويد تعلمات
المتعلمين، وتجويد مشاريع المؤسسات التعليمية في مختلف الأسلاك التعليمية
والتكوينية، إلا أنه يجب توفير الوسائل والموارد اللازمة لذلك، والاهتمام بتكوين

جدي وفعال للأطر التربوية والإدارية في البرمجة المعلوماتية، وفي إنتاج التطبيقات والمنصات التفاعلية، مع تدريب المعلمين المستمر على استعمالها والتفاعل معها بكيفية سليمة وملائمة.

وإن كان التعليم الإلكتروني في المغرب قد نُص عليه منذ صدور الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الذي أكد على ضرورة الانتقال إلى مرحلة إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم، وتم تخصيص ميزانيات مهمة لتكوين المدرسين في إطار تفعيل برنامج جيني، وكذا التكوينات الإسهادية بشراكة مع شركة مايكروسوفت في بداية القرن الحالي، فإنه لا زال مطلوباً من الجميع، كل من موقعه ومسؤوليته، العمل على إعداد وبلورة الخطط والبرامج والاستراتيجيات وكيفية تفعيلها لتحقيق الأهداف المرجوة في هذا المجال.

لقد كشفت تجربة التعليم/التكوين عن بعد في ظل جائحة كورونا "كوفيد19"، ضرورة تعميم تكنولوجيا المعلومات والاتصال على مستوى البنية التحتية والتمكن من استعمالها من قبل المتدخلين الأساسيين في العملية التعليمية/التكوينية، ورغم ما يمكن ملاحظته على خطة الاستمرارية البيداغوجية، فإن أحداً لا يمكن أن ينكر نتائجها الإيجابية عموماً، ليس فقط على مستوى التحصيل، ولكن على المستوى النفسي والاجتماعي؛ حيث لعبت دوراً أساسياً في مواكبة المعلمين/المدرسين، ورفع نسبة الحافزية عندهم في علاقتهم بالمدرسة والمدرسين.

وختاماً، لقد أصبح واجباً على المدرسة المغربية بكل مكوناتها التفكير الجدي

والعميق لتطوير الاستراتيجيات والطرائق البيداغوجية لإعداد أجيال الغد في خضم هذا العالم المتغير، معرفيا وتكنولوجيا، بشكل مستمر، مما يضمن تنمية مهارات التعلم الذاتي، والبحث والتفكير والتحليل النقدي، وتحديث أساليب حل المشكلات وتوظيف الذكاءات المتعددة، واكتساب مهارات الحياة، وتعزيز روح النقد والحوار، واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال، استخدما يجعل المتعلم/المتدرب في صلب العملية التعليمية/التكوينية، دون إلغاء دور المدرس/المكون الذي سيقى دورا أساسيا ومركزيا.

أثر التعليم والتكوين عن بعد في تطوير مهارات المتعلمين الحياتية.

د. نور الدين ناس الفقيه

باحث في علوم التربية والديداكتيك/مفتش تربوي أكاديمية فاس مكناس

تقديم:

يشهد العالم المعاصر انفجارا معرفيا هائلا، وثورة كبيرة في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال، حتى إن الكرة الأرضية غدت قرية صغيرة أتيح لسكانها التواصل بالصوت والصورة في اللحظة ذاتها من أقاصي الأرض وأطرافها، علاوة على التوصل بالأخبار فور وقوعها أو متابعتها مباشرة عبر وسائل الاتصال. وقد انعكس هذا الوضع على مجالات الحياة المختلفة: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإعلامية وغيرها؛ ولم يشذ المجال التربوي التعليمي عن هذه القاعدة، فأصبحنا نتحدث عن التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد وبخاصة في الظرفية الحالية حيث يعيش العالم تحت وطأة الفيروس التاجي الذي فرض تغييرات مهمة في مجالات الحياة المختلفة، ومنها مجال التربية والتعليم.

إذا كانت مدرسة القرن الواحد والعشرين تراهن على تعزيز قدرات المدرسات والمدرسين من خلال تقديم مقاربات تعليمية-تعليمية داعمة لتطوير أساليب وطرائق تعليمية مبتكرة تعزز التمكين من المهارات الحياتية والمواطنة لدى المتعلمين من خلال الأنشطة الصفية والأنشطة اللاصفية باعتبارها متواشجة متكاملة، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هل هنا هو كيفية تنمية تلك المهارات لدى المتعلمين باعتقاد التعليم عن بعد باعتبار هذا النمط أضحى بديلا لا غنى عنه في ظل

الجائحة التي يشهدها العالم حالياً.

أولاً: التعليم عن بعد: المفهوم والمقومات:

1- مفهوم التعليم عن بعد:

يرى "زيجريل" (Zigerell) أن التعليم عن بعد هو إحدى صيغ التعليم التي تتصف بفصل طبيعي بين المدرس والطالب، باستثناء بعض اللقاءات التي يعقدها المدرس مع الطالب وجها لوجه لمناقشة بعض المشروعات البحثية، ويوضح "زيجريل" أن التعليم عن بعد يختلف عن التعليم بالمراسلة من حيث إنه يستلزم بعض الفرص لتفاعل الطالب مع المعلم¹، وهو نقل برنامج تعليمي من موضعه في حرم مؤسسة تعليمية ما إلى أماكن متفرقة جغرافياً، ويهدف إلى جذب طلاب لا يستطيعون في الأوضاع العادية الاستمرار في برنامج تعليمي تقليدي.

ويرى باحث آخر² أن التعليم عن بعد "Distance learning" هو "وجود فصل دائم بين المعلم والمتعلم، مع عدم وجود قاعات دراسية منتظمة، بحيث يتلقى المتعلم المعلومات في أي وقت يناسبه بطريقة معينة باستخدام الوسائط التعليمية الملائمة مع التوجيه والإشراف اللازم من الاختصاصيين".

ويعرف الباحث ذاته التعليم عن بعد إجرائياً بأنه "تلك المواقف التعليمية التعليمية التي تتميز بعدم وجود لقاء وتفاعل مباشر بين المعلم والمتعلم، بحيث يتم

¹ - أحمد محمد العزاوي، "واقع ومستقبل التعليم عن بعد في الوطن العربي"

<http://www.arabcin.net/arabiaal/1-2002/15html>

² - مختار عثمان الصديق، "توسيع التعليم والجامعة المفتوحة" (حالة السودان كنموذج الأقطار النامية)،

جامعة باث، المملكة المتحدة، ص 5

التعلم عن طريق نقل المعلومات والمعارف من مصادرها إلى المتعلم في مكان وجوده، بالاعتماد الكلي على التفاعل من خلال وسائط الاتصال الإلكترونية¹.

يجرنا هذا إلى الحديث عن "التعليم الرقمي أو" التعليم الإلكتروني" باعتباره أساس التعليم عن بعد، بما يقتضيه من استعمال وسائط تكنولوجيا وشبكة الإنترنت ومناهج التعليم الإلكترونية، سواء داخل الفصل الدراسي أم عن بعد.

وقد حدد بعض الباحثين² مراحل تطور التعليم الإلكتروني في الأجيال الآتية:

✓ الجيل الأول: جيل المراسلة، ويعتمد على نقل المعلومات المطبوعة إلى المتعلمين.

✓ الجيل الثاني: جيل الوسائط المتعددة، ويستخدم المواد المطبوعة والمسموعة وبرمجيات الحاسب والفيديو التفاعلي.

✓ الجيل الثالث: جيل التعليم عن بعد الذي يعتمد على تكنولوجيا المعلومات كالمؤتمرات السمعية والمرئية وأنظمة الاتصال والبث الإذاعي والتلفزيوني.

✓ الجيل الرابع: جيل الاعتماد على شبكة الأنترنت.

✓ الجيل الخامس: جيل الجامعات الافتراضية.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - حسام الدين عبد الحميد ومحمد آمال ربيع: "التعلم الإلكتروني ومتطلبات تطبيقه في التعليم: رؤية مستقبلية لتطوير التعليم العالي بسلطنة عمان"، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الثامن "الأبعاد الغائبة في مناهج العلوم بالوطن العربي" 25-28 يوليو، 2004، الجمعية المصرية للتربية والتعليم، جامعة عين

يلاحظ أن هناك تداخلا ما بين التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني من حيث اتكاؤهما على مرتكزين أساسيين هما: المرتكز التربوي (التعليمي) والمرتكز التقني؛ وإذا كان عدد كبير من الباحثين يرى أن التعليم الإلكتروني يكون خارج القاعات الدراسية بإلغاء الحدود المكانية والزمانية، فإن باحثين آخرين¹ يرون أن مفهوم التعليم الإلكتروني يشمل أيضا استعمال التقنية داخل قاعة الدراسة، فليس كل تعليم إلكتروني هو تعليما عن بعد بالضرورة، إذ قد يتم بوجود المعلم والمتعلم في قاعة الدرس باستعمال الوسائط التقنية والمعلوماتية.

ولعل هذا التضارب في الرؤى دفع أحد الباحثين² إلى اعتبار التعليم الإلكتروني "استخداما لتطبيقات الحاسب الآلي والشبكات الإلكترونية في عملية التعليم والتعلم، بحيث يشمل ذلك عناصر المنهج المختلفة في مرحلة التخطيط أو التنفيذ أو التقويم سواء كان ذلك داخل الصف الدراسي أو عن بعد".

2- أقسام التعليم عن بعد:

قسم الباحثون³ في التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني هذين النمطين إلى نوعين كبيرين هما: التعليم الإلكتروني المتزامن، والتعليم الإلكتروني غير المتزامن.

1 - عبد الله بن عبد العزيز الموسى: "استخدام الحاسب الآلي في التعليم"، الرياض، 1429هـ، الطبعة 1، ص 19

2 - عبد الله بن عبد العزيز الموسى (1429هـ)، مرجع سابق، الصفحة نفسها

3 - ينظر على سبيل المثال: عبد الله بن عبد العزيز الموسى (1429هـ)، مرجع سابق؛ وأحمد سالم: "تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني"، مكتبة الرشد، الرياض، 2004م؛ و عوض بن حسين محمد التودري: "المدرسة الإلكترونية وأدوار حديثة للمعلم"، مكتبة الرشد، الرياض، 1425هـ...

أ- التعليم الإلكتروني المتزامن:

يهتم هذا النوع من التعليم الإلكتروني بتبادل الدروس والأبحاث والموضوعات والنقاشات بين المعلم والمتعلمين في الوقت نفسه وبشكل مباشر، وذلك من خلال برامج المحادثة والفصول الافتراضية، ومن إيجابيات هذا النوع من التعليم الإلكتروني حصول المتعلم على تغذية راجعة (Feed back) فورية، والتواصل المباشر مع المعلم لاستيضاح أية معلومة. ومما يعيق هذا النمط حاجته إلى أجهزة حديثة وشبكة اتصالات جيدة، حيث يعتبر التعليم الإلكتروني المتزامن أكثر أنواع التعليم الإلكتروني تطوراً وتعقيداً.

ب- التعليم الإلكتروني غير المتزامن:

لا يشترط في هذا النوع أن يكون التواصل بين المعلم والمتعلم والمنهاج الدراسي في وقت واحد، إذ يمكن أن يحدد المتعلم وقت تعلمه حسب ظروفه، فيتم التواصل عبر البريد الإلكتروني ومواقع الأنترنت والمنتديات والأقراص الممغنطة...، ومن أهم مميزات هذا النمط إمكانية تحديد المتعلم الوقت الذي يناسبه للتعلم، مع إمكانية استرجاع الدروس والعودة إليها في أي وقت. غير أن من أهم معوقات هذا النوع من التعليم أن المتعلم لا يمكنه الحصول على تغذية راجعة فورية من المعلم، ولا استيضاح فكرة أو معلومة بشكل مباشر منه، كما أن هذا النوع من التعليم الإلكتروني يحتاج إلى متعلمين يتسمون بالدافعية والالتزام، لأن معظم الدراسة في هذا النوع من التعليم الإلكتروني تقوم على التعلم الذاتي.

ويبرز عنصر مهم في التعليم عن بعد أو التعليم الإلكتروني ممثلاً في التفاعل: ففي التعليم الحضوري يجد المتعلمون أنفسهم ضمن جماعة الفصل مع أستاذهم

يناقشون ويتحاورون ويعقبون في الوقت ذاته عندما يجمعهم فضاء الفصل الدراسي، بينما تحتاج بيئة التعلم الافتراضي مساحة أوسع بإتاحة المجال لكافة المتدخلين الذين قد يلجأون - في حالة ضيق هذه المساحة - إلى استعمال البريد الإلكتروني للتعبير عن حاجاتهم الناشئة عن عدم الإشباع. لذا يتعين الاهتمام بالجانب التواصلي في مجال التعليم عن بعد، مع السعي إلى ضبط إيقاعه وتحري العدل وتكافؤ الفرص بين المتعلمين.

ثانياً: المهارات الحياتية:

1- مفهومها وغاياتها:

وفقاً لمنظمة الصحة العالمية فإن المهارات الحياتية هي "قدرات نفسية لسلوك إيجابي تكفي يمكن الشخص من التعامل بفعالية مع متطلبات وتحديات الحياة اليومية...إنها مجموعة من الكفاءات النفسية الاجتماعية ومهارات التعامل مع الآخرين التي تساعد الناس على اتخاذ قرارات مستنيرة (مبنية على معلومات)، حل المشكلات، التفكير النقدي الخلاق، التواصل بشكل فعال وبناء علاقات سليمة، التعاطف مع الآخرين، وإدارة حياتهم، والتأقلم بطريقة صحية وبناءة"¹.

إن اعتماد نهج المهارات الحياتية باعتباره منهجية تعليمية تفاعلية تركز على نقل المعرفة وبناء الاتجاهات وتطوير مهارات التعامل مع الآخرين، يسهم في تعزيز قدرات المتعلمين على تحمل المسؤولية واتخاذ القرارات السليمة، ومقاومة الضغوط السلبية، وتجنب السلوكيات العنيفة والإقصائية، في ظل الاستعمال المتزايد

¹ - عصام علي " المهارات الحياتية للشباب " دليل تدريبي؛ الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية،

القاهرة، الطبعة الأولى، 2014، ص: 8

لتكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال.

وقبل أن نعالج أهمية التعليم عن بعد في تطوير بعض من هذه المهارات لدى المتعلمين، يحسن بنا أن نشير إلى تجربة قطاع التربية والتكوين المغربي في هذا المجال، خاصة أنها في طور الاختبار، وقد وصلت مراحلها النهائية. ففي إطار برنامج التعاون 2017-2021 بين وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي ومنظمة اليونيسيف الموقع بتاريخ 22 دجنبر 2016، تم إعداد مشروع "مهاراتي" الذي يروم تطوير المهارات الحياتية والمواطنة بسلك التعليم الثانوي الإعدادي من خلال تكييف الأنشطة التعليمية-التعلمية المتضمنة في مختلف المواد الدراسية مع تلك المهارات. ويتوخى هذا المشروع تزويد المراهقين والشباب بسلك التعليم الثانوي الإعدادي بالمهارات والقيم التي تعزز النجاح الدراسي، وبمهارات الاندماج الاجتماعي والمهني التي تضمن التماسك الاجتماعي.

ويندرج مشروع "مهاراتي" في سياق الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030، لاسيما الرافعة المتعلقة بتطوير النموذج البيداغوجي، وذلك بالموازاة مع برنامج "فورسا" (FORSA) المدعم من قبل "حكومة كندا" من أجل مساعدة الشباب على الانتقال إلى الحياة المهنية من خلال تعزيز الأنظمة التربوية عبر مبادرة المهارات الحياتية والمواطنة التي أطلقتها "اليونيسيف" وشركاؤها في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

يستهدف هذا المشروع مجالين للتدخل هما:

أ- تعزيز قدرات المدرسات والمدرسين من خلال تقديم مقاربات تعليمية-تعليمية داعمة لتطوير أساليب وطرائق تعليمية مبتكرة تعزز التمکن من المهارات

الحياتية والمواطنة.

ب- تطوير المهارات الحياتية والمواطنة من خلال الأنشطة اللاصفية باعتبارها امتدادا للأنشطة الصفية لتعزيز التكامل بينهما.

إن نظرية التغيير التي تدعو إليها المبادرة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تحركها الحاجة الملحة إلى تحقيق تأثير ملموس في ثلاثة مجالات منفصلة لكنها مترابطة في الوقت ذاته، والتي من خلالها يمكن للمناهج التعليمية أن تحدث فرقا، وهي:

✓ الوصول إلى المجتمع المعرفي عبر تحسين نتائج التعليم.

✓ تحقيق التنمية الاقتصادية من خلال تحسين فرص التوظيف وريادة المشاريع.

✓ تماسك النسيج الاجتماعي من خلال تحسين مستوى المشاركة المدنية.

2- الإطار المفاهيمي لإدماج المهارات الحياتية في المنهاج الدراسي:

يقترح الإطار المفاهيمي والبرامجي¹ وضع فهم مشترك للمفاهيم والتعريفات الخاصة بمهارات القرن الحادي والعشرين استنادا إلى نموذج تعلم رباعي الأبعاد يعزز نموذج التعلم مدى الحياة، والذي تم تطويره في تقرير "ديلور" في عام 1996

¹ - الإطار المفاهيمي والبرامجي ضمن " مبادرة المهارات الحياتية والتعليم من أجل المواطنة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا LSCE"، ص: 5، مكتب اليونسيف الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، عمان، الأردن.

بعنوان " التعلم: الكنز المكنون"¹، مع الأخذ بعين الاعتبار التطورات اللاحقة في التعليم والمجتمع. ويعيد الإطار المفاهيمي والبراجمي ترتيب عناصر التعليم باعتبارها أبعادا للتعلم بهدف تأكيد طبيعتها الدينامية.

وفيما يلي ركائز التعلم الأربع التي تدعم التعريف العملي للمهارات الحياتية التي يُتوخى أن تتضمنها المناهج الدراسية:

أ- التعلم من أجل المعرفة (البعد المعرفي) / Apprendre à apprendre

(dimension cognitive) يشمل تطوير قدرات التركيز وحل المشكلات والتفكير النقدي، والتركيز على الفضول والإبداع والرغبة في الحصول على فهم أفضل للعالم وللشخص². ويحظى مفهوم التعلم من أجل أن تعرف باهتمام متزايد، لأن تعلم المهارات ذات الصلة يعزز من اكتساب المهارات الأساس كمهارات القراءة والكتابة والحساب وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ولذلك فإن البعد المعرفي ضروري لتطوير مهارات جديدة واكتساب معرفة جديدة.

ب- التعلم من أجل العمل (البعد الفعال) / Apprendre à faire (D.instrumentale)

يركز على كيفية دعم الأطفال والشباب لتطبيق ما تعلموه على أرض الواقع، وكيفية تكييف التعليم لخدمة عالم الأعمال على نحو أفضل³، ويرتبط هذا البعد

¹ - نفسه، ص 5

² - الإطار المفاهيمي والبراجمي (مرجع سابق)، ص 5

³ - نفسه، ص 5

بمفهوم التطبيق في تصنيف "بلوم" من خلال وضع التعلم النظري موضع التنفيذ في السياقات اليومية، من منظور أن التعلم من أجل العمل يتغير بسرعة استجابة لمتطلبات سوق العمل المتغيرة، والتكنولوجيات الجديدة، واحتياجات الشباب خلال مرحلة انتقالهم من التعليم إلى سوق العمل.

ج- تعلم المرء ليكون (البعد الفردي) / (Apprendre à être (D. individuel)

ويعني التعلم لتحقيق الذات والنمو الشخصي والتمكين الذاتي، ويشمل المهارات المعرفية الذاتية، ومهارات التعامل مع الآخرين، في حين يشمل النمو الشخصي كلا من العوامل الشخصية الذاتية والاجتماعية؛ وتعتبر المهارات التي يتم تطويرها في إطار هذا البعد مهمة في مجال الحماية الذاتية ومنع العنف، والصمود، ومن ثم يتعين اعتبارها عوامل تمكينية لأبعاد التعلم الأخرى¹.

د- التعلم للعيش مع الآخرين (البعد الاجتماعي) / (Apprendre à vivre ensemble (D. sociale)

وهو البعد الأخلاقي الذي يعزز رؤية التعليم من أجل المواطنة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من خلال اعتماده نهجا قائما على حقوق الإنسان، يتماشى مع قيم ومبادئ العدالة الديمقراطية والاجتماعية، ويشكل الأساس الأخلاقي للأبعاد الثلاثة الأخرى (المعرفي والفعال والفردي)².

وتجدر الإشارة إلى أن أبعاد التعلم الأربعة المذكورة تتداخل فيما بينها ويعزز

¹ - نفسه، ص 5

² - الإطار المفاهيمي والبرامجي (مرجع سابق)، ص 5

بعضها بعضا في تبلورها لدى المتعلم، كما أن العديد من المهارات الحياتية يمكن تطبيقها في أبعاد التعلم الأربعة مجتمعة، ويُعتمد اختيار المهارات حسب أهميتها ومدى صلتها بكل بعد من تلك الأبعاد.

3- المهارات الحياتية الاثنتا عشرة المستهدفة وسبل أجرأتها ضمن نمط

التعليم عن بعد:

يستهدف مشروع "مهاراتي"¹ إدماج مجموعة من المهارات الحياتية والمواطنة في المنهاج الدراسي المغربي بسلك الإعدادي في المواد الدراسية الآتية: اللغة العربية، اللغة الفرنسية، الرياضيات، علوم الحياة والأرض، العلوم الفيزيائية، التربية البدنية، الاجتماعيات، التربية الإسلامية، والتربية الفنية. وهو إدماج يفترض أن يكون سلسا في المقررات الدراسية الرسمية بتكليفها مع المهارات الحياتية والمواطنة المستهدفة دون تغيير تلك المقررات.

وفيما يلي جدول توضيحي للمهارات الحياتية المستهدفة وخصائصها:

¹ - يتم العمل في هذا المشروع حاليا في أربع أكاديميات جهوية للتربية والتكوين (الشرق؛ طنجة تطوان الحسيمة؛ مراكش آسفي؛ سوس ماسة) بواسطة لجن جهوية تخصصية لكل مادة دراسية، مدعومة بلجنة تقنية مركزية، وبإشراف خبير وطني مكلف بتنسيق وترصيد أعمال اللجن الجهوية ودعم قدراتها، مع توفير أدوات عمل من خلال ترصيد التجارب الوطنية والدولية.

تعريفها وخصائصها	المهارات الحياتية الأساسية الاثنتا عشرة
القدرة على توليد أو توضيح أو تطبيق أفكار وتقنيات ووجهات نظر مبتكرة، وغالبا ضمن بيئة تعاونية...	1- الإبداع (CREATIVITE)
تحليل المعلومات بطريقة موضوعية- فصل الحقائق عن الآراء- طرح الأسئلة- التدقيق في صحة الأدلة-	2- التفكير النقدي (PENSEE CRITIQUE)
التفكير من خلال خطوات تسهم في الخروج من حالة معينة إلى الهدف المنشود بعد تحديد المشكلة وفهمها - وضع حلول لمعالجتها...	3- حل المشكلات (RESOLUTION DE PROBLEMES)
الفعل الذي يتم من خلاله العمل معا وسوية للحصول على شيء ما، لتحقيق هدف مشترك أو منفعة متبادلة...	4- التعاون (COOPERATION)
عملية تواصل بين طرفين على الأقل بهدف التوصل إلى اتفاق حول مصالحهما المتباينة والمموسة- عملية تجلي قدرة الفرد على التفاعل والمشاركة في حوار ما...	5- التفاوض (NEGOTIATION)
عملية معرفية أساس في السلوك البشري يتم من خلالها اختيار خيار أو مسار عمل مفضل من بين مجموعة من البدائل بناء على معايير معينة....	6- صنع القرارات (PRISE DE DECISIONS)
قدرة الفرد على تنظيم سلوكياته وعواطفه ومشاعره وردود أفعاله ومراقبتها والتحكم فيها- تشمل التحكم الذاتي والفعالية الذاتية والوعي الذاتي- اتخاذ المواقف الإيجابية والموثوقية وعرض الذات....	7- إدارة الذات (GESTION DE SOI)
يشمل مهارات التكيف، والثبات، والمثابرة، والإصرار - تنمية الذات في أوقات الشدة- التأقلم مع خيبات الأمل والإخفاقات- التغلب على صعوبات التعلم...	8- الصمود (RESILIENCE)
تشارك المعنى من خلال تبادل المعلومات والفهم المشترك- التفاعل البشري والمشاركة في المجتمع- تطوير قدرات التحدث الفعال والاستماع الإيجابي...	9- التواصل (COMMUNICATION)
المشاركة والمساواة في العالم الأخلاقي-مراعاة الفروقات الفردية (حسب العرق أو الإثنية أو النوع الاجتماعي أو المعتقدات الدينية أو السياسية...) واحترامها...	10- احترام التنوع (RESPECT DE LA DIVERSITE)
القدرة على فهم مشاعر الآخرين دون إصدار أحكام عليها- آلية تحفز على الرغبة في مساعدة الآخرين...	11- التعاطف (EMPATHIE)
أداء مهمة والتأثير في العمليات والقرارات والأنشطة- منح المتعلمين مساحة للتعبير في تعلمهم.	12- المشاركة (PARTICIPATION)

وتجدر الإشارة إلى أن كل مهارة من هذه المهارات شديدة الوثوق بالأبعاد الأربعة للتعليم التي سبق ذكرها¹، وترتب أهميتها حسب طبيعة كل بعد ومدى رسوخها فيه.

ثالثاً: التعليم عن بعد وتنمية مهارة الإبداع:

يعتبر الإبداع من المهارات الحياتية الأساس التي يجب على الأطفال تطويرها من سن مبكرة، "كونها تعزز أداءهم الأكاديمي وتساهم في الكشف عن مواهبهم المختلفة وصقلها"²، ومن هنا يمكن اعتبار الإبداع عنصراً أساسياً في البعد المعرفي وأحد أكثر المهارات الحياتية التي يسعى الفرد لاكتسابها ضمن البعد الفعال، وهو "عنصر ضروري وبناء في عمليات التفكير المبدع، ومهارة حياتية هامة في العلوم ومكان العمل"³.

إن اعتبار الفرد "مبدعاً" معناه قدرته على التعامل بشكل فعال مع السياقات التكنولوجية والرقمية المعقدة والمتطورة، وتوظيف التقنيات الرقمية في التعلم سواء في الظروف العادية أم في الظروف الطارئة (جائحة كورونا نموذجاً)، وقد فطنت وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي إلى أهمية تنمية مهارة الإبداع في سياق التعليم عن بعد بواسطة الوسائل التكنولوجية

¹ - ينظر تفصيل ذلك في "المهارات الحياتية الأساسية الاثنتا عشرة" ضمن "مبادرة المهارات الحياتية والتعليم من أجل المواطنة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا" LSCE، ولمزيد من المعلومات يمكن زيارة

الموقع: WWW.lsce-mena.org

- المرجع نفسه.²

- المرجع نفسه.³

والرقمية، فحرصت على تنزيل وأجراً مجموعة من المشاريع المندمجة المنبثقة عن الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030، وخصوصاً المشروع المندمج رقم 12 الخاص بتطوير استعمالات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم، باعتبارها شرطاً حاسماً لانخراط المدرسة المغربية في مجتمع المعرفة والعلم والإبداع والابتكار، بالإضافة إلى ما نص عليه القانون الإطار رقم 17.51 في المادة 33 بتفعيل الآليات الآتية:

- " تعزيز إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في النهوض بجودة التعليم وتحسين مردوديتها.

- إحداث مختبرات للابتكار وإنتاج الموارد الرقمية، وتكوين مختصين في هذا المجال.

- تنمية وتطوير التعلم عن بعد، باعتباره مكماً للتعليم الحضوري.

- تنوع أساليب التكوين والدعم الموازية للتربية المدرسية والمساعدة لها.

- إدماج التعليم الإلكتروني في أفق تعميمه".¹

في هذا الإطار، وضمن الاستعداد لانطلاق مبادرة أسبوع البرمجة بإفريقيا في نسختها السادسة المقررة ما بين أواخر شهر كتوبر إلى شهر نونبر 2020 نظمت الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين ابتداء من شهر أكتوبر 2020 مجموعة من

¹ - الجريدة الرسمية للمملكة المغربية، عدد 6805، 17 ذو الحجة 1440 (19 أغسطس 2019)، قانون إطار

رقم 51.17 يتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، المادة 33، ص 5632

المبادرات الرامية إلى توظيف مبادئ البرمجة لإثراء معارف المتعلمين والمتعلمين، وتطوير فكرهم الإبداعي والنقدي، ولعل من أهم هذه المبادرات

برنامج " سكراتش " - Scratch - وهو برنامج مرتبط بالبرمجة المعلوماتية يستهدف جعل التعلم بالفضاء المدرسي لحظة استمتاع وإبداع من خلال استثمار التكنولوجيات الحديثة وتمكين المدرسات والمدرسين والمتعلمين والمتعلمين من برنام رقمية تساعدهم على إنتاج قصص وحكايات يتم توظيفها ديدكتيكيا وتقاسمها فيما بين المؤسسات التعليمية.

ولعل من شأن هذه البرامج بناء التفكير الهادف والمنظم لدى المتعلمين، وتطوير قدراتهم التحليلية والنقدية من خلال تكييف أساليب التعليم والتعلم في بيئات آمنة¹

والكشف عن الدوافع الجوهرية الكامنة لديهم للإبداع، وتشجيعهم على تحمل المخاطر الفكرية وتوليد أفكار جديدة ذات مغزى، مما يعزز لديهم تقدير الذات والاعتزاز بشخصياتهم والرفع من قدرتهم على التكيف بمرونة مع مختلف المشاكل والمواقف التي يتعرضون لها في حياتهم اليومية.

علاوة على الإبداع، ينمي التعليم عن بعد بواسطة الوسائل التكنولوجية مهارات أخرى كحل المشكلات والتفكير النقدي والتواصل وإدارة الذات والصمود وصنع القرارات مما يحتاجه متعلم القرن الحادي والعشرين للانخراط في

¹ - تجدر الإشارة إلى أن مجموعة من المتعلمين لا يشعرون بالأمن داخل البيئة المدرسية، الأمر الذي من شأنه قمع الإبداع لديهم.

مختلف مناحي الحياة.

خاتمة:

إن للتعليم والتكوين عن بعد أثرا بالغ الأهمية في الكشف عن ملكات المتعلمين وطاقتهم الكامنة، فاستعمال التكنولوجيا والوسائط الرقمية يسهم بشكل فعال في تحقيق ما تصبو إليه البيداغوجيات المعاصرة، ونقصد التعلم الذاتي بما هو سيرورات معرفية وميتا معرفية ومهارية. ولاشك أن تحرر المتعلم من حواجز الزمان والمكان - باستعماله التقنيات المعلوماتية- سيضعه في وضعيات تعليمية تستنفر قدراته ومهاراته، ومن ثمة فإنه يبنها ويطورها لينخرط بإيجابية وفعالية في دورة تعلم متواصلة مدى الحياة من منظور أن اكتساب المهارات الحياتية إنما هو استثمار تراكمي يبدأ منذ سن مبكرة ويتحقق في كل سياق مجتمعي يتيح الفرص للتعلم وتحقيق المقدرة الشخصية.

مراجع الدراسة:

- 1- أحمد سالم: "تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني"، مكتبة الرشد، الرياض، 2004م
- 2- أحمد محمد العنزوي، "واقع ومستقبل التعليم عن بعد في الوطن العربي" <http://www.arabcin.net/arabiaal/1-2002/15html>
- 3- حسام الدين عبد الحميد ومحمد آمال ربيع: "التعلم الإلكتروني ومتطلبات تطبيقه في التعليم: رؤية مستقبلية لتطوير التعليم العالي بسلطنة عمان"، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الثامن "الأبعاد الغائبة في مناهج العلوم بالوطن العربي" 25-28 يوليو، 2004، الجمعية المصرية للتربية والتعليم، جامعة عين شمس، مصر.

4- عبد الله بن عبد العزيز موسى: " استخدام الحاسب الآلي في التعليم"، الرياض، الطبعة 1، 1429هـ

5- عصام علي " المهارات الحياتية للشباب " دليل تدريبي؛ الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014

6- عوض بن حسين محمد التودري: "المدرسة الإلكترونية وأدوار حديثة للمعلم"، مكتبة الرشد، الرياض 1425هـ.

7- مختار عثمان الصديق، "توسيع التعليم والجامعة المفتوحة" (حالة السودان كنموذج الأقطار النامية)، جامعة باث، المملكة المتحدة.

8- الإطار المفاهيمي والبرامجي ضمن "مبادرة المهارات الحياتية والتعليم من أجل المواطنة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا LSCE"، مكتب اليونيسيف الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، عمان، الأردن.

9- الجريدة الرسمية للمملكة المغربية، عدد 6805، 17 ذو الحجة 1440 (19 أغسطس 2019)

10- "المهارات الحياتية الأساسية الاثنتا عشرة" ضمن "مبادرة المهارات الحياتية والتعليم من أجل المواطنة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا" LSCE، ولمزيد من المعلومات يمكن زيارة الموقع: WWW.lsce-mena.org

التعليم عن بعد يخلق المقاومة♦

المؤلف: «سدريك أنجلبرت»⁽¹⁾

المترجم: عبد الكريم بومعزة

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي بأكاديمية الشرق

تعالج هذه الدراسة إشكالات التعليم عن بعد، غداة إغلاق المدارس في فرنسا، إثر الحجر الصحي الذي فرضته الجائحة؛ حيث تنطلق من قراءة في استبيان يرصد آراء آلاف الأسر والمدرسين في تجربة التعليم عن بعد. أدار هذا العمل المتخصص في علم الاجتماع التعليمي في جامعة بوردو والباحث في مركز "إميل دوركايم" "رومان سيمون"؛ فقد وجد إكراهات ثلاثة للتدريس في البيت: كان الأول تنظيميا، والثاني بيداغوجيا، والثالث علائقيا. بينما الباحثة الأمريكية "ماريان وولف" تضيف إكراها رابعا معرفيا. ليصل "رومان" إلى أن التعليم عن بعد كرس الفوارق القائمة أصلا بين طبقات المجتمع الفرنسي، ونتائجه كانت محدودة جدا. أما عالم الاجتماع "فرنسوا دويت"، والفيلسوفان "ماكسيم روفر" و"سباتيان شاربوني" فانبروا للتذكير بأدوار المدرسة غير المرئية؛ فهي أكثر من مجرد مكان للتعلم؛ إنها فضاء تتكشف فيه أبعاد إنسانية غاية في الأهمية، لا يعوضها التعليم عن بعد. وتنتهي الدراسة بتأكيد الفيلسوف الإيطالي "رفائيل سمون" على أن التعليم عبر الوسائط الرقمية، بقدر ما يشكل تهديدا للتعليم النظامي، فهو يفتح طريقا آخر ممكنا للتعلم.

♦ - مصدر المقال: مجلة الفلسفة الفرنسية، في عددها 142 / شتنبر 2020.

1 - المؤلف "سدريك أنجلبرت": نائب رئيس تحرير مجلة الفلسفة، ومهتم بأسئلة الفلسفة الراهنة.

Cette étude aborde les problèmes de l'enseignement à distance après la fermeture des écoles en France, suit à la quarantaine imposée par la pandémie ; Elle est basée sur la lecture d'un questionnaire distribué à des milliers de familles et d'enseignants. Ce travail a été géré par le spécialiste de la sociologie de l'enseignement à l'université de Bordeaux et chercheur du centre « Emil Durkheim » Romain Delès. Il a trouvé trois pièges pour enseigner à la maison : le premier, était organisationnel, le second était pédagogique, et le troisième était relationnel. Alors que, la chercheuse américaine Maryann Wolf ajoutera un quatrième ; cognitif. Pour Romain, l'éducation à distance a consacré les différences qui existent déjà, entre les couches de la société, et ses résultats ont été très limités.

Alors que, le sociologue François Dubet, et les philosophes : Maxime Rovere, et Sébastien Charbonnier, rappellent les rôles de l'école non visible ; l'école est plus qu'un lieu d'apprentissage ; c'est un espace dans lequel les démentions humaines vitales sont révélés, non compensés par l'éducation à distance. L'étude se termine par l'assurance du philosophe italien Rafael Simone que l'éducation passe par les médias numériques autant qu'il représente une menace pour l'éducation formelle, il ouvre une autre voie d'apprentissage possible.

تقديم .

خلال أزمة كورونا، كان لزاما على التلاميذ والمدرسين أن يبتكروا بشكل كامل
علاقتهم عن بعد. لقد كانت تجربة أصعب من المتوقع، وهو أمر مدهش؛ حيث إن
الدروس عبر الأنترنت كانت في تواتر منذ سنوات. فهل تنتقل المعرفة، بالفعل، عبر
شاشات الحاسوب؟

"لم يجرز أحد أي تقدم"، حينما سألتها- أختي التي تدرس اللغة الإنجليزية في
مدرسة ثانوية في باكنولت- كان جوابها قاطعا: لم ينجح التعليم عن بعد. أستاذة
رئيسة في النهائي ناضلت من أجل الارتباط بالتلاميذ حفاظا على المستوى، مع

زميلتها؛ هي واحدة من أولئك الذين أعطوا رقم هواتفهم للتلاميذ، ولم تعد تحسب الوقت الذي استغرقته في تعقب المتسربين، ومع تجاوز المتابعة الفردية المهام المعتادة: (كيف أكل؟ كيف نام؟ أقام بالرياضة؟...) " بدون هذا، نكون قد خسرنا الجميع"، تؤكد ذلك قائلة: حتى الثالث من شهر أبريل 2020، تمكنت من الحفاظ على عمل جاد كامل تقريبا، وبعد إعلان وزير التربية الوطنية أن نتائج الدورة الثالثة من السنة الدراسية لن تحسب في تقييم مستوى البكالوريا، تفرق الفصل الدراسي. ثم برحمت عقد مؤتمرات الفيديو، فتصورت أن التواجد الفعلي من شأنه أن يجيي الاتصال؛ إذا كان الكثير منهم أعجبوا، فإن البعض حضر بلباس النوم، وبعضهم يأكلون " الأيس كريم" على سريرهم... أو لم يرغبوا في الظهور، لأنهم لم يكونوا على أحسن حال. وبرغم انخراطهم الكلي في الأمر، لم أعرف السبب الذي جعلها تقاوم.

الفخاخ الثلاثة للحجر الصحي .

تؤكد هذه الصعوبات دراسة أجريت أثناء الحجر الصحي؛ لقد تم إعداد استبيان غداة إغلاق المدارس، وأرسل إلى أولياء أمور التلاميذ والمدرسين، فجمعت ثلاثون ألف إجابة، ثم ستة آلاف أخرى، على التوالي. كان من بين العقول المشرفة على الدراسة، أخصائي في علم اجتماع التدريس بجامعة بوردو، والباحث في مركز "إميل دوركايم" " رومان دلس". وقد حُدِّدت ثلاثة مزالق رئيسة للتعليم في المنزل: الأول كان "تنظيما"؛ عن السؤال: "هل قمت بعرض جدول زمني على طفلك؟"، عشرون نقطة اختلاف تفصل بين الطبقات العليا، والتي تربط في معظمها بين الأطفال وهذا التقييم، والطبقات الشعبية التي لا تشاركهم؛ وهذا يشير إلى عدم

المساواة في السكن، وإلى إمكانية تخصيص مساحة للعمل، أو مكتب لمثل هذا الوقت الخاص بالمدرسة عن بعد.

الفخ الثاني كان "بيداغوجيا"؛ حيث كان السؤال الذي يطرح نفسه، حينها، هو أن نجد المحتوى التعليمي الغزير، أكثر من مجرد البحث عن محتوى تعليمي محدد؛ كما يشرح "رومان دلس": "واجه الآباء والتلاميذ ثروة من المواد التعليمية، ومع ذلك، مع الوسائل الرقمية، أصبحوا أمام نموذج تعليمي خطي متعدد المراحل؛ فالرابط الذي ينشئه الأستاذ بين تعلم المفاهيم وتطبيقاتها فقد تماما. تساءلنا عما تفعله الأسر لمصاحبة أبنائها لاستعادة هذا الارتباط المفهومي. قد تبدو النتائج متناقضة: فالطبقات الشعبية كرسن لتعليم أبنائها ثلاث ساعات وست عشرة دقيقة في اليوم، بينما الطبقات العليا خصصت ثلاث ساعات وسبع دقائق، والمربون أنفقوا ساعتين وثمان وخمسين دقيقة."

وتفسر هذه النتائج حقيقة مفادها: أن الفئات العليا تجعل بعض الأنشطة التعليمية غير مرئية؛ مثل القراءة، ولكن أيضا، أن الفئات الشعبية تلتزم بشدة بوصفات التعليم الوطني، رغم أن هذا يتم بشكل رسمي من خلال مراقبة عمل الطفل. فيما يخص بالمعدات الإلكترونية، ورغم أن دراستنا فيها تحيز؛ لأنها تمت عبر الأنترنت، نسجل قليلا من الاختلافات. بل، إن التفاوتات ترجع إلى المهارات الرقمية لدى الآباء.

الفخ الثالث كان "علائقيا"؛ حيث كان تعليم الأطفال مصدر توتر في الأسر؛ "فأكثر من (80 في المئة) من علاقة الأولياء بالأطفال كانت جيدة قبل الأزمة

الصحية". ولكنها تدهورت أثناء الحجر الصحي وتجربة التعليم بالمنزل، وهذا التدهور، كان أقوى في الأوساط الشعبية؛ لقد كان صعبا على الآباء أن يجدوا شروط النجاعة التعليمية.

إن نتائج تحويل العمل المدرسي إلى الأسر مع التفاوتات التي توجد بينها لم تكن جديدة. ولكن، بالنسبة لعالم الاجتماع "فرنسوا دوبي"، فإن البعض كان ينتظر أن تمر السنة أكثر "قساوة"؛ فقد استسلم المتسربون من الداخل بشكل كامل. وهذا ليس كل شيء؛ فقد كشف الحجر الصحي عما لا يمكن تصوره: "في فرنسا، نحب أن نتخيل دائما"، فمنذ "جيل فيري" ¹، كنا نتصور أن المدرسة هي المكان الذي يتعلم فيه المرء، والباقي هو مجرد تشويشات. نحن البلد الوحيد، فيما أعتقد، الذي تحدث عن "التعليم الأولي"، ولكن كل هذه الأنشطة تنتمي إلى التعليم. المدرسة هي مكان، أيضا، للتنشئة الاجتماعية؛ حيث يشكل المرء علاقات ود، وحب، ومواجهة، وحيث ينمو المرء. إن المدرسة الرقمية المحض لا معنى لها.

مدرسة الحياة.

المدرسة، إذاً، هي أكثر من مجرد مكان للتعليم؛ إنها بيئة تتكشف فيها جميع الأبعاد الإنسانية: العاطفية، والاجتماعية، واللغوية، والفكرية... بالنسبة للفيلسوف "ماكسيم روفر" في العلاقة بين الأستاذ والتلميذ، هناك هذا الشيء الجميل؛ الذي

¹ - "جيل فيري": عاش بين (1830/1893)؛ رجل سياسة فرنسي. يعد أب التعليم الفرنسي؛ حيث إنه هو من جعله إجباريا، ولائكيا، وسمح للفتيات بأن يتابعن دراستهن الثانوية. كما كان وراء حذف التعليم الديني من الطور الابتدائي. تعرض لمحاولتي اغتيال.

يسعى الجميع إلى بناء نفسه هناك. تؤدي العلاقة إلى ظهور المفاهيم الخاصة بها؛ ليس لديك شخصان يدخلان في علاقة، ولكن، علاقة تولد اتصالاً بين شخصين. وهذه العلاقة "فوضوية"، وهي تعتمد على الظروف الأولية التي قد تكون على ما يرام، ومن المستحيل السيطرة عليها لإنتاج تأثير دقيق. أستعمل مصطلح "إضاءة" لأقول: إنها تتكشف في نهاية أبعاد لغوية وعاطفية وتاريخية...". "في مدرسة الحياة" الذي نشره "فلاماريون" حديثاً (اقرأ الصفحة 86)؛ يتحدث عن "الإثارة في التعليم" بالمعنى الذي يشير إليه أفلاطون؛ لأن التفاعل "السحري" بين المعلم والتلاميذ هو رغبة غير جنسية توحد جسديهما. فهو يرى أن الفصل الدراسي يجمع بين كائنات لا نستطيع أن نتعايش معها بشكل واضح، وفي هذا الفضاء لا تنتقل المعرفة، بل تنتقل بين "الفجوات" - الثغرات - نقاط الضعف-الجروح- حيث تكون العواطف متوازية. فهذه الانتهاكات؛ المثمرة جداً في حضوره، يمكن أن تكسر الاتصال عن بعد، خاصة في "فصول الفيديو". ومن خلال نافذة الشاشة، يصعب على الأستاذ كثيراً تحديد درجة انتباه التلميذ؛ لأن الاتصال المرئي بالمجموعة انقطع، والحس الجمعي تحطم. وفي القسم، يتم الاحتفاظ على رابطة الحضور المشترك حتى مع أولئك الذين يغفلون عن الدراسة، والذين يمكن استرجاعهم بكلمة تنبههم. في الفصل الحضوري، يمكن للأستاذ والتلاميذ لعب دور كلاب الراعي. هذه الأبعاد المتعددة يتم سحقتها بالكامل بواسطة الأدوات الرقمية، يتم تمرير علاقة ثلاثية الأبعاد إلى وضع ثنائي الأبعاد، ويصبح التدريس خطياً: الأستاذ يتحدث والتلاميذ يسجلون. إن أولئك الذين يؤمنون بالتعلم عن بعد؛ الطويل الأجل، لا يفهمون تلك العلاقات غير العمودية بين التلاميذ، والتي هي الأكثر بناءية من غيرها.

والأستاذ ليس أكثر من مسرع لهذه التفاعلات. إن "ماكسيم روفر" هو أبعد ما يكون عن معارضة هذه التقنيات. حتى إنه يرى فيها إمكانات هائلة: "نفكر أنه من الممكن متابعة الدروس من أي مكان في الجانب الآخر من العالم". ولكنه يدعونا إلى التفكير في قيودها، فضلا عن الدور الذي تلعبه التبادلات. والآن، وبعد أن أصبحت المعرفة متاحة في كل مكان، ليس فقط في الأدلة، ولكن أيضا، في العديد من المنصات، (أنظر الجدول الملحق بآخر المقال).

عقوبة من جنس العمل.

إن التفكير في أن التعليم عن بعد يمكن أن يكون بديلا كاملا عن التدريس في الحضور يعكس رؤية فكرية للمعرفة، والتي تميز بشكل مصطنع بين الجسد والعقل. ولكن، مجال التأثيرات يظل يشكل أهمية قصوى في التدريس الحضوري، ولا يمكن الاستعاضة عن الأدوات الرقمية؛ كما يذكرنا الفيلسوف "سيباستيان تشابنيه"، صاحب كتاب "الحب يتعلم أيضا" (2019). هذا الباحث في علوم التربية، يؤكد على أهمية اللغة الضمنية في عملية الإرسال؛ "ففي وجود الأجساد، هناك عمل من أعمال الثقة، وهي إشارات مرسلة إلى التلاميذ لجعلهم يتجرؤون على الكلام. وعلى بعد، فإن الصمت يكون أكثر؛ تجد نفسك تستعمل المنولوجات بسهولة أكثر خلف الحاسوب أمام ثلاثين تلميذا متصلا".

وفي هذا التكوين الذي يشير إلى العزلة وعدم وجود مجموعة، تتغير جودة الصمت. وفي الحضوري، فهو [أي الصمت] يصلح كدعوة إلى التشكيك في الذات. ومن خلال الوساطة التي يقوم بها الحاسوب، لم يعد ذلك يعني أي شيء. يصير

الكلام بين التلاميذ والأساتذة غير متكافئ تماما. ومن الصعب، بديها، أن نوازن هذا عن بعد. إن تجربة الجسم مطلوبة، ولا يمكن أن تقتصر على حاسة السمع، لقد بالغنا في ثقافتنا الغربية، في تقدير التحدث، وبالتالي، فهو تقدير فكري".

هل يمكننا أن نتصور أستاذا جيدا وراء الشاشة؟ وماذا يكون "جون كلفيتش" بدون كلام مسرحي، وماذا يكون "سارتر" دون إيهاءة؟ تصوروا "ألان" يتحدث في مؤتمرات الفيديو، و"دلوز" خارج "فانسن"؟؛ بالنسبة "لسباتيان شابوني" "التعلم مسار"، فمن خلال التواجد في الفصل، مع بعضهم البعض، يمكن للتلاميذ بناء المعرفة بشكل مشترك. ولكن، أيضا، يتعين علينا أن نعمل على علاقات القوى في الفصل الدراسي؛ فعندما ينزل الأستاذ من المنصة ويأخذ عشر دقائق لتغيير شكل فضاء القسم بمشاركة الجميع؛ وهو ينظم هذا، يمر التأثير. وكما يقول "باشلار": "نحن نتعلم في الترابط بالاختلاف". إننا نتعلم المعرفة عندما نحتمل. في القانون، تسمح المساحة الرقمية بذلك بقدر ما تسمح به، غير أنه في الواقع فوق الأرض متجانس للغاية.

أليس هناك ما يمكن إنقاذه من تجربة الحجر الصحي؟ وماذا عن الرد على المسؤولين الأكاديميين الذين يعتزمون جني ثمار هذه التجربة، وتعميم هذه الممارسة الجديدة مع الدخول المدرسي الجديد؟ إن "سباتيان شبولي" ليس متشائما، ولا هو متفائل تماما، بل إنه ينتبه بدلا من ذلك إلى ما يسميه، أو يتحدث عنه سينوزا، وهو "عقوبة من جنس العمل". إنها صيغة مسمومة بعض الشيء، حتى يقول: إن ما سيحدث سوف ينتج بالضرورة عن حالة القوى الموجودة. أو بعبارة أخرى، لم تكن

الأزمة الصحية سوى منها. سأعطي مثالا: جميع المدرسين الذين يعانون من ظروف عملهم، أو من علاقاتهم الصعبة مع التلاميذ سيرون في العمل عن بعد مهربا سعيدا. لا أقول إنهم لا يؤدون عملهم، ولكن، تحييد التأثيرات عن طريق البعد يتعلق بتأثيرات سلبية أيضا، مثل الغضب أو العنف. إنه متنفس للبعض، وعلى العكس من ذلك، فإن الذين تمر علاقاتهم بالاحتكاك من خلال الاتصال بهم قد يشعرون بأنهم محرومون في العمل عن بعد، ويعجزون عن استعادة الطلاب الذين ينقطعون عن الدراسة. بينما بالنسبة للتلاميذ؛ فبمجرد علمهم أن معدلات الدورة الثالثة من السنة الدراسية لن تُعدّ في معدلات نجاحهم، انكسفوا. وهذا دليل على فشل النظام الدراسي: إذا استطاعوا الحصول في النهاية على الشواهد بدون معدلات، وبدون معارف، فإنهم لن يترددوا في الانسحاب. هذا الفصل محزن..."

زراعة الأمية.

إن الأسباب التنظيمية والتربوية تقوض التعلم عن بعد. وسبب معرفي يضاف؛ لا تتطلب الأدوات الرقمية نفس آليات التعلم. مختصة في نمو الطفل، "مريان وولف" أصدرت مؤخرا: "القراءة، الدخول إلى المنزل"، و"الذهن القارئ في العالم الرقمي" (2018)؛ بالنسبة لهذه المدرسة في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلس، والتي تم الاتصال بها عبر البريد الإلكتروني، قالت: "نحن ما نقرأ، وكيف نقرأ، وما نقرأ عنه"؛ فإذا أصبحت التكنولوجيا الرقمية الوسيلة الأساسية التي تمكن الأطفال من الاستمرار في التعلم، فإن المدارس ستصبح مغلقة. وهي تخشى ذلك: "إن التأخر الذي يتراكم عادة خلال فصل الصيف يزداد بشكل مطرد، وبخاصة، بالنسبة للأطفال الأكثر هشاشة، والذين يمكن أن يفقدوا عشرة أشهر إلى سنة من

التعلم المدرسي. مشكل طويل الأمد، قوبل بتجاهل كبير؛ هو تأثير القراءة عبر الوسائط الرقمية على تطور "الدماغ القارئ" عند الأطفال، والمثابرة لدى البالغين. إن التحديات كبيرة أمام المستقبل الذي نريده: قدرتنا على تحويل المعلومات إلى معرفة باستخدام مهارات التفكير النقدي، والتحليلي، والعاطفي، والمجرد، هي جميعها، أساس للحفاظ على مجتمع ديموقراطي. قد يتم تطويرها أو تجميدها إلى الجيل القادم. فشعار: "المرور للحصول على المعلومة"؛ قد أصبحت عادتنا الجديدة في القراءة. إن ما ينقصنا هو آليات عملية القراءة العميقة التي كانت حتى العقد الأخير مدججة في المبادئ الأساسية في الدائرة العصبية للقارئ الخبير. فعمليات القراءة العميقة الأكثر تطورا تتطلب ترتيبا زمنيا لسنوات كي تنمو عند الأطفال، وآلاف الثواني كي يصلها قارئ خبير. وقد تتضمن قدرتنا على ربط ما نعرفه من قبل: معرفتنا الأساسية بالمعلومات والاستدلالات الجديدة؛ لنقوم بتشبيها، ولنفحص قيمة الحقيقة، ولنصل التحليل النقدي. وهذا مهم لتعليق أفكارنا ومشاعرنا مؤقتا، لتبني وجهات النظر من الآخرين؛ فهو أساس التعاطف. وقد أدى تطوير جميع هذه العمليات إلى زيادة قدرات التفكير المجرد للبشر، والقدرة على تجاوز حكمة المؤلف لاكتشاف حكمتنا، على حد تعبير "بروست". لا يمكن أن يعتبر أي من هذا أمرا مفروغا منه، لا بالنسبة للأجيال القادمة ولا بالنسبة لجيلنا.

ماذا يحدث عندما تصبح جميع التعلّيمات رقمية؟ إنها ليست خسارة للفعالية التربوية فحسب، بل إنه أيضا، تدهور في نوعية الاهتمام، والتفكير العاطفي، كما فسرتها "ماريان وولف"؛ فدوائر "الدماغ القارئ" ستتطور أو تتراجع وفقا لشكل الوساطة، وبالتالي تستفيد الوسائط الرقمية من العمليات السريعة، والأنشطة

المتعددة، والموائمة للمرور إلى حجم أكبر من المعلومات. والواقع أن الباحثين المهتمين بحركات العين يلاحظون أن العديد منا يكتسحون هذه المعلومات على صفحة، من خلال وضع رموز لالتقاط أهم النقاط، ولكن، من المحتمل أن نفتقد إلى تفاصيل مهمة؛ مثل تطور حبكة، أو جمال أسلوب. وتتعلق أهم المشاكل بأشكال اهتمام القارئ ومسألة المعرفة، إذا ما تم تخصيص قدر أقل من الاهتمام لعمليات القراءة المستهلكة للوقت. وهذا يؤدي أيضا، إلى انحدار القراءة العميقة عندنا جميعا. إن أملي هو أن معرفتنا الجيدة بهذه المشاكل سوف تشجعنا على تطوير ما أسميه "العقل متعدد اللغات" عند أطفالنا، أو القدرة على المرور من سجل للقراءة إلى آخر.

مجمع رقمي تربوي.

كوابح التعليم هي إذاً تنظيمية (قدرة العائلات على تخصيص مساحة زمنية للمدرسة في البيت)؛ وبيداغوجية (الفصل هو أكثر من مكان للتعلم، إنه فضاء للحياة)؛ وعلائقية (إن تعبير الجسم وتقاسم الفضاء أمران أساسيان لنقل المعرفة)؛ ومعرفية (القراءة العميقة تبني مهارتنا الديمقراطية). ومع ذلك، ليس من المقبول رفض الأدوات الرقمية، التي تتميز بالمرونة في استخدامها، والبعد الموسوعي، وتكلفتها المنخفضة. وما لم يكن مبررا، فإن المجانية تسمح بميزات لا يمكن إنكارها. ومع ذلك، هناك مساران يفتحان أمامنا؛ الأول، يأخذ شكل تهديد. وقد حدد هذا الأمر الفيلسوف الإيطالي "رفائيل سيمون" في مقال نشره في مجلة "المناظرة" في سنة 2014 وعنوانه بـ "مستقبل التعليم"، وهو مؤلف كتاب "شباك العنكبوت" وكتاب "الفكر في عصر الأنترنت" (عن دار النشر كاليهار 2012)؛ هذا اللغوي المعروف يخشى من "هجوم مباشر على النموذج العام للتعليم، وعلى

محتوياته، وعلى تنظيمه أيضا". وقد تكون الأزمة نعمة لإضفاء "الطابع المؤسسي على التعليم عن بعد" تحت ذريعة البحث عن موارد تعليمية "حديثة". والخطر هنا لا يقل عن خصخصة المعرفة من خلال الوصول الرقمي المتنوع، وجعل التعليم قضية استهلاكية تنافسية. بالنسبة لـ"رفائيل سيمون"، هذا "المجمع الرقمي التربوي" يدمج "تجمعا لصناعات الكمبيوتر" ومنظري التعليم، وصناع القرار في مجال التعليم، الذين يخلقون الموارد، وتضمن ترقية هذه الشركات، وتفرضها على صناع القرار من المستوى الأدنى، لتطوير إيديولوجيا حزبية واسعة النطاق، وجعلها مرغوبة للمستخدمين، ونشرها عبر وسائل الإعلام. ولقد أعلن وزير التعليم عن رغبته في تجهيز التلاميذ والأساتذة بأجهزة الكمبيوتر اللوحي والحواسيب، وهو يعتقد أن "مدرسة الغد سوف تكون عن بعد" ودعوته إلى شحن مواد التعلم خارج المؤسسة في إطار شعار: "أمة التعلم". فهل ستكون أعراض عملية أعمق من الاستعانة بمصادر خارجية عن المدرسة؟ وهل نجاح تطبيق "الموسوعة الرقمية"، والتكوين داخل المدرسة، يسمحان بالتحدث مثل رفائيل سيمون؟ في حين أن التدريس يتم خارج قاعة الصف، وما يعقب ذلك من تمارين في البيت، فإن هذا المنطق انعكس جذريا منذ بدء الحجر الصحي. هناك طريقة أخرى ممكنة، وعلى النقيض من ذلك؛ قد ينعش الإحباط الذي ساد خلال الأشهر الأخيرة فضائل المدرسة، والجودة العالية التي لا يمكن قياسها مع العلاقة القائمة مع "الحضوري". ولكن أيضا، التسهيلات والفرص التي توفرها الأدوات الرقمية. هناك أمل، في انتظار الدخول المدرسي.

- ملحق: تاريخ التعليم عن بعد في فرنسا.

1939	إنشاء هيئة للتعليم في باريس، بينما كانت الحرب تعمل على قلب مؤسسات الدولة.
1944	إحداث المركز الوطني للتعليم عن طريق المراسلة من قبل نظام "فيجي". تم تأكيد وجوده إثر إطلاق سراحه. سيصبح المركز الوطني للتعليم عن بعد في سنة 1986.
1996	إنشاء منصة إلكترونية جامعية للتدريب، والتي يمكن الوصول إليها عبر الأنترنت.
2009	افتتاح أكاديمية عبر الأنترنت، تستضيف جميع المدرسين؛ من الابتدائي إلى الثانوي.
2012	ظهور دورات ضخمة مفتوحة عبر الأنترنت، تتيح التكوين عن بعد؛ من خلال الموارد التعليمية المفتوحة.
2013	إطلاق جامعة فرنسا الرقمية والتي تقدم دورات دراسية تحت إشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
2019	في إطار تدبير برنامج "واجبات منجزة"، تم إنشاء مساعد رقمي لتلامذة الإعدادي في إنجاز واجباتهم المنزلية.
2020	تم إطلاق منصة "قسمي في البيت" لضمان "الاستمرارية البيداغوجية".

كوفيد

شعر: ن. محمد اعراب

مفتش التعليم الثانوي لمادة اللغة العربية. أكاديمية التربية والتكوين لجهة الشرق

أَبْعَدَ الشَّيْبِ يُسْكِبُ لِي الْمُدَامُ
فَسَا الظَّرْبَانُ لِيلاً بِالْأَنَاسِي
فَشَا كُوفِيدُ يَدْعُسُ دُونَ مَيِّزِ
وَأَصْبَحَتِ الْمَشَافِي كُلَّ يَوْمٍ
وَأَغْلِقَتِ الْمَدَارِسَ وَالْحَوَارِي
وَصَارَ الْمَرْءُ يَمْشِي فِي صَحَارَى
وَبَاتَ الْكُلُّ فِي كَمَدٍ عَلِيلاً
وَعُطِّلَتِ الصَّلَاةُ بِكُلِّ حَيٍّ
يُؤَدِّنُ لِلْقِيَامِ بِكُلِّ وَقْتِ
وَحَتَّى الْكَعْبَةُ الْغُرَاءُ صَارَتْ
وَأُذِّنُ فِي الْكِنَائِسِ مِنْ رَجَاءِ
تَغَضَّنَتِ الْقُلُوبُ وَشَاعَ فِينَا
وَصَارَ الْمَوْتُ يَرْفُصُ دُونَ رُحْمِ
وَيَبْعَثُ فِي النُّفُوسِ سِهَامَ رُعبِ
وَتُطْرِبُنِي الْخِرَائِدَ وَالْهِيَامُ
فَصَارَتْ لَا يُرَامُ لَهَا التَّيَامُ
وَيَحْكُمُ بِالْحُجُورِ وَلَا يُلَامُ
بِهَا الْمَرَضَى لِبِأْسِهِمُ الْكِمَامُ
خَبَتْ نُورًا، وَكَانَ بِهَا اِزْدِحَامُ
وَحِيدًا لَيْسَ يَتْرُكُهُ اللَّثَامُ
يَتْنُّ وَلَا يَطِيبُ لَهُ الْمَقَامُ
وَصَارَتْ فِي الْمَسَاجِدِ لَا تُقَامُ
إِذَا نَادَى الْمُؤَدِّنُ لَا قِيَامُ
بِهَا الطَّوْفَانُ، رُعبًا، لَا يُقَامُ
لَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُ مَا نُسَامُ
وَبَاءٌ لَيْسَ تَحْمَدُهُ الْعِظَامُ
وَيُهْلِكُ مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُضَامُ
فَلَا رِكْزُ يُحْسُّ وَلَا كَلَامُ

تَبَاعَدَتْ الْعَوَائِلُ مُكْرَهَاتٍ
وَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي نَظَرٍ طَوِيلٍ
تُفْتَشُّ عَنْ عِلَاجٍ مُسْتَحِيلٍ
تُفَكِّرُ فِي بَلَاءٍ مُسْتَطِيرٍ
وَهَا رَمَضَانُ أَقْبَلَ فِي سُهُومٍ
وَكَيفَ تَصُومُ مَنْ فَقَدَتْ عَزِيزاً
فَلَا مَلْجَأَ لِغَيْرِ اللَّهِ حَقّاً
قَصَدْنَا مَنْ لَهُ الْأَكْوَانُ دَانَتْ
وَعَمَّ الشُّوقُ وَاحْتَدَمَ الْهُيَامُ
تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ فَلَا تَنَامُ
وَيُعْوِزُهَا التَّفَرُّسُ وَالْكَلامُ
وَتَشْكُو اللَّهُ مَا جَرَحَ اللَّئَامُ
فَكَيْفَ يَطِيبُ بِالْوَجَلِ الصِّيَامُ
وَأَصْبَحَ لَا يُفَارِقُهَا الظَّلَامُ
وَلَا مَنَجَى إِذَا حَمَّ الْحِمَامُ
وَسَبَّحَ مِنْ جَلَالَتِهِ الْأَنَامُ
فَرَحِمَتْكَ الْعَظِيمَةُ لَا تُضَامُ
فَكُنْ رَبِّ الْعِبَادِ بِنَا رَحِيماً

المحار الثاني:

التعليم عن بعد: تجارب وتقاصات

تجربة التعليم (عن بعد) في المدرسة المغربية: بين إكراهات التنزيل وآفاق التطوير

ذ. عبد الله حمداوي

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق

تقديم:

إن أهم ما يميز عالم اليوم بامتياز، هو الثورة الرقمية التي تسارعت فيها الاكتشافات العلمية، والتطورات التكنولوجية، وأنظمة الاتصال والمعلومات التي كان من نتائجه؛ بزوغ جيل جديد من تقنيات الاتصال، وشبكة الأنترنت، والحاسوب والهواتف الذكية، والشاشات الإلكترونية...

وقد أحدثت هذه الوسائط الإلكترونية تحولا عميقا في المجتمعات، وفي العلاقات الإنسانية، بل فرضت واقعا جديدا في سائر مناحي الحياة، كما طرحت تحديات جديدة شملت السياسة والاقتصاد، والتعليم.

ولم يكن قطاع التربية والتكوين بمنأى عن آثار هذه الثورة الرقمية الجديدة المكتسحة، حيث لم يعد ممكنا في ظلها اعتماد الوسائل التعليمية التقليدية، مما فرض حتما حضور هذه التقنيات التكنولوجية، وإدماجها في برامج التعليم بمفاهيمها التربوية الجديدة التي أضيفت إلى المعجم التربوي من قبيل المكتبات الرقمية، والفصول الافتراضية، المضامين الرقمية، والتعلم عن بعد، والتعليم الإلكتروني، والتعليم المفتوح، والتعليم المدمج في المستقبل....

غير أن حضور هذا النمط الجديد من التعليم في المدرسة المغربية لم يفرضه واقع الثورة الرقمية فقط، بل كان خيارا بيداغوجيا حتمته ظروف انتشار جائحة

"كرونا" والتي فرضت عزل مناطق العالم عن بعضها بعض، وإغلاق جميع المرافق الحيوية؛ بما فيها المدارس والجامعات وغيرها... نظرا لصعوبة اعتماد التعليم الحضوري.

من هنا تهدف هذه الورقة إلى التعريف بتجربة التعليم عن بعد بوصفه نمطا قديما حديثا من التعليم في بعض التجارب العالمية، كما تهدف إلى تقييم التجربة المغربية في هذا المضمار، وما حققته من مكتسبات في مجال التعلّمات عن بعد، وما اعترضها من تحديات حالت دون استشارها بالشكل المطلوب لدى المتعلمين خاصة وأن التكنولوجيا الرقمية لم تلج بعد مدارسنا، كأن المدرسة تريد أن تكون خارج المجتمع الذي توجد فيه، لهذا يجوز لنا أن نتساءل: إلى أي حد يمكن أن يتحقق النجاح للتعليم عن بعد في مدارسنا؛ ليس باعتباره أداة نلجأ إليها كلما أملت بالمجتمع كارثة ما، بل تعليما إلكترونيا مستمرا ومكملا للتعليم النظامي الحضوري؟

أولا - بدايات التعليم عن بعد؛

لا يكاد الباحث يعثر من الناحية التاريخية عن بداية فعلية محددة في الزمان والمكان، لما أصبح يسمى بـ "التعليم عن بعد"، لكن رغم ذلك يمكن أن نسترشد ببعض المحاولات التي اتخذت صبغة جهود فردية، أنجزها بعض الأعلام من مثل "إيساق بتمان" (Isaac Pitman) بإنجلترا عام 1940، حيث اعتمد أساليب ووسائل تقليدية ضمن نطاق جغرافي محدد، إلى أن ظهرت مؤسسات أكاديمية عامة وخاصة، تحملت عبء القيام بهذه المهمة بأشكال أكثر تنظيما ودقة.

ويندرج ضمن هذه المحاولات أيضا، ما قدمته إحدى الجامعات الأمريكية

من مقررات عبر جهاز الراديو ابتداء من عام 1922¹، ثم أجهزة التلفزيون كذلك، حيث أطلقت جامعة ستانفورد مبادرة عام 1968، أسمتها: "The stanford Instructional Television Network"، لتقديم مقررات "Network" لطلبة الهندسة عبر قناة تلفزيونية.²

وقد شهدت أربعينيات القرن الماضي تطورات في مجال التعليم عن بعد، حيث استعملت الخدمة البريدية في نقل المواد المطبوعة والمكتوبة من المدارس إلى المتعلم (التعليم بالمراسلة)، ثم استخدم المذياع وتطور الوضع باستخدام الأشرطة السمعية، إلى أن ظهر التلفاز فاستغلت القنوات التلفزيونية التعليمية في بث دروس تعليمية.³

وخلال الستينيات، ظهرت شبكات التلفاز المغلقة، فاستخدمت في نقل المحاضرات، أما خلال الثمانينيات فتم استخدام تقنية "الفيديو"، في إطار الاهتمام ببرامج التعليم عن بعد الصوتية والمرئية، ثم تطور ذلك باستخدام مؤتمرات الفيديو

¹ - شرعت جامعة بنسلفانيا العريقة في الولايات المتحدة الأمريكية في تقديم مقرراتها عبر جهاز المذياع منذ سنة 1922. وانظر: محمد بادرة "فيروس كورونا ينعش نظام التعليم عن بعد والتعليم الرقمي". مقال بالجريدة التربوية: ع 83، ص 2020، للباحث، ص 6.

² - الدكتور حمد بن سيف الهمام، والدكتور حجازي إبراهيم، التعليم عن بعد: مفهومه، أدواته واستراتيجياته: دليل صانعي السياسات في التعليم الإلكتروني والمهني والتقني. وقد تم إعداد هذه الوثيقة من طرف (مدير مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت) الأخصائي الإقليمي لبرامج التربية الأساسية، مكتب اليونسكو بيروت، ص 15.

³ - الدكتور حمد بن سيف الهمام، والدكتور حجازي إبراهيم، "التعليم عن بعد: مفهومه، أدواته واستراتيجياته" ص 15

لإرسال المحاضرات دون أقمار اصطناعية، وبذلك تم التغلب على عيوب هذه الطريقة باستخدام الفيديو ثنائي الاتجاه الذي يساعد على عملية التفاعل بين المحاضر والطالب في الاتجاهين معا.

ويظهر الحواسيب الشخصية، وتطور شبكات المعلومات الدولية والمحلية، زادت أهمية البرامج المقدمة للتعليم عن بعد، وجعلته يحظى بأهمية أكثر من ذي قبل؛ لأن شبكة الأنترنت أصبحت شاملة لكل الأشكال التي تم استخدامها من قبل، فضلا عن كونها تحقق عملية التفاعل بين المحاضر والطالب، وكذا بين الطالب وزملائه، كما أنها (أي الشبكة العنكبوتية) توفر مصادر تعليمية مختلفة ومتعددة، مما جعل التعليم عن بعد أكثر تنوعا وخصوصية مقارنة بالتعليم الحضوري.

ثانيا - التعليم الإلكتروني (عن بعد) السياق والدلالة؛

استيقظ العالم في مطلع هذه السنة 2020 على وقع ظهور وباء كوفيد 19 وانتشار فيروسه القاتل بين الناس في جميع أنحاء المعمور. وقد كان ذلك الانتشار يتم بوتيرة سريعة في كل المجتمعات خلفا وراءه ضحايا كثير، وباعثا في نفوس الأحياء مشاعر الرعب والخوف والقلق، فكان لزاما على الحكومات والمنظمات الدولية أن ترسم خارطة طريق واضحة المعالم للحد من العدوى وتفشي الوباء بشكل أفضع، مما أدى إلى استنفار الأجهزة الأمنية الطبية، بعد أن شل العمل، وتوقفت حركة النقل والأسفار، وتم حظر التجمعات، وأغلقت المصانع، ودور الرياضة، والمؤسسات وغيرها... مع الالتزام بالحجر الصحي في البيوت.

ولعل أشد تأثير لهذه الجائحة، ما أصاب مؤسسات التربية والتعليم وتكوين الأطر التي اضطرت إلى إغلاق أبوابها في وجه التلاميذ والطلبة، والأطر التي تتابع

تكوينها، الأمر الذي أربك المسؤولين، وفرض عليهم البحث عن حلول وبدائل، تخفف من هول الكارثة، وحجم الخسائر في قطاع التربية والتكوين، غداة إعلان حالة الطوارئ في جميع دول العالم، وفرض الحجر الصحي، حفاظا على صحة المواطنين والمواطنات في الأماكن التي يتسارع فيها انتشار الفيروس بسرعة من مثل؛ المؤسسات والفصول الدراسية.

أمام هذه الوضعية المتأزمة سارعت العديد من دول العالم إلى اللجوء إلى التعليم عن بعد، بوصفه خيارا بيداغوجيا بديلا عن التعليم الحضوري.

لذا يمكن القول: إن السياق الذي فرض اللجوء إلى التعليم عن بعد، كان باعثا على استثمار التكنولوجيا الرقمية بوسائطها الجديدة والمرنة في مجال الاكتساب والتعلم.

وقد ظهر مفهوم التعليم عن بعد، بوصفه نمطا جديدا من التعليم الإلكتروني، بعد تفشي فيروس كورونا في جميع الأوساط والشرائح الاجتماعية؛ الأمر الذي ترتبت عنه أزمة أصابت قطاع التربية والتكوين ببلادنا التي لم تكن استثناء من الدول التي تضررت من جراء هذا الوباء الخطير، لذلك سارعت الدولة المغربية إلى اتخاذ قرار توقيف الدراسة الحضورية وتعويضها بالدراسة عن بعد، حيث دخلت منظومة التربية والتكوين تجربة جديدة غيرت نمط التواصل التربوي بين المدرس والتلاميذ / الطلبة وبين التلاميذ أنفسهم.

ورغم قدم ظاهرة التعليم عن بعد وتطوره عبر محطات تاريخية عديدة،¹ فإن

¹ - انظر ص 02 و03 من هذا المقال.

تنزيله واستثاره باعتباره تقنية جديدة خلال انتشار وباء كورونا، استفاد كثيرا من التكنولوجيا الرقمية ووسائطها المتعددة (هواتف ذكية- لوحات إلكترونية- حواسيب...) وقد تعددت التصورات التي حاولت إعطاء تعريف للتعليم عن بعد، حيث اعتبرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والتعليم " منظومة تعليمية متكاملة تتيح للمتعلمين... فرصا متساوية لاكتساب المعلومات والمعارف والمهارات المختلفة، وذلك وفقا لمفهوم التعلم الذاتي دون الاعتماد المباشر على المعلم، من خلال مجموعة من البرامج التعليمية الإلكترونية المتنوعة، والتي لا يشترط فيها الحضور المكاني للمتعلم أو المعلم".¹

ويعرف الأستاذ أحمد أوزي التعليم عن بعد باعتباره نمطا من أنماط التعليم الإلكتروني بقوله: " يطلق على التعليم الإلكتروني أسماء عديدة، منها التعليم عن بعد، والتعليم الافتراضي، والتعليم الرقمي، الخ... ويعد التعليم الإلكتروني بمختلف أشكاله من أهم أساليب التعلم في الوقت الحاضر... وهو- أي التعليم عن بعد- عملية تعليمية تعلمية يتم الفصل فيها بين المعلم والمتعلم والمنهاج الدراسي في البيئة التعليمية.... وهذا الشكل من التعليم حديث، عرف ظهوره مع التطور التكنولوجي المتسارع في العالم".²

نستنتج من التعريفين السابقين أن التعليم عن بعد يفترض وجود المتعلم بعيدا

¹ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة العربية للتعليم عن بعد، تونس 2016 ص 12.

² - جان فرانسوا بارميتي وكونتيان فيسان، أربعة (4) سيناريوهات للتعليم عن بعد نماذج علمية وجذاذات تطبيقية ترجمة مصطفى حسني مراجعة وتقديم أحمد أوزي منشورات علوم التربية الطبعة I

عن مؤسسته في معظم فترات الدراسة، كما يجسد هذا النمط من التعليم (عن بعد) محاولة توفير الخدمات التعليمية للفئات التي لا تستطيع الوصول أو الحضور شخصيا إلى مؤسسات التربية والتكوين، وذلك عن طريق استخدام وسائل إلكترونية متعددة.

ثالثا- الأصول الفلسفية والسيكولوجية للتعليم الإلكتروني (عن بعد)؛

لا يمكن تجريد ظاهرة "التعليم عن بعد" من أصولها ومنطلقاتها الفلسفية والسيكولوجية؛ إذا ما أقرنا بأن هذا النمط من التعليم أفرزه تفاعل العديد من خلفيات ومبادئ، كانت بدورها انعكاسا لتصورات فلسفية ومقاربات سيكولوجية حول قضايا وإشكالات متعددة؛ منها ما يرتبط بطبيعة المعرفة الإنسانية ومصادرها، وسيرورات اكتسابها، ومنها ما يبحث في جوهر فعل التربية والتعليم، والقوانين السيكولوجية المتحكمة في سيرورة التعلم.

1- التعليم الإلكتروني (عن بعد) في علاقته بطبيعة المعرفة ومصدرها:

من الحقائق العلمية الثابتة في مجال التعلم، كما تؤكد السيكولوجيا المعرفية¹ "la psychologie cognitive"؛ أنه لا وجود لحقائق علمية جاهزة ومنفصلة عن

¹ - "السيكولوجيا المعرفية أو علم النفس المعرفي أحد التخصصات البارزة في السيكولوجيا، وقد ظهر هذا التخصص في خضم الثورة المعرفية التي شهدها القرن 20، متجاوزا بذلك الأطروحة السلوكية. وتنطلق السيكولوجيا المعرفية من فرضية أن التفكير هو سيرورة في معالجة المعلومات، وأيضا من المفهوم الجديد للمعرفة "cognition" الذي يميل على آليات النشاط الذهني، كما يهتم المنظور المعرفي بدراسة وظيفة الذكاء وأصل المعارف والاستراتيجيات المعرفية المستعملة في الاستيعاب والتذكر ومعالجة المعلومات في الذاكرة واللغة من خلال وظيفة الدماغ..." انظر الباحث محمد تانفت، مقال بعنوان "علم النفس المعرفي وقضايا التعلم والاكتساب" مجلة فكر ونقد س العاشرة ع 100 يناير 2009. ص 63.

النشاط الفكري الذاتي للفرد، بل تعتبر المعرفة ملازمة للإنسان، لذلك وجب أن نبحث عن مبادئ اكتسابها داخله (أي الإنسان) وليس بأن تفرض عليه بشكل قبلي وجاهز من الخارج.

إن الثورة المعلوماتية قد ساهمت اليوم في تحقيق انفجار معرفي هائل، أضحت معه المعرفة نسبية، ودينامية ومتغيرة بسرعة في عالم الرقمنة. لذا يمكن الجزم بأن الرهان الأساسي للمؤسسات التعليمية في ظل اعتماد التعليم عن بعد؛ هو تكوين شخصية المتعلم بشكل يضمن له التوازن بين النضج والنمو والتفتح، وليس شحن ذاكرته بالمعارف والأفكار المتوفرة اليوم بشكل لافت للنظر.

إن المتأمل في مصادر المعرفة التي يتلقاها المتعلم في كل لحظة عبر مختلف الوسائط الإلكترونية، يطمئن بلا شك إلى أن التعليم الإلكتروني لم يعد مصدر معرفة فحسب، بل أضحى أسلوباً تعليمياً تعليمياً يثري وينمي تعلمات التلاميذ في مناخ الحرية والديموقراطية والعدالة، وتكافؤ الفرص.

2- التعليم الإلكتروني (عن بعد) مدخل إلى التعلم النشط والفعال:

إن الحديث عن علاقة التعلم عن بعد بالتعلم النشط والفعال، هو في حقيقة الأمر انعكاس مباشر للمنطلقات الفلسفية والسيكولوجية لهذا النوع من التعليم على طبيعة منظومة التربية والتعليم في العصر الراهن، غير أن السؤال الذي نواجهه في هذا السياق هو: كيف يمكن للتعليم عن بعد أن يتحول إلى تعلم نشط وفعال، يمكن المتعلم من تحقيق أهداف نهائية تجعله يعبر عن قدراته الإبداعية وينخرط في التواصل التربوي والاجتماعي بكل حرية واستقلالية؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن في العناصر الآتية:

أ- لا يمكن أن نتجاهل ما يقدمه التعليم عن بعد من حرية تربوية تحرر المتعلم من جبروت التعليم الحضوري وحصص المهارات الإدراكية للأطفال في نطاق معرفي واحد وبأسلوب محدد، بغض النظر عن اهتماماتهم وحاجاتهم وإمكاناتهم، ودراباتهم المسبقة بالمعرفة... ولعل هذا ما دفع جون جاك روسو إلى القول: "أعدوه (أي الطفل) كي تسود حياته الحرية والقدرة على استعمال قواه كلها، تاركين لجسمه العادة الطبيعية بحيث يكون دائما سيد نفسه، قادرا في جميع الأمور على العمل بمشيئته متى صارت له مشيئة"¹.

ب- لاشك أن تجربة التعليم عن بعد تؤشر على الدخول إلى مرحلة جديدة وواقع مختلف تتحكم فيه الرقمنة التي أصبحت توطر العلاقات الإنسانية مؤثرة في مختلف الأعمار بشاشاتها المتعددة والمختلفة، وخاصة فئة المتعلمين التي أصبحت تتلقى ما لا يحصى من مصادر المعرفة، ومن هنا إذا ما سلمنا بتوفر المعرفة التي أصبحت ينابيعها لا تنضب ولو للحظة وجيزة، فإنه ينبغي التفكير حالا في تجديد أشكال التعلم التقليدي وجعلها مواكبة للثورة الرقمية الراهنة، من خلال استثمار هذا النمط الجديد من التعليم (عن بعد) بالتركيز على الجوانب الآتية:

- الاهتمام بالاستراتيجيات المعرفية في التعلم.
- البناء التدريجي للمعارف في سيرورة التعلم.

¹ - جون جاك روسو، كتاب إميل، ترجمة: نظمي لوقا القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر (1958)

• التمثلات القبلية ودورها في تحديد المعارف.¹

ج- من جهة أخرى يمكن اعتبار التعليم الإلكتروني من أهم الوسائل المحققة للتعلم الفعال لما كان المتعلم يُقبل فيه على التعلم بدافع ذاتي ورغبة ملحة في التعلّات، وليس بدافع خارجي؛ الأمر الذي يكسب عملية التعلم عن بعد عبر الوسائط الإلكترونية المتعددة تحفيزاً قوياً للمتعلّم، شريطة الخضوع لرقابة دائمة خلال هذه العملية.

هكذا يمكن الجزم بأن استراتيجية التعليم الإلكتروني عززت أطروحة اعتبار العملية التعليمية التعلمية سيرورة مستمرة ومتطورة لا تعرف الانقطاع، كما أنها متغيرة باستمرار لتلائم روح العصر المتغير أيضاً، سواء من الناحية العلمية أو التقنية، أو الاجتماعية أو الثقافية...

د- يمكن الاستدلال أيضاً على أهمية التعليم الإلكتروني بالنسبة للمتعلّم، من جهة اعتباره (أي التعليم عن بعد) أداة فعالة يمكن أن ترفع من سرعة تنمية

¹ - العربي السليمان، التواصل التربوي، مدخل لجودة التربية والتعليم طبعة 2005، منشورات علوم التربية، ص 13. وانظر:

بنعيسى زغبوش، المعجم الذهني وتطوير النظام التعليمي، مجلة علوم التربية ع 29 شتنبر 2005، مطبعة النجاح الجديدة ص 42 .

عبد الرحمن علمي إدريسي، تمثل السببية لدى الطفل، دور عملية الكف في اكتساب المعارف العلمية، مجلة علوم التربية ع 30 فبراير 2006 ص 137.

عبد الكريم بلحاج، علم النفس بالمغرب بين المعرفة والممارسة ط 1، س 2005، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ص 121.

الغالي أحرشاؤ، العلم والثقافة والتربية، رهانات إستراتيجية للتنمية من ص 137 إلى ص 155.

المعارف ونجاعة تطوير المهارات لدى المتعلم من خلال مواجهته لوضعيات تعليمية في التعلم الذاتي عبر الوسائط الإلكترونية.

بعبارة أخرى يمكن القول: إن التعليم الإلكتروني "الموجه"¹ يساعد على تربية معرفية من خلال تطوير الاشتغال الذهني للمتعلمين والرفع من قدراتهم على التعلم بالتركيز على جملة من القواعد والمبادئ العامة، وعلى سيرورات اكتساب المعارف وتوظيفها بالنسبة للمدرس، وفي هذا السياق لم يعد المتعلم "L'apprenant" حريصا على تلقي المضامين والمعارف الكثيرة، بل أصبح يتعلم كيف يتعلم؛ أي كيفية امتلاك المعارف والقدرات على وضع معرفتنا على الممارسة والتطبيق، وهو صنف من البيداغوجيا التي تساعد على استخدام القدرات الذهنية في وضعيات التعلم.

يقول الأستاذ أحمد أوزي في هذا الصدد: "إن مهارة تعلم التعلم أساسية للمتعلمين في الوقت الراهن الذي تتوفر فيه المعارف من خلال الوسائط الإلكترونية، مما يستوجب تدريبهم على الاستقلال، والتعلم بأنفسهم وفق الاستراتيجية التي يختارونها، وفق إيقاعهم في التعلم، خاصة وأن أفضل حليف لتعلم التعلم هو ما وراء الميتامعرفة التي تضاعف قدرة التفكير لدى الشخص وتجعله تفكيرا في التفكير...".²

¹ - المقصود بالتعليم الإلكتروني الموجه أي التعليم عن بعد الخاضع لرقابة ولي أمر التلميذ خارج الفصل الدراسي.

² - أحمد أوزي: الفصل المقلوب بوابة إشراك المتعلمين وممارسة التعليم عن بعد. منشورات علوم التربية، ط1، س 2020، ص 141-142، نقلا عن:

. H. holec (1991) Qu'est – ce qu'apprendre à apprendre ? Barcelone, Espagne, P. 78.

رابعا- التعليم عن بعد في التجربة المغربية بين إكراهات الواقع وآفاق التطوير:

أصبحت المؤسسات التعليمية تواجه العديد من التحديات على الصعيد العالمي، سعيا منها إلى مواكبة التقدم العلمي وتطور المهارات والمعلومات. غير أن أكبر تحد واجهه العالم وسائر الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والتربوية، يتجلى في انتشار الوباء العالمي "فيروس كورونا"¹ Corona Virus الذي اجتاح العالم في ظرف قياسي جعل مؤسسات التربية والتكوين في بعض دول العالم تواجه صعوبات كثيرة، فكان لا بد من إيجاد حلول وبدائل ناجعة لنظام التعليم الحضوري، تعزيزا لإجراء الوقاية والاحتراز من الإصابة بالفيروس، لذا كان لا بد من اللجوء إلى خيار التعليم عن بعد، رغم الصعوبات والتحديات التي اعترضت تنزيل هذه التجربة الجديدة.

أما فيما يتعلق بالتجربة المغربية في ظل هذه الجائحة، فإن مفهوم "التعليم عن بعد" لم يكن متداولاً من قبل في الخطاب التربوي المغربي، إلا ما ورد من إشارات تحث على ضرورة استثمار تكنولوجيا المعلومات، من خلال بعض الوثائق المرجعية المؤطرة لنظام التربية والتكوين.²

¹ - يعتبر فيروس (كورونا) من فصيلة فيروسات (كورونا) الجديدة التي ظهرت أولى حالات الإصابة به في مدينة (ووهان الصينية) نهاية دجنبر 2020 في شكل التهاب رئوي حاد، وقد صنفته منظمة الصحة العالمية "بجائحة عالمية" بعد أن انتشر بشكل واسع في سائر أنحاء المعمور.

² - نذكر منها:

- الميثاق الوطني للتربية والتكوين: الدعامة العاشرة من المجال الثالث: المواد 119 - 120.

وفي سياق التدابير الاحترازية التي اتخذتها وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي للحد من العدوى وانتشار الوباء،¹ أصبح مفهوم " التعليم عن بعد " حاضرا ومتداولاً بقوة في الخطاب التربوي، وخياراً بيداعوجيا بديلاً لا محيد عنه، ضماناً للاستمرارية في التحصيل الدراسي عن بعد في ظل انتشار هذه الجائحة، رغم التحديات والمعوقات، فما هي يا ترى هذه التحديات التي حالت دون التنزيل الأمثل لهذه التجربة البيداغوجية (التعليم عن بعد) في حقل التربية والتكوين ببلادنا؟

لا شك أن التعليم الإلكتروني (عن بعد) قد فرض نفسه باعتباره حالة طارئة في العالم العربي نتيجة انتشار جائحة كورونا، غير أن لجوء الوزارات المعنية مرغمة إلى هذا النوع من التعليم (الإلكتروني) بسبب حالة الطوارئ المفاجئة التي فرضتها الجائحة قد ارتطم بسقف من التحديات والعراقيل حالت دون نجاعته بالشكل المطلوب، وبعد استقراءنا لتلك التحديات في التجربة المغربية ارتأينا إثباتها من خلال

- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء: الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015 - 2030 سنة 2015 ص 57 - 58 - 59.

- القانون الإطار رقم 17 - 51 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، الصادر بالجريدة الرسمية ع 6805 بتاريخ 9 غشت 2019 المادة 33.

¹ - كانت أولى تلك التدابير الاحترازية: قرار توقيف الدراسة بجميع الأقسام والفصول الدراسية انطلاقاً من يوم 16 مارس 2020 حتى إشعار آخر، وتعويضها بدروس عن بعد تسمح للتلاميذ والطلبة بالمشكوث في منازلهم ومتابعة دراستهم في إطار "التعلم عن بعد". انظر بلاغ الوزارة بشأن توقيف الدروس الحضورية من خلال الرابط الآتي:

[HTTPS://WWW.MEN.GOV.MA/Ar/page/oublication.asp ? ID publication = 5938](https://www.men.gov.ma/Ar/page/oublication.asp?ID_publication=5938)

تاريخ الاطلاع: 2020/12/07.

العناصر الآتية:

أ- إن المتتبع للسلوك الرقمي للفاعلين التربويين والإداريين الذين أنيطت بهم مهمة إنتاج المضامين الرقمية، وتتبع سير عملية التعليم عن بعد، والتواصل الإلكتروني مع المتعلمين،¹ يتضح من خلاله عدم امتلاك هؤلاء الفاعلين القدر الكافي من الكفايات الرقمية المهنية التي تؤهلهم للقيام بهذه المهمة، حيث لم يتلقوا أي تكوين في هذا المجال، فكان ما قدموه من وحي تجاربهم الشخصية.

ب- لم تكن التمثيلات الاجتماعية لهذا النمط من التعليم مواكبة له بشكل إيجابي، حيث اعتبرت معظم الأسر المغربية هذا الأسلوب من التعلم غير مجد، ولا يفني بالغرض المطلوب لأن مكان التعلم في نظرهم هو المدرسة وليس الجلوس أمام الشاشات الإلكترونية.

ج- رغم إحداث الوزارة الوصية لعدد من المواقع والمنصات الرقمية من أجل التعلم عن بعد، فإن صعوبة الولوج إلى تلك المواقع والمنصات سواء من طرف المتعلمين أو الأطر التربوية زاد من تعقيد العملية التي غالباً ما كانت تنتهي بلا جدوى.

د- التفاوت في امتلاك الوسائل الرقمية والمهارات والمعارف المرتبطة بها: ساهم اللجوء الاضطراري إلى عملية التعلم عن بعد في المغرب في الكشف عن نوع من التفاوت واللامساواة التي يتم تكريسها في الحقل التربوي المغربي، بدل

¹ - المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، مدرسة العدالة الاجتماعية: مساهمة في التفكير في النموذج التنموي سنة 2018 ص 40.

العمل على تحقيق الإنصاف الرقمي كمدخل لضمان العدالة التربوية في نظامنا التعليمي.

إن أسوأ ما تفضي إليه اللامساواة الرقمية يتجلى أساسا في تركيز امتلاك المهارات والمعارف والوسائل الرقمية لدى فئات اجتماعية محددة؛ وهذا ما يجعلها حتما تحقق التميز في مجالات التعلم والعمل، والاقتصاد ومواكبة باقي أنواع الرأسمال الأخرى...

ولعل هذا ما جعل الفيلسوف توماس بيكيتي يصف في كتابه: "رأس المال في القرن الواحد والعشرين"¹ صعود أشكال جديدة من اللامساواة منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا مؤكدا على تفاقم وضعية اللامساواة في سياق الثورة الرقمية، التي غزت جميع بقاع العالم، ومما يلفت انتباه القارئ في هذا الكتاب، تصنيف صاحبه للامساواة من خلال ثلاثة أشكال: من بينها اللامساواة في ملكية رأس مال "الثروة"²، ويندرج امتلاك المهارات والوسائل الرقمية في سياق الحتمية التكنولوجية، في هذا الرأسمال باعتباره "ثروة لا مادية"، تشكل حسب تصور السوسيولوجي الفرنسي بيبرورديو - رأس مال ثقافي³، وهذا من شأنه أن يكرس

¹ - توماس بيكيتي، رأس المال في القرن الواحد والعشرين، ترجمة وائل جمال وسلمى حسين، ط 1، مصر دار التنوير 2016.

² - بيكيتي المرجع السابق ص 259.

³ - يميز بيبرورديو (Pierre Boridieu) (1930 - 2002) في أعماله حول نظرية الهيمنة بين ثلاث فئات من رأس المال: 1- رأس المال الاقتصادي: قيادة الموارد الاقتصادية (المال، الأصول، الممتلكات) 2- رأس المال الاجتماعي: الموارد الفعلية والمحتملة المرتبطة بامتلاك شبكة دائمة من العلاقات المؤسسية من التعارف المتبادل. 3- رأس المال الثقافي: تعليم الشخص (المعرفة والمهارات والفكرية).

تفاوتا طبقيا بين المالك للوسائل الرقمية ومهارات استخدامها، وبين من لا يستطيع امتلاكها، وهذا ما يؤشر على وجود هشاشة رقمية متمثلة في صعوبة ولوج فئات من المتعلمين ذوي الأصول الاجتماعية الهشة إلى استخدام الرقميات في التعلم؛ وبالتالي حرمانهم من الارتقاء الاجتماعي الوثيق الصلة بامتلاك المهارات الرقمية.

إن هذه الهشاشة الرقمية لها انعكاسات خطيرة وسلبية، إذ تكرر ظاهرة عدم تكافؤ الفرص بين المتعلمين في الوقت الذي ركزت فيه الرؤية الاستراتيجية (2030 - 2015) من خلال الفصل الأول على العمل من أجل تحقيق مدرسة المساواة والانصاف وتكافؤ الفرص.¹

ه- ومن جهة أخرى نلاحظ أن صيغة التعليم عن بعد كما طرحتها الوزارة المعنية، تتعارض مع مبدأ مجانية التعليم، في حين نجد القانون الإطار 17 - 51،² يرسى هذه المجانية بشكل صريح خاصة في الباب الثامن منه من خلال المادة 45.

كما أن هذه الصيغة التي مورس بها التعليم عن بعد كشكل من أشكال التعليم الإلكتروني، أصبحت تكرر التدريس بالمضامين نظرا لغياب التفاعل السوسيو معرفي بين المدرس والمتعلمين، إذ يصبح الهدف هو إيصال المعارف ليس إلا.

¹ - وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي: الرؤية الاستراتيجية لإصلاح التعليم 2015-2030، الفصل الأول: من أجل مدرسة الإنصاف وتكافؤ الفرص، الرافعة الأولى: تحقيق المساواة في ولوج التربية والتكوين. ص 13 وما بعدها.

² - أنظر الباب الثامن من القانون الإطار 17 - 51 وخاصة المادة 45 منه ص 24. صدر القانون الإطار بالجريدة الرسمية عدد 6805 بتاريخ 9 غشت 2019.

وفي الواقع يمكن القول: رغم كل هذه التحديات إن مستقبل التعليم ببلادنا رهين بشكل مباشر برقمته في أفق الاستثمار الجيد لما حققته الثورة المعلوماتية من مكاسب، خاصة وأن استخدام كل من أطر التدريس والتلاميذ للوسائط الرقمية أصبح ضرورة وخيارا بيداغوجيا لا غنى عنه في ظل سيادة التعليم الإلكتروني عموما والتعلم عن بعد على وجه الخصوص.

خلاصة:

في الختام لابد من التأكيد أن أزمة هذا الوباء قد أحدثت مشكلا اقتصاديا واجتماعيا وصحيا عميقا، مما خلق حالة من الذعر والهلع والفوبيا نتيجة الانتشار السريع لهذا الفيروس القاتل الذي اكتسح كل القارات في ظرف قياسي خلفا وراءه ضحايا تعد بمئات الآلاف، وإذا كان لابد من تعطيل كل المرافق الحيوية مثل: المدارس والمطارات والمراكز الثقافية والرياضية، والحدايق والمطاعم وأماكن العبادة للحد من انتشار الفيروس، فإن السؤال المركزي والملح الذي يطرح نفسه في هذه الظرفية الحرجة التي يمر بها العالم هو: كيف يمكن للدول والحكومات أن تستعد من الآن فصاعدا لمثل هذه الطوارئ والظرفية الاستثنائية التي أربكت العالم بأكمله؟ ألم يحن الوقت لتعود الدولة عودة قوية للتدخل في مجالات الصحة والتعليم والخدمات الاجتماعية، لتحصن هذه القطاعات الحيوية وتجعلها قادرة على مواكبة التغيرات والطوارئ المستقبلية؟ وما هي الخطط المستقبلية للدولة المغربية لتطوير هذا النمط الجديد من التعليم الإلكتروني الرقمي كي يرق إلى مستوى الحل البديل للتعليم الحضوري، دون أن يكون على حساب حقوق المتعلمين في نموهم المعرفي والنفسي والاجتماعي السليم الذي يحقق لهم تعلمًا واكتسابًا سليما أيضا؟

إن هذه الأسئلة وغيرها تطرح على الدولة المغربية تحديات كبرى تستدعي الانخراط المسؤول والفعال لكل القوى الحية في البلاد؛ لإعادة التفكير في قطاع التعليم ورسم ملامح المستقبل وتحفيز المبادرة والمنافسة بشأن كيفية إعادة التطور للمعرفة والتعليم في عالم يتسم بتزايد التعقيد والهشاشة، فأى مستقبل نريد؟ وأي نوع من التعليم نريده؟ إن جائحة كورونا حققت عولمة طبيعية حقيقية غمرت العالم بأكمله وجعلته يرى تقزمه وطفولته العلمية، لذلك لا بد من تشجيع البحث العلمي والقيام بدراسات وأبحاث لتحديد واقع الخدمات التعليمية عن بعد والتوجه نحو وضع حلول واقعية للتحرر من كل المعوقات والإكراهات التي واجهت المتعلمين خلال الجائحة، وللوقوف كذلك على جوانب القوة والضعف لدى المدرسين، ورب ضارة نافعة؛ فقد فتحت الجائحة أمام التعليم والبحث العلمي فرص الخلق والإبداع، وتعجيل الاهتمام بالتعليم الإلكتروني.

ختاماً يمكن القول: إن جائحة كورونا بتداعياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فرضت على دول العالم عودة قوية للتدخل في قطاعات استراتيجية وحيوية مثل التعليم والصحة، وضمن هذا السياق يندرج إجراء اعتماد "التعليم عن بعد"، لذلك لا بد من استمرارية تدخل الدولة في هذه القطاعات الحيوية، بعد أن انسحبت منها، وهذا ما سيتمخض عنه الإشكال المركزي الآتي: هل ستصبح أولوية الإنسان غداً جائحة كورونا الحفاظ على صحته، وجودة تعليمه وتحقيق العدالة الاجتماعية، أم ستستمر الأولوية للسوق والاستثمار والأبنك وزيادة الدخل؟

فهرس المصادر والمراجع:

أولا- الوثائق المرجعية المؤطرة لإصلاح منظومة التربية والتكوين:

- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي: الميثاق الوطني للتربية والتكوين 1999.
- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي: الرؤية الاستراتيجية لإصلاح التعليم 2015-2030.
- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي: القانون الإطار 51-17 الصادر بالجريدة الرسمية تحت عدد 6805 بتاريخ 9 غشت 2019.

ثانيا- الكتب:

- الدكتور محمد بن سيف الهمام، والدكتور حجازي إبراهيم، التعليم عن بعد: مفهومه، أدواته واستراتيجياته: دليل صانعي السياسات في التعليم الإلكتروني والمهني والتقني.. نشر سنة 2020 من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة.
- جون جاك روسو، كتاب إميل، ترجمة: نظمي لوقا القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر (1958).
- عبد الكريم بلحاج، علم النفس بالمغرب بين المعرفة والممارسة ط 1، س 2005، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- الغالي أحرشاو، العلم والثقافة والتربية، رهانات إستراتيجية للتنمية، ط 1 2005 مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة العربية للتعليم عن بعد، تونس 2016.

- توماس بيكيتي، رأس المال في القرن الواحد والعشرين، ترجمة وائل جمال وسلمى حسين، ط 1، مصر دار التنوير 2016.

ثالثاً- المجلات:

- جان فرانسوا بارميتي وكونتيان فيسان، أربعة (4) سيناريوهات للتعليم عن بعد نماذج علمية وجذاذات تطبيقية، ترجمة مصطفى حسني مراجعة وتقديم أحمد أوزي: منشورات علوم التربية الطبعة 2020.

- محمد تنافعت، علم النفس المعرفي وقضايا التعلم والاكساب، مجلة فكر ونقد س العاشرة ع 100 يناير 2009.

-العربي السليمانى، التواصل التربوي، مدخل لجودة التربية والتعليم طبعة سنة 2005، منشورات علوم التربية.

- بنعيسى زغبوش، المعجم الذهني وتطوير النظام التعليمي، مجلة علوم التربية ع 29 شتنبر 2005، مطبعة النجاح الجديدة.

- عبد الرحمن علمي إدريسي، تمثل السببية لدى الطفل، دور عملية الكف في اكتساب المعارف العلمية، مجلة علوم التربية ع 30 فبراير 2006.

- أحمد أوزي، الفصل المقلوب بوابة إشراك المتعلمين وممارسة التعليم عن بعد. منشورات علوم التربية، ط 1، س 2020.

- محمد بادرة، فيروس كورونا ينعش نظام التعليم عن بعد والتعليم الرقمي، الجريدة التربوية: ع 83، س 2020.

التعليم عن بعد في زمن كوفيد19: التجربة المغربية

الحسن همو

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الرباط سلا القنيطرة

من أكثر العبارات تداولاً في الآونة الأخيرة، وتحديدًا خلال فترة الحجر الصحي الذي فرضته جائحة كورونا "كوفيد 19"، تلك التي تدل على الخدمات التي أضحت تقدم للمواطنين من غير أن يغادروا مقرات سكنهم، مثل: العمل عن بعد، التجارة عن بعد، التقاضي عن بعد، التعليم عن بعد... الخ.

ولعل المصطلح الأخير هو الأكثر انتشاراً في أوساط الخاصة والعامة، المتخصصين والدهماء، بعدما كان - قبل تفشي وباء كورونا - محصوراً في نطاق ضيق لا يعني سوى المهتمين به دراسة وتدرّيساً.

أرغمت جائحة "كوفيد19" ما يزيد عن مائة وتسعين (190) دولة على إغلاق أبواب مدارسها وجامعاتها جزئياً أو كلياً، وحرمت أكثر من مليار وخمسمائة مليون تلميذ(ة) وطالب(ة) من متابعة دراستهم المعتادة - وفق إحصائيات منظمة اليونسكو - وأجبرتهم على الإقامة داخل بيوتهم، الأمر الذي فرض على هذه الدول البحث عن البدائل الممكنة لاستمرارية الدراسة من غير الحضور داخل المؤسسات والجامعات والمعاهد التعليمية، فكان نظام التعليم عن بعد هو الحل الأنسب.

وكان بلدنا أحد هذه الدول المعنية بتوفير هذه الخدمة التربوية لما يقرب من عشرة ملايين متعلم في المؤسسات التعليمية الابتدائية والثانوية والجامعية ومراكز التكوين.

فهل نجح الأوصياء على قطاع التربية والتكوين بالمغرب في أداء هذه المهمة على أحسن وجه؟ وهل انخرط المعنيون بالأمر من أطر إدارية وتربوية ومتعلمين وأولياء أمورهم بشكل إيجابي في دعم جهود الدولة لإنقاذ الموسم الدراسي من سنة بيضاء؟ وهل حقق التعليم عن بعد النتائج المرجوة منه؟

I- تحديد المصطلحات

1- مفهوم التعليم عن بعد Distance Learning وعلاقته بالتعليم

الإلكتروني Electronic Learning

اختلفت تعاريف مصطلحيّ التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني، وبلغت حدّ التعارض أحيانا. فمن الباحثين من اعتبر التعليم عن بعد نمطا من أنماط التعليم الإلكتروني، كما في التعريفين التاليين:

أ. " التعليم الإلكتروني هو طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة... سواء أكان عن بعد أم في الفصل الدراسي..."¹.

ب. "... أما التعليم عن بعد فهو جزء مشتق من الدراسة الإلكترونية"².

ومنهم من عكس الأمر فعَدَّ التعليم الإلكتروني شكلا من أشكال التعليم عن بعد، كما في التعريفين التاليين:

¹. د. علي فوزي عبد المقصود وذ. عطية سالم الحداد، الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم "الاتصال

التربوي - نماذج الاتصال"، مؤسسة شباب الجامعة، 2014، ص 144

². أميمة سميح الزين، التحول لعصر التعلم الرقمي، أعمال المؤتمر الدولي الحادي عشر: التعلم في عصر

التكنولوجيا الرقمية/ طرابلس - لبنان، 22-24 أبريل 2016، ص 13

أ. التعليم الإلكتروني هو "أحد الوسائل التعليمية التي تعتمد على الوسائل الإلكترونية، لإتاحة المعرفة للذين ينتشرون خارج القاعات الدراسية، وهو أحد أشكال الدراسة عن بعد"¹.

ب. التعليم المفتوح والتعليم عن بعد قد يشملان أنواعا كثيرة من التعلم، كالتعليم الإلكتروني.. والتدريب الإلكتروني.. والتعليم المستمر..².

نفس التعريف تبنته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، حيث اعتبرت "التعليم الإلكتروني أحد هذه الأنماط المتطورة لما يسمى بالتعلم عن بعد عامة، والتعليم المعتمد على الحاسوب خاصة"³

أما الفريق الثالث فاعتبرهما نوعا واحدا، وهذا ما سيتضح من خلال التعريف

التالي:

"التعليم الإلكتروني عبارة عن التعليم من بعد والذي من خلاله يكون المتعلم

¹. حمد جاسم محمد الخزرجي وعباس سلمان محمد علي، التعليم الإلكتروني في العراق وأبعاده القانونية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، 2018، المجلد 8، العدد 1، ص 253.

². د. صلاح عايد الشهران، التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الوطن العربي: نحو التطوير والإبداع - دراسة مقدمة إلى المؤتمر الرابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، الكويت 2014، ص 3.

³. ما هو التعليم الإلكتروني؟ وما أنظمة إدارته؟ موقع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الموقع الإلكتروني:

بعيدا عن المعلم من ناحية المكان وربما الزمان...¹

ولعل أكثر التعريفات تعبيرا عن حقيقة التعليم عن بعد في شكله الحالي هو: "نظام تعليمي يقوم على فكرة إيصال المادة التعليمية إلى المتعلم عبر وسائط أو أساليب الاتصالات التقنية المختلفة، إذ يكون المتعلم بعيدا أو منفصلا عن المعلم أو القائم بالعملية التعليمية"².

ويسمى البعض التعليم عن بعد بالتعليم المفتوح³، في حين يميز آخرون بينهما، على اعتبار أن "التعليم المفتوح هو نظام تعليمي يتيح للمتعلم من أي عمر وأي مكان القدرة على متابعة التعلم دون الحاجة للالتحاق بالدراسة المنتظمة حيث لا يشترط فيه التفرغ للدراسة... أما التعليم عن بعد فهو نظام تعليمي يتم فيه إيصال التعليم الرسمي للمتعلمين المسجلين في أماكن بعيدة بحيث تكون أغلبية خبراء المادة والإدارة في موقع واحد ونشاطات التعليم في موقع آخر عبر واحد أو أكثر من الوسائط المتعددة أو السمع-بصرية أو المقروءة، مما يتيح فرصا للتفاعل بين الأستاذ

¹. أحمد محمود عبد اللطيف، التعليم الإلكتروني وسيلة فاعلة لتجويد التعليم العالي، ص 3، موقع جامعة

بابل العراقية: <http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/files/articles/2>

². د. ناهدة عبد زيد الدليمي، التعلم عن بعد: مفهومه وتطوره وفلسفته، موسوعة التعليم والتدريب،

الموقع الإلكتروني: <https://www.edutrapedia.com/article-691>

³. سامي الخفاجي، التعليم المفتوح والتعلم عن بعد أساس للتعليم الإلكتروني، ط 1، 2015، الأكاديميون

للنشر والتوزيع، عمان، ص 13-15

والمتعلم"¹.

أما التعليم الإلكتروني فهو: "طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب، وشبكاته، ووسائطه المتعددة من نص وصوت وصورة، ورسومات، وآليات بحث، ومكتبات إلكترونية، وكذلك بوابات الإنترنت سواء كان عن بعد أو في الفصل الدراسي؛ المهم المقصود هو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصى وقت وأقل جهد وأكبر فائدة"².

الحقيقة أن التعليم عن بعد يتقاطع مع التعليم الإلكتروني في بعض الوسائل ويختلف عنه في أخرى؛ فهو لا يكون فيه المعلم والمتعلم إلا متباعدين مكانا و- أحيانا- زمانا، وقد يكون إلكترونيا وقد لا يكون، وهو أسبق زمنا، بحيث بدأ أول الأمر بألمانيا وبريطانيا في منتصف القرن التاسع عشر، ثم بالولايات المتحدة الأمريكية بعد حوالي عقدين من الزمن، وكان يطلق عليه "التعليم بالمراسلة". وبعد قرن من الزمن، أي 1950 انطلق البث التلفزيوني التعليمي"³. وفي الولايات المتحدة الأمريكية -مثلا- قامت لجنة الاتصالات الفيدرالية عام 1952 بتخصيص

¹. د. علي بن شرف الموسوي، التجارب العربية في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد: دراسة نظرية تحليلية، عن الموقع الإلكتروني: <https://www.academia.edu/12510850>

². د. عبد الله بن عبدالعزيز الموسى، التعليم الإلكتروني مفهومة.. خصائصه... فوائده.. عوائقه، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة مدرسة المستقبل في الفترة 16-17/8/1423هـ جامعة الملك سعود.

³. د. ناهدة عبد زيد الدليمي، م.س

242 قناة تلفزيونية للأغراض التعليمية¹، وأضحت بعض الجامعات والمعاهد في أوروبا وأمريكا تنهج أسلوباً جديداً في تقديم خدمات تربوية للراغبين في ذلك، بالرغم من بعدهم عن مقراتها. ومع الثورة التكنولوجية الحديثة اتخذ "التعليم عن بعد" أشكالاً أخرى متطورة، فتم تجاوز الدروس الورقية المطبوعة والمستنسخة المرسلة عبر البريد العادي، ليشمل أشرطة سمعية (Cassette audio) فأشرطة سمعية بصرية (VHS)، ثم مع بداية التسعينات اعتمدت الأقراص المرنة والمدمجة إلى أن أصبح اليوم يعتمد على الحواسيب واللوحات الإلكترونية والهواتف الذكية المرتبطة بالشبكات العنكبوتية، سواء كانت شبكات محلية (Intranet) أم عالمية (Internet).

وقد لخص تقرير اليونسكو (2002) مراحل تطور التعليم عن بعد في أربعة مراحل، من أواخر القرن التاسع عشر إلى الفترة الحالية:

الجيل الأول: التعليم بالمراسلة، يعتمد على النصوص المطبوعة؛

الجيل الثاني: يعتمد على الوسائط المتعددة؛

الجيل الثالث: يعتمد على التعليم بواسطة الكمبيوتر؛

الجيل الرابع: نموذج التعليم المرن، يعتمد على الوسائط التفاعلية².

وارتباطاً بالموضوع، تُداول مصطلحات أخرى لها علاقة بالتعليم الإلكتروني

¹. د. محمد محمود الحيلة، تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان،

ط4، 2004، ص 348

². خالد صلاح حنفي محمود، طبيعة وفلسفة التعليم الجامعي المفتوح والتعلم عن بعد: تجارب ونماذج

عالمية معاصرة، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر - مصر، ص 15-16 (بتصرف).

والتعليم عن بعد، أهمها:

- التعليم الإلكتروني المتزامن¹ Synchronouse-learning
- التعليم الإلكتروني غير المتزامن² Asynchrone e-Learning
- التعليم المبرمج³ E-Programmedinstruction
- التعليم المخلوط/ المدمج⁴ Blended Learning
- التعليم الإلكتروني التعاوني⁵ E-Cooperative

¹. وهو التعليم على الهواء أو البث المباشر، والذي يحتاج إلى وجود المتعلمين في نفس الوقت أمام أجهزة الحاسوب، لإجراء النقاش والمحادثة بين المتعلمين أنفسهم، وبينهم وبين المعلم، ويتم هذا النقاش بواسطة مختلف أدوات التعليم الإلكتروني. (ويكيبيديا)

². هو تعليم غير مباشر، لا يحتاج إلى وجود المتعلمين في نفس الوقت حيث يتمكن المتعلم من الحصول على الدراسة حسب الأوقات المناسبة له وبالجهد الذي يرغب في تقديمه. يستعمل أدوات مثل البريد الإلكتروني والويب والقوائم البريدية ومجموعات النقاش وبروتوكول نقل الملفات والأقراص المدمجة. (ويكيبيديا) لمزيد من التفاصيل، انظر: أ.و. طوني بيتس، التكنولوجيا والتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، ترجمة وليد شحادة، الطبعة 2، 2006، مكتبة العبيكان، م.ع. السعودية، ص 107 وما بعدها.

³. "وهو تعليم يخطط له مسبقاً، وتنظم طرائقه بحيث تؤدي بالدارس الى الغاية المرجوة منه....".
⁴. يتضمن هذا النموذج الدمج بين التعليم التقليدي والإلكتروني، داخل غرفة الدراسة أو الأماكن المجهزة بتقنيات التعليم الإلكتروني، ويمتاز بالجمع بين مزايا التعليم التقليدي والإلكتروني، إلا أن دور المعلم في هذه الحالة هو التوجيه وإدارة الموقف التعليمي والمتعلم يكون دوره ايجابيا. (ويكيبيديا).

⁵. "هو نوع من التعليم يتم فيه تنظيم وتهيئة بيئة تعليمية مناسبة تسمح للطلاب أن يعملوا معا في مجموعات صغيرة غير متجانسة لإنجاز مهام أكاديمية محددة، حيث تعكف مجموعة صغيرة على المهمة التي كلفت بها إلى أن ينجح جميع الأعضاء في فهم وإتمام المهمة وتحقيق الأهداف المرجوة" مجدي يونس هاشم، التعليم الإلكتروني، ص 40.

- التعليم الافتراضي¹ Virtual learning

- التعليم الجوال² Mobile Learning (20)

II - المرجعيات التربوية المؤطرة لعملية إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في منظومة

التربية والتكوين.

صحيح أن اللجوء إلى عملية التعليم عن بعد كان اضطراريا ومفاجئا بعد انتشار جائحة كوفيد19، ولكن اهتمام وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي بإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال بدأ منذ وقت طويل، حيث نصت كل المرجعيات التربوية المعتمدة على إيلاء هذا الإدماج الاهتمام اللازم. فالميثاق الوطني للتربية والتكوين (1999) خصص الدعامة العاشرة لـ "استعمال التكنولوجيا الجديدة للإعلام والتواصل"، ونظرا للأبعاد المستقبلية لـ "هذه التكنولوجيات سيستمر استثمارها في المجالات الآتية على سبيل المثال لا الحصر:

الاستعانة بالتعليم عن بعد في مستوى الإعدادي والثانوي في المناطق

¹. "يقصد به تزويد الفرد المستخدم لشبكة الانترنت بما يحتاجه من معارف.... بغرض رفع المستوى العلمي أو بغرض التأهيل، وذلك باستخدام الوسائط المتعددة والكتب الإلكترونية... الخ" ابراهيم بختي، التعليم الافتراضي وتقنياته، موقع: منتدى قلعة للعلوم السياسية

<https://guelma.yoo7.com/t751-topic>

². "يمكن تعريف التعلم الجوال/ المتنقل إجرائيا بأنه استخدام الأجهزة اللاسلكية الصغيرة والمحمولة يدويا مثل الهواتف النقالة Mobile Phones، والمساعداة الرقمية الشخصية PDAs، والهواتف الذكية Smartphones، والحاسبات الشخصية الصغيرة Tablet PCs، لتحقيق المرونة والتفاعل في عمليتي التدريس والتعلم في أي وقت وفي أي مكان".

المعزولة؛

السعي إلى تحقيق تكافؤ الفرص؛...¹.

وقد أخذ مشروع جيني على عاتقه منذ عقد ونصف من الزمن مهمة تجهيز المؤسسات التعليمية بوسائل حديثة في إطار تعميم تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وتوفير العدة البيداغوجية الرقمية، وتمكين الأساتذة من التكوينات الأساس للانخراط في "الورش الكبير لاستراتيجية المغرب الرقمي".

كما أن البرنامج الاستعجالي (2009-2012) خصص المشروع العاشر من المجال الأول (E1.P10) لإدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال ضمن مجال التعلّمات، باعتبارها دعامة بيداغوجية لتحسين جودة التعليم².

في حين نصت الرؤية الاستراتيجية (2015-2030) على تمكين كل فصول المؤسسات التعليمية من استعمال الوسائل السمعية البصرية، وتقنيات الإعلام والتواصل. (الرافعة السادسة)³.

أما القانون الإطار رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، فقد أولى عملية إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مجال التعليم أهمية بالغة. حيث نصت المادة 33 على ما يلي:

¹. الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 1999، ص 40

². التقرير الملخص للبرنامج الاستعجالي، جميعا من أجل مدرسة النجاح 2009-2012، ص 19

³. المجلس الأعلى لتعليم، من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية استراتيجية للإصلاح

2015-2030، ص 20

"يتعين على الحكومة أن تتخذ جميع التدابير اللازمة والمناسبة لتمكين مؤسسات التربية والتعليم والتكوين والبحث العلمي في القطاعين العام والخاص من تطوير موارد ووسائل التدريس والتعلم والبحث في منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، ولاسيما من خلال الآليات التالية:

- تعزيز إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في النهوض بجودة التعليمات وتحسين مردوديتها؛

- إحداث مختبرات للابتكار وإنتاج الموارد الرقمية، وتكوين مختصين في هذا المجال؛

- تنمية وتطوير التعلم عن بعد، باعتباره مكملا للتعلم الحضوري؛

- تنويع أساليب التكوين والدعم الموازية للتربية المدرسية والمساعدة لها؛

- إدماج التعليم الإلكتروني تدريجيا في أفق تعميمه¹.

كما أن وزراء سابقين لقطاع التربية والتكوين انتبهوا لأهمية إدماج استعمال التكنولوجيا الحديثة في المجال التربوي، فالوزير محمد الوفا -على سبيل المثال- أكد على أن هذا الإدماج يشكل منطلقا يتجاوب ومتطلبات العصر الحديث.. وأن الانتشار والتطور الواسع لاستعمال التكنولوجيا الحديثة، والتفاعل الكثيف للتلاميذ والتلميذات -بوصفه جيلا صاعدا- مع العوالم الافتراضية، بات يحتم على

¹. القانون الإطار رقم 51.17، الجريدة الرسمية، عدد 6805، 17 ذو الحجة 1440، (19 أغسطس 2019)،

الوزارة...مجازاة التحولات عن طريق تجهيز المؤسسات التعليمية بهذه التقنيات والعمل على تأطير وتكوين أطر الوزارة...¹.

وقبيل إعلان حالة الطوارئ الصحية وبعدها، أصدرت وزارة التربية الوطنية مراسلات وبلاغات متتالية في شأن تدبير هذه المرحلة وضمان الاستمرارية البيداغوجية عبر التعليم عن بعد.

ويبقى المرجع الأسمى التي تستند عليه كل هذه المرجعيات التربوية هو دستور 2011 الذي ينص على ما يلي:

" تعمل الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسباب استفادة المواطنين والمواطنات، على قدم المساواة، من الحق في ... الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذو جودة"².

III - التعليم عن بعد بين النجاح والإخفاق؛

لم يكن أمر الانخراط في عملية التعليم عن بعد اختياريا، بل فرض فرضا بعد قرار تعليق الدراسة الحضورية بكل المؤسسات التعليمية الابتدائية والثانوية والجامعية العمومية والخصوصية، ومؤسسات التكوين المهني، ومراكز اللغات التابعة للبعثات الأجنبية، الذي اتخذته وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي ابتداء من يوم الاثنين 26 مارس 2020، باعتباره أسلوبا احترازيا لحماية الموظفين والأساتذة والتلاميذ وذوهم من مرض كورونا

¹. جريدة بيان اليوم، العدد 6635، بتاريخ 2012/15/12، ص 2

². دستور 2011، الباب الثاني (الحريات والحقوق الأساسية)، الفصل 31

المستجد (كوفيد 19) الذي صنفته منظمة الصحة العالمية جائحة عالمية.

القرار كان مفاجئاً للجميع، ولم يكن الوقت يسمح للإعداد القبلي وتأطير هيئة التدريس التي ستباشر عملية التعليم عن بعد كبديل مؤقت للتعليم الحضوري المعتاد، من خلال تقديم المضامين الرقمية للمتمدرسين ومواكبتهم وتقويم تعلماتهم عن بعد. الأمر الذي خلق نوعاً من الارتباك في العملية برمتها لدى كل الأطراف المعنية من أطر إدارية وتربوية وتلاميذ وأولياء أمورهم.

الآن، بعدما أوشكت عملية التعليم عن بعد على الانتهاء، لابد من وقفة تأمل لرصد جوانب نجاح هذه التجربة وجوانب إخفاقها. وسأركز -في هذا المقال- على السلوكين الابتدائي والثانوي، دون الجامعي ومراكز التكوين.

تضاربت آراء المسؤولين والمتابعين والمهتمين بالشأن التربوي في بلدنا حول تقييم التجربة ومدى نجاح خطة وزارة التربية الوطنية المنتهجة لضمان الاستمرارية البيداغوجية بعد الإغلاق الاضطراري للمؤسسات التعليمية العمومية والخصوصية ومراكز التكوين، كخطوة احترازية لضمان الأمن الصحي للمتمدرسين وذويهم.

فوزير التربية الوطنية صرح أكثر من مرة أن مجهودات الوزارة أنت أكلها، وأن نسبة الاستفادة من عملية التعليم عن بعد كانت مشرفة.

فابتداء من يوم 16 مارس، قامت وزارة التربية الوطنية بمجهود معتبر لضمان الاستمرارية البيداغوجية من خلال اعتماد منصة TelmidTice كفضاء تربوي يضم

600 محتوى رقمي "تغطي كافة الدروس المبرمجة في المنهاج الخاص بجميع المستويات الدراسية"¹. وفتح القناة الرابعة في وجه المتدرسين، ثم انضافت لاحقا قناتا الأمازيغية والعيون لتغطية جميع المستويات التعليمية الابتدائية والإعدادية والتأهيلية، وخصصت قناة الرياضية للتعليم الجامعي.

ومواكبة لسير عملية التعليم عن بعد، وضعت الوزارة "الخدمة الإلكترونية إنصات" رهن إشارة التلميذات والتلاميذ وأولياء أمورهم لتلقي استفساراتهم واقتراحاتهم.

ولإضفاء الطابع التفاعلي على عملية التعليم عن بعد، أطلقت الوزارة يوم 23 مارس مسطحة Microsoft Teams عبر منظومة Taalim.ma التي مكنت الأساتذة من التواصل المباشر مع تلامذتهم بعد إنشاء أقسام افتراضية انطلاقا من بوابة مسار. هذه المنصة التي أتاحت الفرصة للمتعلمين لمناقشة المضامين المعروضة وتلقي الإجابات على أسئلتهم واستفساراتهم.

ولتخفيف العبء على الأسر الفقيرة والمعوزة، وتحقيق أعلى نسبة من الولوج إلى هذه المنصات التربوية من لدن المتدرسين، أعلنت وزارة التربية الوطنية ووزارة الصناعة والتجارة والاقتصاد الأخضر والرقمي في بلاغ مشترك عن توفير خدمة الولوج المجاني إلى جميع المنصات المتعلقة بالتعليم والتكوين المخصصة من لدن الوزارة المعنية للمتعلمين في مختلف الأسلاك التعليمية.

¹. البلاغ الإخباري لوزارة التربية الوطنية، بتاريخ 20/03/2020

وفي نفس الآن أبدع الأساتذة والأستاذات أساليب أخرى للتواصل مع تلامذتهم باستعمال وسائل التواصل الاجتماعي وبعض التطبيقات المتخصصة في التواصل الحي والمباشر بالصوت والصورة بمجهوداتهم الشخصية وإمكاناتهم المحدودة.

كما أن الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين، والمديريات الإقليمية والمؤسسات التعليمية بأطرها الإدارية والتربوية، تجندت بشكل فعال من أجل إنجاح هذا التحدي الوطني المتمثل في استمرارية الخدمات التربوية وضمان وصولها إلى المتلقين في مختلف مناطق البلاد، من خلال توفير استوديوهات وفضاءات لإنتاج دروس جديدة وتصويرها، لتضاف إلى تلك التي كانت مصورة من قبل، حيث تجاوز عدد الموارد الرقمية المصورة 3000 مورد¹.

أقرت الوزارة المعنية بنجاح التجربة، بناء على الأرقام المسجلة التي تخص:
أ. عدد حصص البث التلفزيوني:

بث القنوات التلفزيونية الوطنية الثلاث (الثقافية والأمازيغية والعيون) حوالي 3127 درسا مصورا خلال مدة حوالي شهرين (من 16 مارس إلى 12 ماي 2020) بمعدل 59 درسا يوميا².

¹. جريدة المساء، العدد 4207، بتاريخ 6-7 يونيو 2020، ص 4

². جلسة الأسئلة الأسبوعية الموجهة لوزير التربية الوطنية.. بمجلس المستشارين حول (حصيلة تجربة

التعليم عن بعد وأفاق استكمال السنة الدراسية)، الثلاثاء 12 ماي 2020

ب. عدد الدروس المدرجة في منصة TelmidTice وعدد مستعملها:

انطلقت المنصة في أول يوم من اعتماد آلية التعليم عن بعد بـ 600 محتوى رقمي، ليتضاعف العدد عشر مرات خلال شهرين، وبلغ عدد الذين يلجون هذه المنصة يوميا حوالي 600 ألف تلميذة وتلميذ، حسب تصريح الوزير أمزازي¹.

ج. عدد الأقسام الافتراضية:

عدد الأقسام الافتراضية المحدثه بالتعليم العمومي عبر "بوابة مسار" تجاوز 725 ألف قسم، بنسبة تغطية بلغت 96%، وبالتعليم الخصوصي بنسبة 70% ليصل بذلك مجموع المستعملين إلى 85 ألف أستاذ و300 ألف تلميذ².

في نفس السياق أشادت السيدة فاطمة وهمي، المديرة المكلفة بالتواصل بوزارة التربية الوطنية بالجهود المبذولة لإنجاح العملية، وذكرت أرقامًا تتعلق بعدد الموارد الرقمية المقدمة وعدد المتصفحين لمنصة تيمس التي سبق ذكرها كمؤشر على النجاح المحقق. وأضافت أن 82% من الأسر المغربية في المجال الحضري تتوفر على الانترنت...³

كما صرح نائب عميد كلية علوم التربية التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط خالد الدرقاوي بأن "الآلية التربوية والتكنولوجية والتقنية التي تم إرساؤها مكنت

¹. نفس المرجع

². نفس المرجع

³. حوار مع قناة Med1 Tv، 2020 /04/30

التلاميذ في وقت قياسي من مواصلة نشاطهم الدراسي في ظروف مواتية..¹.

هل يمكن الإقرار بنجاح تجربة التعليم عن بعد بناء على الخطوات والمبادرات المتتالية التي اتخذتها الوزارة لضمان استمرارية العملية التعليمية بعيدا عن المؤسسات التربوية، وكذا على التصريحات والأرقام المسجلة أعلاه؟

إن الملاحظات التي تم تسجيلها طوال مدة الحجر الصحي خلال أكثر من ثلاثة أشهر الصادرة عن الفاعلين في الميدان التربوي، أو عن النقابات التعليمية، تين أن عملية التعليم عن بعد لم تكن موفقة، ونجاحها كان محدودا، بالرغم مما بذل من جهود. وذلك راجع للأسباب التالية:

أ. ضعف التكوين:

التكوينات التي استفاد منها الأطر التربوية من إداريين وأساتذة ممارسين داخل الفصول الدراسية في إطار مشروع جيني لم تتجاوز بضع حصص، تم التركيز فيها على تعلم حزمة ميكروسوفت أوفيس (البرامج المكتبية) وبصفة أخص (Microsoft Word - Excel - power point)، مع العلم أن هذه التكوينات لم تكن إلزامية. ومن ثم فإن نسبة لا يستهان بها من المدرسين لا إلمام لهم بالمعلومات وما يرتبط بها من عمليات، ولو في حدها الأدنى. الأمر الذي ثبطهم عن الانخراط والإسهام في عملية التعليم عن بعد. كما أن التكوينات المشار إليها أعلاه لا تؤهل المستفيدين منها لإعداد دروس ذات جودة، لما تتطلبه ذلك من تكوين في برمجيات

¹. جريدة بيان اليوم، العدد 9004، بتاريخ 19 ماي 2020

وتطبيقات أخرى. ومع ذلك فإن أغلب السيدات والسادة الأساتذة بذلوا جهودا كبيرة لمسايرة هذه التقنية التربوية الجديدة، وتنفيذ القرارات الوزارية في شأن التعليم عن بعد، فواكبوا تلامذتهم، وقدموا لهم مضامين رقمية بوسائلهم المتاحة مع تفاوت في الجودة، تبعا لإمكاناتهم المادية، ومؤهلاتهم العلمية والمعرفية في هذا المجال.

افتقار جل المديريات الإقليمية إلى استوديوهات مجهزة لإنتاج الدروس المصورة، وهذا ما حرم المدرسين المتمكنين من تقديم مضامين رقمية ذات جودة في الصوت والصورة.

ب. غياب تكافؤ الفرص:

جوابا على أسئلة الصحفيين حول التفاوت الطبقي والاجتماعي الحاصل بين الأسر والذي يخل بمبدأ تكافؤ الفرص، أكد وزير التربية الوطنية أكثر من مرة وفي أكثر من منبر إعلامي، على أن القنوات التلفزية الوطنية (الثقافية والأمازيغية والعيون والرياضية) مكّنت الجميع من الاستفادة من الدروس المتبقية من النصف الثاني من الأسدوس الثاني من السنة الدراسية الحالية، مبرزا أن 97% من الأسر المغربية في المجال الحضري، و91% في المجال القروي تملك أجهزة التلفزة حسب الإحصائيات الأخيرة للمندوبية السامية للتخطيط.

إذا سلمنا بصحة المعطيات التي اعتمدها السيد الوزير، وأن هذه الأسر فعلا تمتلك أجهزة التلفاز. هل هذا مؤشر للإقرار بنجاح عملية التعليم عن بعد؟ هل جهاز تلفاز واحد - إذا كان فعلا في وضعية تسمح بالتقاط القنوات

الفضائية الوطنية- كاف لتلبية حاجيات ثلاثة أطفال (أقل أو أكثر) في أسرة واحدة؟ وهل ظروف الأسرة التي تعيش في غرفة أو اثنتين، مع ضجيج الأطفال الصغار وثرثرة الكبار، تسمح لأبنائها بتلقي الدروس في جو يسمح بالتركيز وحسن التتبع، لاسيما وأن كل أفراد الأسرة مجبرون على المكوث في المنزل امتثالا لقرار الحجر الصحي؟

ثم إن نسبة 82% من الأسر المغربية في المجال الحضري التي تدعي السيدة فاطمة وهي أنها تتوفر على الانترنت، هل يمكن الاعتماد عليها كمؤشر لانخراط هذه الأسر في هذه العملية بشكل إيجابي؟ وهل تصنيف أحياء عريضة من أحزمة البؤس -وسط المدن "الراقية" - تعيش في مساكن عشوائية تفتقر للحد الأدنى من الكرامة الإنسانية، ضمن المجال الحضري تصنيف سليم؟ وهل شاشة الهاتف النقال -إن توفر- تسمح بتتبع الدروس بشكل مريح؟

الواقع المر يكشف أن تلميذات وتلاميذ ينتمون لأسر معوزة تتواجد بهذا الوسط المصنف بالحضري، تعيش في أحياء هامشية بجانب أحياء راقية، لا تملك حواسيب ولا لوحات إلكترونية ولا هواتف ذكية لمسيرة متطلبات التعليم عن بعد. في حين يتابع أقرانهم في الحي المجاور المنتمون لأسر ميسورة تعليمهم -عن بعد- بكل أريحية، وقد توفرت لهم كل الوسائل المطلوبة، من غرف مكيفة ومكاتب مجهزة بحواسيب ولوحات إلكترونية حديثة مرتبطة بالانترنت الفائق السرعة، يتفاعلون ويتحاورون مباشرة مع أساتذتهم وزملائهم في أقسامهم الافتراضية.

أما القرى النائية في أصقاع المملكة، فلا مجال للحديث فيها عن تعليم مُرض

لا عن بعد ولا عن قرب.

الأسر المتوسطة الدخل هي الأخرى عانت، بدرجة أقل من سابقتها، من تلبية حاجات أبنائها، حيث كانت مجبرة على اقتناء حواسيب أو لوحات إلكترونية أو هواتف ذكية، إلى جانب توفير خدمات الانترنت لتمكينهم من مسaire الدروس المقدمة عن بعد بتقنية المجموعات والأقسام الافتراضية، فضلا عن توفير الفضاء المناسب لإنجاح هذه العملية التربوية.

وإذا أجرينا مقارنة بسيطة بين جدية المضامين التربوية المقدمة للتلميذات والتلاميذ، وجودتها في مؤسسات التعليم العمومي ونظرائها في التعليم الخصوصي والمؤسسات التابعة للبعثات الأجنبية، نجد الفرق شاسعا للغاية، بحيث إن جل المؤسسات الخصوصية والبعثات الأجنبية -طوال فترة الحجر الصحي- احترمت الزمن المدرسي وزمن التعلم للمتمدرسين مع تغيير بسيط. كما التزم المدرسون بجداول حصصهم الرسمية، والتحقوا بأقسامهم الافتراضية كما لو أنهم في وضعية عادية. وواكبوا العملية من أولها إلى آخرها، وما زالوا يفعلون، من خلال تقديم الدروس وفق الجدولة الزمنية المعتمدة، وتسجيل الحضور والمواظبة، وتصحيح الفروض والتمارين...

أما المدرسون في القطاع العام فلم يلزمهم أحد بشيء، لسبب بسيط هو كونهم -في الغالب- لا يملكون وسائل وتجهيزات معلوماتية، ولا يتوفرون على مؤهلات علمية وتقنية لتوظيف البرمجيات والتطبيقات المخصصة للتعليم عن بعد، لذلك كان انخراط المدرسين اختياريا وتطوعيا. وإسهامهم في العملية كانت -في

معظمها- ارتجالية تفتقر إلى الحد الأدنى من الجودة. كما أن تلامذتهم لم يأخذوا الأمر على محمل الجد، فكان بعضهم يتهكم على الأستاذ(ة) أثناء تقديمه لدرسه عن بعد، ويطلق عبارات استفزازية غير لائقة¹، ويشاغب "شغبا افتراضيا"، خاصة أولئك الذين اعتادوا على مثل هذه السلوكيات داخل فصولهم الدراسية، وقد زادت جرأتهم حين اختبأوا وراء شاشة الحاسوب أو الهاتف المحمول، وهم يحملون أسماء مستعارة.

ثم إن مسطحة Microsoft Team التي أعلن عنها -أواخر شهر مارس- منصة تفاعلية مفتوحة للمدرسات والمدرسين والتلميذات والتلاميذ بكل الأسلاك التعليمية، تُقدم عبرها دروس تفاعلية بالصوت والصورة، في أقسام افتراضية، لم تؤد دورها المأمول بالرغم من أن عدد مستعملي هذه الخدمة من التلاميذ إلى غاية فاتح أبريل 2020، بلغ مائة ألف مستعمل نشيط حسب وزارة التربية الوطنية².

هذه التقنية لم تُستغل بالشكل المطلوب بسبب عدم تمكن المتدربين من ولوجها، إما لعدم امتلاكهم للمعدات اللازمة من وسائل التواصل الحديثة، أو لعدم توفرهم على القن السري لمنظومة مسار الذي توفره المؤسسات التعليمية، وصعوبة استرجاعه عبر بوابة "المتدريس Moutamadris". ولما كان التوقف الدراسي اضطراريا ومفاجئا، والحجر الصحي ساري المفعول على الجميع، فإن ذلك حال دون توصل العديد من التلاميذ بهذا القن بطريقة مباشرة.

¹. أوردت إذاعة (MFM) نماذج من هذه العبارات في أحد برامجها الحوارية التي استضافت فيه الأستاذ

كريم المزدي

². جريدة المساء، العدد 4207 ليوم 2020/6/7

فإذا تأملنا وضعية المنظومة التعليمية في بلادنا انطلاقاً من هذه التجربة التي نحن بصدد الحديث عنها، نجدها تسير بثلاث سرعات:

المؤسسات التابعة للبعث الأجنبية تسير بسرعة TGV، ومؤسسات التعليم الخصوصي بسرعة القطار السريع (المكوكي)، ومؤسسات التعليم العام بسرعة القطار العادي البطيء..

وإذا توقفنا عند آراء بعض الأطراف الأخرى ذات الصلة بالموضوع وأحكامهم، سنجدها -في معظمها- تُجمع على أن الحصيلة المسجلة كانت هزيلة أو متواضعة، وأنها لم تحقق الأهداف المرجوة، وهذه بعضها:

أ. النقابات التعليمية:

صرح الكاتب العام للنقابة الوطنية للتعليم، بأن ثلث التلاميذ فقط هم من تمكنوا من الدراسة عن بعد بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأسر المغربية¹. معنى ذلك أن أكثر من 60% من التلاميذ حُرِّموا من الاستفادة من هذه الخدمة. وفي الاتجاه نفسه سار زميله، كاتب عام الجامعة الوطنية للتعليم، حين أكد أن التعليم عن بعد لم يحقق ما كان منتظراً منه².

ب. المندوبية السامية للتخطيط:

حسب إحصائيات المندوبية السامية للتخطيط، فإن نسبة انتظام متابعة الدروس عن بعد من طرف تلميذات وتلاميذ المؤسسات التعليمية المغربية خلال

¹. جريدة أخبار اليوم، العدد 3191 ليوم 2020/5/14، ص 5

². نفس المرجع.

فترة الحجر الصحي لا تتجاوز 48% في السلك الابتدائي، و51% في السلك الإعدادي، و69% في السلك الثانوي، وتتم هذه المتابعة عبر الوسائل أو القنوات المبينة في الجدول أسفله¹:

القناة الرئيسية لمتابعة الدروس عن بعد حسب سلك التعليم

الثانوي	الإعدادي	الابتدائي	
11,1%	28,8%	39,1%	القنوات التلفزيونية الوطنية
29,8%	19,9%	8,8%	المنصات الرقمية التي أنشأتها وزارة التربية الوطنية
4,1%	2,8%	5,1%	المنصات الرقمية التي أنشأتها المؤسسات الخاصة
6,3%	2,8%	3,1%	المواقع الإلكترونية
46,0%	43,8%	40,1%	الشبكات الاجتماعية (المجموعات التواصلية)
1,4%	1,2%	0,9%	الولوج المفتوح للفيديوهات التربوية عبر الإنترنت
1,4%	0,8%	2,9%	طرق أخرى
100%	100%	100%	المجموع

يتبين من هذا الجدول أن الأغلبية الساحقة من التلاميذ يعتمدون في متابعة دروسهم عن بعد على وسيلتين اثنتين: القنوات التلفزيونية الوطنية وشبكات التواصل الاجتماعي، بنسبة 79.2% في السلك الابتدائي، و72.6% في السلك الإعدادي، وبنسبة أقل في التعليم الثانوي التأهيلي 57.1%. وهما وسيلتان أقل أهمية وفعالية من المنصات الرقمية، والتفاعلية منها بصفة خاصة.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف -المشار إليها أعلاه- التي تتم فيها عملية

¹. بحث المندوبية السامية للتخطيط المنجز في الفترة الممتدة ما بين 14 و23 أبريل 2020 شمل عينة مكونة من 2350 أسرة حول تأثير فيروس كورونا على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر، ص 19-

التعليم عن بعد لدى معظم الأسر المغربية، أدركنا نسبة الاستفادة ونوعيتها. وأشارت المندوبية السامية للتخطيط إلى الرضا المتواضع الذي عبرت عنه الأسر المغربية تجاه قنوات التكوين عن بعد، بحيث إن سبع أسر من بين عشرة أي 70% غير راضين على الإطلاق، أو راضون بشكل متوسط¹.

ج. الأساتذة الجامعيون والطلبة:

في دراسة أنجزها أساتذة جامعيون شملت 1340 طالبا، عبّر 10% فقط منهم عن ارتياحهم للنتائج التي حققها التعليم عن بعد في فترة الحجر الصحي، مقابل 79% عبّروا عن عدم رضاهم. في حين أقر أكثر من 64% من الأساتذة بفعالية العملية التعليمية عن بعد.. كما عدّ 78% منهم مشكل الاتصال بالإنترنت أحد المعوقات التي عانى منها التعليم عن بعد، واصطدم بها الطلبة تحديدا².

IV- تقويم مديرات ومديري المؤسسات التعليمية لعملية التعليم عن بعد

عبر السادة والسيدات مديرو ومديرات المؤسسات التعليمية العمومية بالمغرب عن مدى نجاح تجربة التعليم عن بعد - في إطار بحث أنجزه كاتب هذه المقالة - عبر استمارة تقويمية شاملة، شارك في تعبئتها خمسة وستون (65) مديرا ينتمون لأربع عشرة مديرية إقليمية تابعة لخمس أكاديميات جهوية (الرباط سلا القنيطرة - طنجة تطوان الحسيمة - فاس مكناس - الشرق - درعة تافيلالت).

¹. نفس المرجع.

². جريدة بيان اليوم، العدد 6635، ص 2

تنتمي العينة التمثيلية لأوساط مختلفة: حضرية وشبه حضرية وقروية بالنسب

التالية:

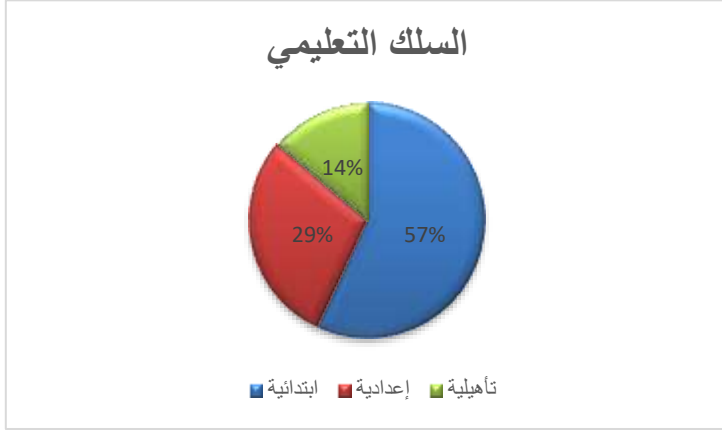


نتائج البحث تعطي صورة واضحة عن حقيقة نجاح التجربة من عدمها، لأن رؤساء المؤسسات التعليمية أكثر المعنيين بعملية التعليم عن بعد، بالنظر إلى احتكاكهم بالأطر التربوية وبالمتعلمين وأولياء أمورهم، وهم صلة وصل بين الجهات الرسمية التي تصدر القرارات وبين المباشرين للعملية التعليمية، وهم الساهرون على تنزيلها وحسن تنفيذها على أرض الواقع.

فاستنتاجاتهم نابعة من داخل المنظومة وليس من خارجها، إذ عايشوا التجربة منذ انطلاقتها، وواكبوها خطوة خطوة، ودعموها رفقة طواقمهم التربوية بكل تفان.

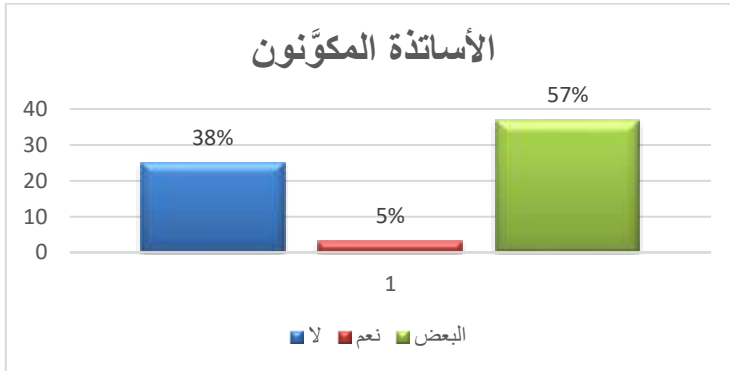
البحث شمل الأسلاك التعليمية الثلاثة الابتدائي بنسبة 57% والثانوي

الإعدادي بنسبة 29% والثانوي التأهيلي بنسبة 14%

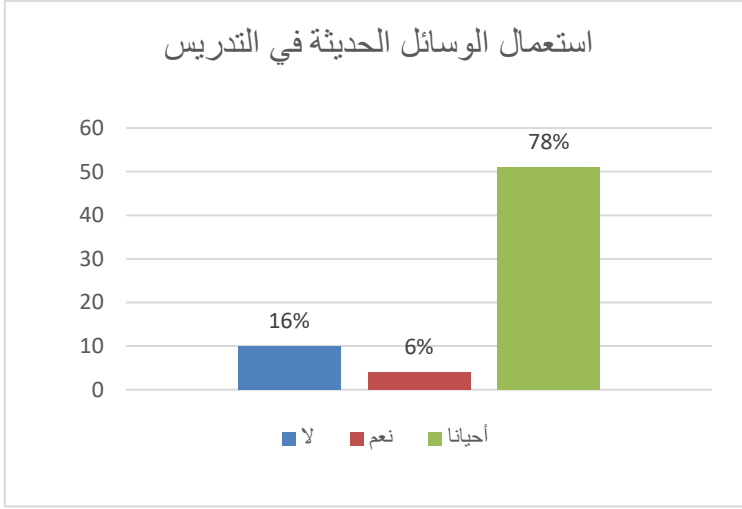


تحتضن المؤسسات التعليمية المعنية 1446 أستاذا وأستاذة و39042 تلميذا وتلميذة.

جوابا عن سؤال يخص عدد الأساتذة المستفيدين من تكوينات لها علاقة بميدان استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجال التربوي خلال السنوات الثلاثة الأخيرة، والتي تسهر عليها مديرية مشروع جيني بوزارة التربية الوطنية، صرح السادة المديرون أن 5% فقط من المؤسسات المعنية استفاد جميع أساتذتها من التكوين، بينما 38% من المؤسسات لم يستفد أي أستاذ فيها من التكوين، وأكثر من نصف هذه المؤسسات التعليمية خضع بعض أساتذتها للتكوين.



فيما يتعلق بالسيدات والسادة الأساتذة المداومين على استعمال الوسائل المعلوماتية الحديثة في التدريس داخل الفصول الدراسية، فإن عددهم لا يتجاوز 6%، و16% منهم لا يوظفون هذه الوسائل في العملية التعليمية إطلاقاً، أما 78% فيستعملونها أحياناً.



تجدر الإشارة إلى أن نسبة لا يستهان بها من هؤلاء الأساتذة يستعملون عتادهم المعلوماتي الشخصي في العملية التعليمية داخل فصولهم الدراسية، ويخضعون لتكوينات في مراكز متخصصة على نفقاتهم الخاصة.

* عدد الأساتذة المنخرطين في عملية التعليم عن بعد من العدد أعلاه بلغ

1072 بالنسب التالية:

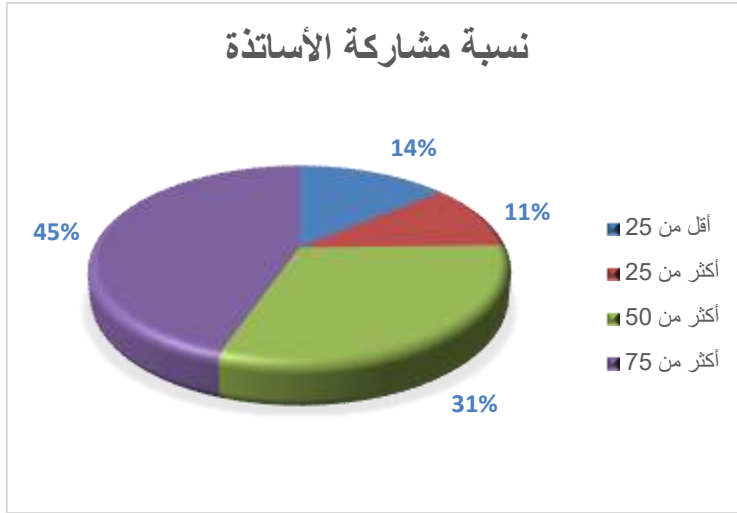
154 منهم كانت مشاركتهم أقل من 25%

109 منهم تجاوزت مشاركتهم نسبة 25%

328 منهم تجاوزت مشاركتهم نسبة 50%

481 منهم تجاوزت مشاركتهم نسبة 75%

بالرغم من أن الانخراط في عملية التعليم عن بعد كانت تطوعية، وبالرغم من أن المعارف التي يمتلكها أغلب الأساتذة في المجال المعلوماتي محدودة للغاية، والتجهيزات التقنية متواضعة، فإن ما يقرب من نصف العينة أعلاه أسهموا بنسبة كبيرة من الدروس التي قدمت للمتعلمين في فترة الحجر الصحي تجاوزت 75%.



* وسائل التواصل المستعملة في عملية التعليم عن بعد:

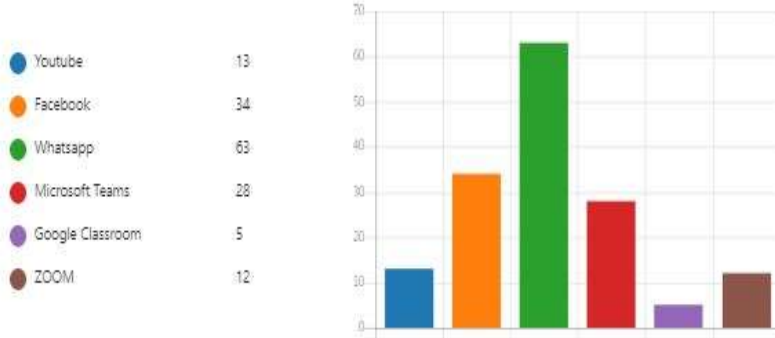
إذا صنفنا وسائل التواصل الإلكترونية المستعملة في التعليم عن بعد من طرف الأساتذة وفق العينة المعتمدة، نجد تقنية الواتساب (Whatsapp) في الدرجة الأولى بنسبة 40.6% متبوعة بالفيس بوك (Facebook) بنسبة 22%، وهذه هي أكثر مواقع التواصل الاجتماعي شعبية وأكثرها تداولاً بين الأسر، ولا تتطلب معرفة خاصة للتواصل عبرها، في حين نلاحظ أن البرامج المتخصصة في تقديم الدروس والعروض التفاعلية مثل ميكروسوفت تيمس (Microsoft Teams) وزووم (Zoom) وجوجل كلاسروم (Google Classroom) مجتمعة لا تمثل سوى 29%.

إن التطبيقات المتخصصة المشار إليها آنفاً، تساعد على ضبط حضور التلاميذ

واستثمار مشاركاتهم... أما وسائل التواصل الاجتماعي "الشعبية" فيستغلها بعض المتعلمين لإثارة البلبلة والشغب والتأثير السلبي على بقية المتعلمين، لاسيما من يحمل منهم أسماء مستعارة كأقنعة يغطون بها وجوههم لتمرير سلوكياتهم المشينة.

9. وسائل التواصل المستعملة في التعليم عن بعد

[Plus de détails](#)



* عدد التلاميذ المنخرطين في عملية التعليم عن بعد:

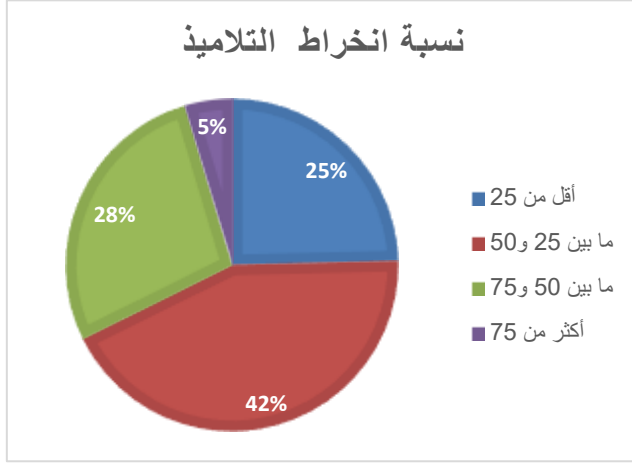
عكس الأساتذة الذين انخرطوا تلقائياً - بنسبة 45% - في عملية التعليم عن بعد وقدموا أكثر من 75% من الدروس، نجد التلاميذ الذين اهتموا بالعملية وتابعوا أكثر من 75% من الدروس لا تتجاوز 5%، بمعنى أن الأغلبية غير مهتمة بالأمر، بحيث لا يتجاوز عدد من تابعوا نصف الدروس المقدمة من طرف أساتذتهم 32%، هذا بغض النظر عن جودة الدروس والمضامين التربوية المقدمة.

9612 تلميذا انخرطوا بنسبة أقل من 25%

16818 انخرطوا بنسبة تتراوح ما بين 25% و 50%

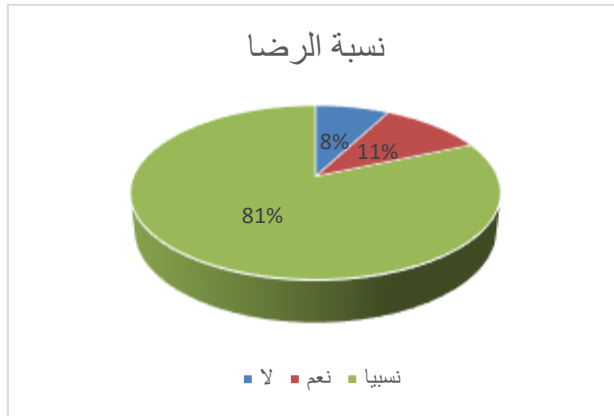
10811 انخرطوا بنسبة تتراوح ما بين 50% و 75%

1801 انخرطوا بنسبة تجاوزت 75%



أما عن طبيعة المواد والمضامين الرقمية المقدمة للمتعلمين وجدية تجاوبهم معها، والسير العام للعملية، فقد عبر 11% من المديرين عن رضاهم التام، في حين عبر 81% منهم عن رضاهم النسبي، أما 8% فغير راضين إطلاقاً عن العملية.

هذه الأحكام مستقاة من المتابعة اليومية للسيدات والسادة المديرين لسير عملية التعليم عن بعد من خلال الاستمارة الإلكترونية التي يعبئونها يومياً أو أسبوعياً حسب المديرية الإقليمية، والتي تتضمن عدد الكبسولات التربوية المنتجة ونوعها، وعدد الأقسام الافتراضية المفعلة، وعدد التلاميذ المستفيدين...





الحصيلة اليومية لخطة الإستمرارية البيداغوجية المرتكزة على "التعلم عن بعد"

المؤسسة :

التاريخ :

ملاحظات و اقتراحات	عدد التلاميذ المستفيدين	عدد المجموعات الصفية المعدّنة	عدد الأقسام الإقراضية المفعلة	وسائل التواصل المستعملة						موارد أخرى منتجة	في حالة تسجيل فيديو عبر يوتيوب المرجوكتابة الرابط	عدد الفيديوهات المسجلة	عدد الكبسولات التي تم التاجها Powerpoint Audio	خطة الإستمرارية البيداغوجية		
				Zoom	Google Classroom	Mikrosot Teams	Whatsapp	facebook	Youtube					المادة	الأستاذ(ة)	
	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	المجموع	

نموذج لاستمارة معتمدة في إحدى المديرية الإقليمية بجهة الرباط سلا القنيطرة

V- خاتمة

إن تجربة التعليم عن بعد التي خضناها طوال الأشهر الثلاثة الماضية، ينبغي أخذ العبر منها، لتغيير نظرتنا لهذا النوع من التعليم الذي فرض نفسه على العالم أوله وثالثه، واعتماده تعليماً مكملاً داخل الفصول الدراسية، وتعليماً بديلاً في العالم القروي خلال فترات معينة، حين تتسبب الفيضانات والثلوج في عزل قرى وجماعات بكاملها، وتحول دون التحاق آلاف التلميذات والتلاميذ بفصولهم الدراسية، مع تمكينهم من اللوحات الإلكترونية التي تضم المقررات الدراسية، وتوفير الأنترنت عبر خدمات السواتل الفضائية، وهذا ما أكد عليه الوزير الأسبق محمد الوفا حين قال: "إن تعميم تقنيات المعلومات الحديثة سيسهم في إخراج المناطق القروية، الجبلية منها وبالأخص النائية من عزلتها، بل سيسهم في ضمان الإنصاف وتكافؤ الفرص بين جميع التلميذات والتلاميذ في الولوج لخدمات التربية والتكوين"¹(41). أما التعليم عن بعد بالشكل الذي قدمته بلادنا خلال هذه المدة فإنه "لا يسعف في حل مشاكل إلا من لا مشاكل له، أي أولئك التلاميذ الذين يرغبون في التعلم فعلاً، ويتمتعون بقدر من الاستقلالية، ويعيشون في كنف أسري مؤات" على حد تعبير الخبير التربوي الفرنسي فيليب ميريو Philippe Meirieu².

كما ينبغي تجهيز المؤسسات التعليمية بتقنيات الإعلام والتواصل الحديثة

¹. جريدة بيان اليوم، العدد 6635، ص 2

². حوار مع الخبير التربوي الفرنسي فيليب ميريو، ترجمة عبد السلام يوسف، بتاريخ 2020/06/05،

موقع: <https://couua.com>

والعدة البيداغوجية الرقمية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الكثير من التجهيزات المعلوماتية التي تتوفر عليها بعض المؤسسات التعليمية في إطار مشروع جيني، صار متجاوزا، ولا يتلاءم مع أنظمة التشغيل والبرمجيات الحالية، وبعضها أصبح متهالكا، ولم يعد صالحا للاستعمال.

كما ينبغي الحرص على تكوين الأطر التربوية تكوينا حقيقيا في مجال إنتاج المضامين الرقمية، وتسهيل عملية امتلاكهم وسائل العمل الضرورية، وتعميم مادة المعلومات على كافة الثانويات الإعدادية والتأهيلية، وإدراج مضامين ذات صلة بالتعليم عن بعد ضمن مقررات التعليم الابتدائي.

إن تبني التعليم الإلكتروني في المدارس الوطنية كداعم للتعليم التقليدي، واعتماد التعليم عن بعد في ظروف معينة لم يعد أمرا اختياريا، بل أصبح ضرورة ملحة فرضتها الثورة التكنولوجية الحديثة. فالأساليب التقليدية السائدة في مؤسساتنا التعليمية لم تعد تثير اهتمام متعلمينا لمزيد من الرغبة في التحصيل العلمي والمعرفي. والمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي "يقدر أنه من الصعب تفادي "الثورة الرقمية" وإدارة الظهر لها في منظومة التربية والتكوين، وإلا كان الثمن هو حرمان الأجيال الشابة من مفتاح النجاح والاندماج في لعالم"¹.

ولا شك في أن إدماج التقنيات الإلكترونية التفاعلية في العملية التعليمية التعلمية داخل الفصول الدراسية، سيمكن المتعلمين من التجاوب والاهتمام

¹. المدرسة التكنولوجية الجديدة والرهنات الثقافية، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،

والاستيعاب أكثر للمضامين التربوية المقدمة، ويعددهم للمدرسة المستقبلية التي ستكون لا محالة مختلفة عن المدرسة التقليدية الحالية.

إن كثيرا من الباحثين يؤكدون أهمية الصورة والتفاعل... في سرعة الإدراك والفهم والاستيعاب، إذ يشير ويليام جلاسر إلى أن "الإنسان يتعلم 10% مما يقرأه، و20% مما يسمعه، و30% مما يراه، و50% مما يراه ويسمعه، و70% مما يناقشه مع الآخرين، و80% مما يجربه، و95% مما يُعلمه لشخص آخر"¹.

فمتى سنستفيد من تجارب الدول التي قطعت أشواطاً في اعتماد التعليم عن بعد، ونأخذ الأمر بكل جدية، لاسيما في المناطق التي يتعذر على أطفالها وشبابها الالتحاق بالمؤسسات التعليمية النظامية بسبب بعد المسافة، أو الظروف المناخية أو حتى بسبب الإعاقة الحس-حركية، فنسهم في تضيق الهوة التعليمية بين سكان الحواضر وسكان البوادي النائية بدل تعميقها بالطريقة المتبعة حالياً؟

¹. سامية عواج، دور مواقع التواصل الاجتماعي في دعم التعليم عن بعد، أعمال المؤتمر الدولي الحادي عشر: التعلم في عصر التكنولوجيا الرقمية/ طرابلس-لبنان، 22-24 أبريل 2016، ص 116.

التعليم الرقمي عن بعد والرهان على تحديث المنهاج الدراسي؛

د. مولاي المصطفى البرجاوي

المدرسة العليا للتربية والتكوين - برشيد
جامعة الحسن الأول - سطات

مقدمة:

يواجه التعليم في عصر العولمة تحديات ومعضلات كبرى تتسم بالحدة والشراسة. ففي ظل ثورة الاتصالات والتدفق المعلوماتي، وسيادة ثقافة الصورة عبر شبكة الإنترنت، أصبح التعليم المدرسي مطالبا بالدفاع عن وجوده الشرعي، وبخاصة بعد أن تعالت الصيحات والدعوات لاعتماد التعليم خارج أسوار المدارس. ولا يقف الأمر عند حدود دفاع التعليم عن كيانه التربوي المؤسساتي، وإنما يتجاوزه إلى إبراز دوره في تأكيد الشخصية والهوية الوطنية، ودعم مفهوم الانتماء في عصر الاختراق الثقافي، وتطوير قدرات المتعلمين وتنمية مهاراتهم، وتزويدهم بأفضل الأساليب لتلقي المعلومات وتنظيمها واستغلالها الاستغلال الأمثل، بما يفيد في تقدم ورفاهية الفرد والمجتمع على السواء¹.

إن مستقبل التعليم، في خضم عالم متغير، يتأثر، بشكل كبير، بتكنولوجيا المعلومات. وبالقدر نفسه، سيتأثر بطرائق توظيف التكنولوجيا من لدن المدرسين والمتعلمين أنفسهم، من أجل الإعداد لتعلم مستديم قصد مواجهة التغير المستمر والمتسارع. فنحن نعيش في عالم متغير في جميع مناحي الحياة، وخصوصا من ناحية

¹- مجدي عزيز ابراهيم، 2002، منطلقات المنهج التربوي في مجتمع المعرفة، عالم الكتب، الطبعة الأولى،

تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (TIC)، حيث يعتقد أن المعلومات تتضاعف كل سنتين على الأقل في العالم بأسره.¹ مما يجعلنا نتساءل، ما القيمة المضافة للبعد الرقمي في تغيير وتجديد المنهاج الدراسي؟

أولاً: التعليم الرقمي عن بعد: المسار التاريخي والرهان البيداغوجي والاجتماعي؛

1- التعليم الرقمي عن بعد في مقابل التعليم الحضوري: انفصال أم اتصال؟!

يشير "التعليم عن بعد" إلى صيغة من العلاقة التربوية بين المدرس والمتعلم أو بين المتعلم والمؤسسة، وهي الصيغة غير المباشرة؛ إذ يكون المتعلم، في ظل التعليم عن بعد، منفصلاً جسدياً ومكانياً عن المدرس في كل صيغته؛ ولكنه من جهة أخرى، فهو في اتصال ثنائي (المؤسسة-المتعلم) غير مباشر؛ كما يشير المصطلح من جهة أخرى إلى تحديد دور المدرس أو المؤسسة إلى تصميم وإعداد مواد التعلم الذاتي، وتهيئة الظروف والوسائط التربوية التقليدية منها والتكنولوجية عن بعد.²

يقوم التعليم عن بعد على مرونة كل من المكان، والتوقيت، والمنهج الجيد المشترك بين المدرسين والمتعلمين، من أجل رسم الأهداف والأنشطة التعليمية-التعلمية. ومع ذلك، فنظام "التعليم عن بعد"، لا يختلف عن النظام المدرسي الحضوري في محتوى المنهاج الدراسي، أو في مضمون المهارات ومقاصد التربية، وإنما يختلف عنه في توظيف التكنولوجيات الحديثة في مساعدة المتعلم على التعلم الذاتي.

¹ - سعادة عبد الرحيم خليل، 2013، توجهات معاصرة في التربية والتعليم، مجد المؤسسات الجامعية

للدراستات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ص 27

² - العربي فرحاتي، التعلم الذاتي وتكنولوجيا التعليم والمعلوماتية، مجلة عالم التربية، العدد 19، السنة

2010، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 488

ويمكن تعريف " التعليم عن بعد " بأنه ذلك النوع من التعليم الذي يكون فيه المدرس (أو المؤسسة التعليمية التي تقدم التعليم) بعيداً عن المتعلم مكانياً أو زمانياً أو هما معا. ويستتبع ذلك، أنه يكون من الضروري استخدام وسائط اتصال متعددة من مواد مطبوعة، ومسموعة، ومرئية، وغيرها من الوسائط الإلكترونية...

خصائص ومؤشرات للمقارنة		أنواع التعليم
التعليم في أزمته وأمكنة محددة	التعليم في الزمن والمكان نفسه	التعليم الحضوري L'enseignement en présentiel
التعليم الذي يتجه نحو دعم المتعلمين، أو اعتماد صيغ التفويج لتحقيق التعلم الفعال؛ مما يؤدي إلى اختلاف زمن التعلم في أماكن محددة.	التعليم الذي يلتقي فيه المدرس والمتعلمين في الفصل الدراسي، من خلال التشديد على الحضور الجسدي، تحقيقا للغاية البيداغوجية من التفاعل المباشر.	
التعليم غير المتزامن	التعليم المتزامن	التعليم عن بعد L'enseignement à distance
التعليم الذي يتم في أزمته وأمكنة مختلفة من خلال وضع دروس وكبسولات ووثائق في المنصة الإلكترونية تتضمن مهام للإنجاز من قبل المتعلمين.	التعليم الذي يتم في الزمن نفسه مع أماكن مختلفة، وهو التعليم الذي انتشر في جائحة (كورونا)؛ إذ تعذر الحضور إلى الفصول الدراسية، فاستخدمت منصات إلكترونية لتحقيق الاستمرارية البيداغوجية.	
التعليم الإلكتروني التناوبي/ المنحى الدمجي المتزامن	التعليم الإلكتروني التناوبي/ المنحى الدمجي غير المتزامن	التعليم الإلكتروني L'enseignement en ligne (e-learning)
التعليم الذي يوظف فيه المدرس والمتعلم الفصل الدراسي لفترة زمنية، في حين تخصص بقية الحصص الدراسية للتواصل عبر لقاءات افتراضية حية متزامنة، ويمكن توظيف هذه الطريقة في حالة الاكتظاظ أو حالة الطوارئ.	يجمع بين التعليم الحضوري الذي يركز على التعليم الصفوي، والتعليم الإلكتروني غير المتزامن من خلال أنشطة تنجز خارج الفصل الدراسي، لاتمام مجريات الدرس فيما يسمى بالتعلم الذاتي.	

فالتعليم عن بعد، باعتباره نسقاً معقداً، يختلف عن نسق التعليم التقليدي، سواء أكان مدرسياً أم جامعياً، وبذلك فنحن أمام نسق يعمل على تثوير كل قطب من الأقطاب الثلاثة للعملية التعليمية (المتعلم، المدرس، والمؤسسة التعليمية)، وكذا العلاقة المقامة بين هذه الأقطاب. فالعلاقة بين الشائني (المدرس والمتعلم/ الطالب) هي علاقة مركزية ومحورية في التعليم التقليدي (الحضوري)؛ غير أنها تتجاوز في التعليم عن بعد من خلال علاقة متميزة جديدة هي علاقة المتعلم (L'apprenant) بالمؤسسة المستندة على طرائق ديداكتيكية تسهل تعلم الطالب.

وفي السياق نفسه، يرى أحد الباحثين أنه إذا كان التعليم الإلكتروني نوعاً من أنواع التعليم عن بعد، فهو يختلف عنه من حيث طبيعة العملية التربوية، والمضمون، والمنهجية، والتقييم. فالفرق الأساس بين التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني يكمن في أن دور المتعلم في الأول - يبقى سلبياً، إذ يتلقى المعلومات دون أن يشارك في الدرس أو يتفاعل مع المادة التعليمية، أما في التعليم الإلكتروني،¹ فإنه يشارك ويتفاعل ويساهم انطلاقاً من المادة الدراسية.

فنحن أمام نسق تعليمي يقر علاقات جديدة بين التعليم والتعلم، وهذا ما عبر عنه "هنري" (Henri)² حينما ذهب إلى أن التعليم عن بعد يفرض تحولاً جذرياً للممارسات والطرائق البيداغوجية الديداكتيكية من أجل تجاوز بعد الطالب/ المتعلم وعزلته، الشيء الذي ترتب عنه تحول عميق في الأدوار والمهام المخصصة

¹ - القاسمي علي، 2002، الجامعة والتنمية، سلسلة المعرفة للجميع، العدد 27، منشور رسمي، مطبعة

النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 131

² - Henri, F. (2017). *Ingénierie pédagogique des MOOC, Autodirection et instrumentation de l'apprentissage*. Communication, Rencontres Internationales du Réseau de recherche en éducation et en formation, CNAM, Paris 4. [En ligne] <https://r-libre.telug.ca/1588/>

للمدرسين كما هي الحال في المقاربة البيداغوجية القائمة على التعليم الذاتي (Autoapprentissage).

2- المسار التاريخي للتعليم عن بعد:

التعليم عن بعد له تاريخ طويل بدأ في جامعة لندن، في القرن التاسع عشر، مع دورات بالمراسلة للمواطنين البريطانيين المقيمين على أطراف الإمبراطورية، والذين لم يتمكنوا من التسجيل في الجامعة التقليدية (l'université traditionnelle). ويقدم "بيرايا" (Peraya) ثلاثة معالم كرونولوجية كبرى في تاريخ "التعليم عن بعد"، نذكرها هنا باختصار¹:

1-2- اختراع المطبعة (L'imprimerie): شكلت منطلقاً لبداية "التعليم عن بعد" من خلال دروس المرسله بالبريد. وكان الجهاز قائماً على تقنيات الكتب والطباعة: النص المكتوب ودعاماته المختلفة (الصور الفوتوغرافية، الرسوم البيانية، الرسوم، الخطاطات، الخرائط...).

2-2- منذ ستينيات القرن الماضي، بدأ عصر الوسائط المتعددة، الذي تميز باستخدام وسائل مختلفة (مطبوعة، راديو، تليفزيون، فيديو) وهي في الأصل وسائل مكتملة بهدف تربوي مشترك. وعلى الرغم من استخدام البرمجة التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية منذ النصف الأول من القرن العشرين (حوالي 1920 للراديو و1950 للتلفزيون)، فقد أصبحت هذه الوسائل مجرد مكونات منتظمة

¹- PERAYA, D. *La formation à distance: un dispositif de formation et de communication médiatisées. Une approche des processus de médiatisation et de médiation, TICE et développement*, N° 1, [en Ligne], novembre 2005, Disponible sur: <http://www.revuetice.info/document.php?id=520>, [consulté le 18 septembre 2020]

لدورات التعليم عن بعد منذ عام 1970، عندما انتشرت أجهزة التلفاز. وفي هذا الوقت، أصبحت المؤتمرات الصوتية (l'audioconférence) أكثر شيوعاً في العديد من الجامعات.

3-2- في نهاية الثمانينيات، مكّن التقدم في الحواسيب الصغيرة وتكنولوجيا الاتصالات من إحداث ثورة في التعليم عن بعد. في الواقع، ظهر نوعان جديداً من التكنولوجيا: الوسائط المتعددة وتكنولوجيا الاتصالات. إذ سمح تطور تكنولوجيا الاتصالات للمتعلم بالحوار والتفاعل مع المدرس والمتعلمين الآخرين عن طريق الفيديو (visioconférence)، وعن طريق البريد الإلكتروني، وعبر المنتديات (forums)، وباستخدام الموارد البيداغوجية والديداكتيكية على الويب (les ressources pédagogiques du web)، للتقويم الذاتي عبر الإنترنت (s'auto évaluer en ligne) ...

وهكذا، تم الاشتغال، مع هذه الطفرة التكنولوجية، بالمنصات الإلكترونية (plates-formes) عن بعد، وبالتعليم الجامعي الافتراضي.

رغم هذه الطفرة التاريخية، لم يكن ظهور التعليم عن بعد عبر الإنترنت نتيجة للتكنولوجيات الجديدة فحسب: بل كان، أيضاً، نتيجة جهود متضافرة لإضفاء الطابع الديمقراطي على التعليم. ولسوء الحظ، فإن هذا الازدهار هو، أيضاً، نتيجة المصالح الاقتصادية والسياسية التي لا تتوافق دائماً مع الأهداف المعلنة صراحةً لإمكانية الوصول إلى الدراسات وتسهيل تخرج الطلبة¹.

¹- Fédération nationale des enseignantes et des enseignants du Québec, 2019, L'enseignement à distance: Enjeux pédagogiques, syndicaux et sociétaux , p22

والانطباع الذي يخرج به قارئ تقرير " التعليم ذلك الكنز المكنون"¹ أن التعليم عن بعد منظومة فرعية تدرج في المنظومة التعليمية الكبرى، والحقيقة أنه نسق بديل للمنظومة التقليدية، تطور عبر مراحل متعددة ومتوالية كان آخرها الجامعات المفتوحة مروراً بالتعليم عن طريق المراسلة. هذا النسق هو حصيلة تلك الطفرة التي تحدثنا عنها من التعليم إلى التعلم².

3- الخطوات/ المناهج المتبعة في التعليم الرقمي:

في هذا السياق يقترح بوزيدي العيد ورفائيل كريتان (Raphaëlle Crétin) ثلاثة مناهج³:

1-3- النهج أو الطريقة الإضافية/ التكميلية للتعليم الحضوري

(Démarche additive ou complémentaire):

تنقسم هذه المقاربة، كما هو موضح في الشكل، إلى ثلاث مراحل: عرض وتقديم الدرس، ثم اختيار العناصر التي سيتم وضعها عن بعد، وأخيراً زيارة

¹ - هي الدراسة التي أعدتها اليونسكو سنة 1996، والتي اتخذت مسميات (تقرير اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين) والذي يعرف بتقرير " جاك دولور" (Jacques Delors) والمعنون ب" التعلم ذلك الكنز المكنون، والتي أكدت على " دور التربية الرائد في تقدم المجتمعات ورقبها في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية، وبشكل خاص بناء القدرات البشرية والتنمية الذاتية المستدامة".

² - محمد مصطفى القباج، 2002، التربية والثقافة في زمن العولمة، سلسلة المعرفة للجميع، منشورات

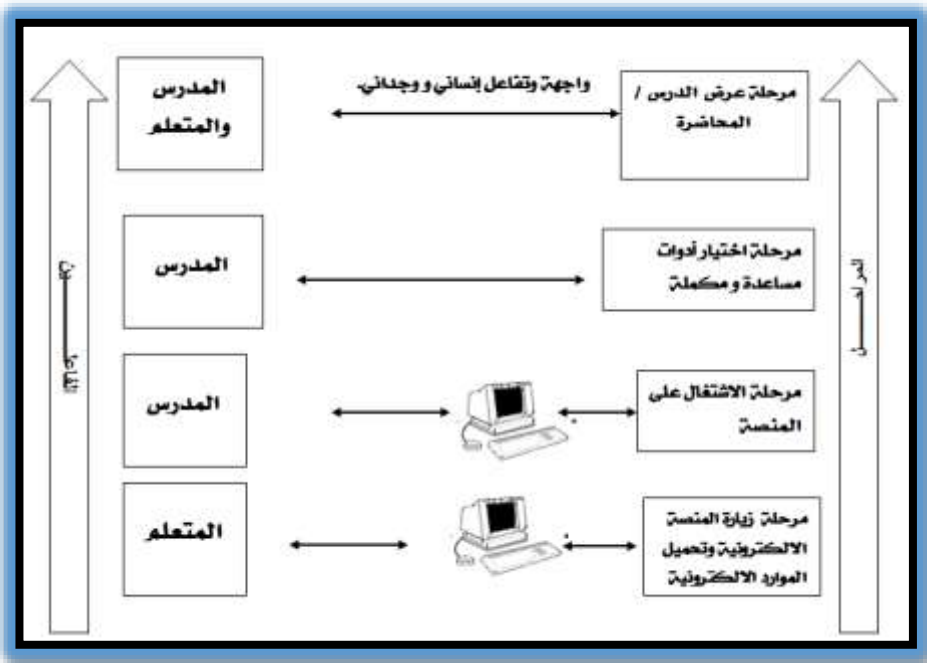
رمسيس، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء، ص 89

³ - Raphaëlle Crétin & Bouzidi Laïd, L'enseignement à distance: proposition de trois démarches, Repéré à <http://www.abhatoo.net.ma/> p

المواقع وتصفحها من قبل مجتمع المتعلمين.

تهدف هذه الخطوة الأولى إلى توفير ملحق "إعلامي" للدورة التدريبية عبر موقع تعليمي. وجهاً لوجه: هذا ما نسميه النهج التكميلي أو الإضافي.

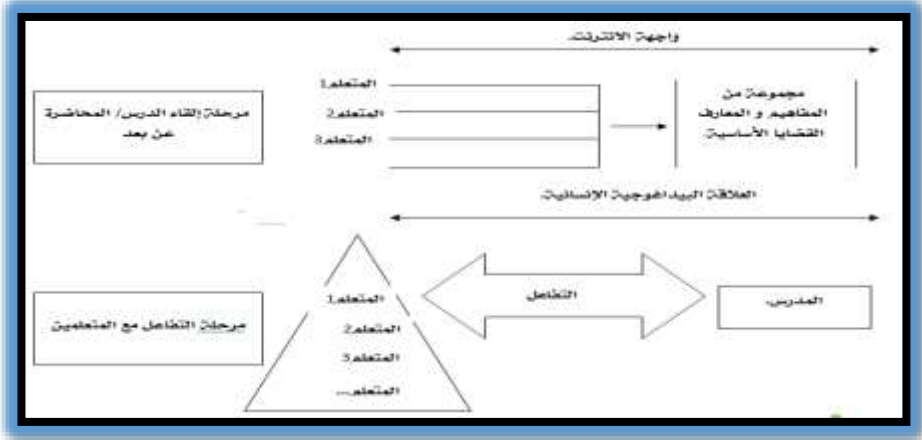
وتسمى الموارد الرقمية المتاحة عناصر تكميلية، وهي أي شيء يمكن أن يساعد المتعلم على استيعاب المعرفة المنقولة وترصيدها خلال الدروس الحضورية. وهي، أيضاً، مرحلة للتعلم بالنسبة للمتعلمين الذين يرغبون في التحقق من صحة ما فهموه أو توسيع مكتسباتهم. وللإشارة لا يمكن للموارد الرقمية بتاتا تعويض التعليم الحضورى لما يطبع التدخل البيداغوجي من عناصر وجدانية تفاعلية بين المدرس والمتعلم. فهي عموماً بيداغوجيا تكميلية.



الشكل رقم 1: الطريقة الإضافية للتعليم الحضورى

2-3- طريقة / نهج المساعدة (Démarche assistée):

هذه المنهجية تجعل المتعلمين في وضع ومنطق التحضير للدروس قبل الدخول إلى الفصل الدراسي، وتمكن هذه الطريقة من المشاركة والانخراط بفعالية بدل التلقي السلبي والاستهلاك المعرفي.



الشكل رقم 2: الطريقة والمنهجية المساعدة

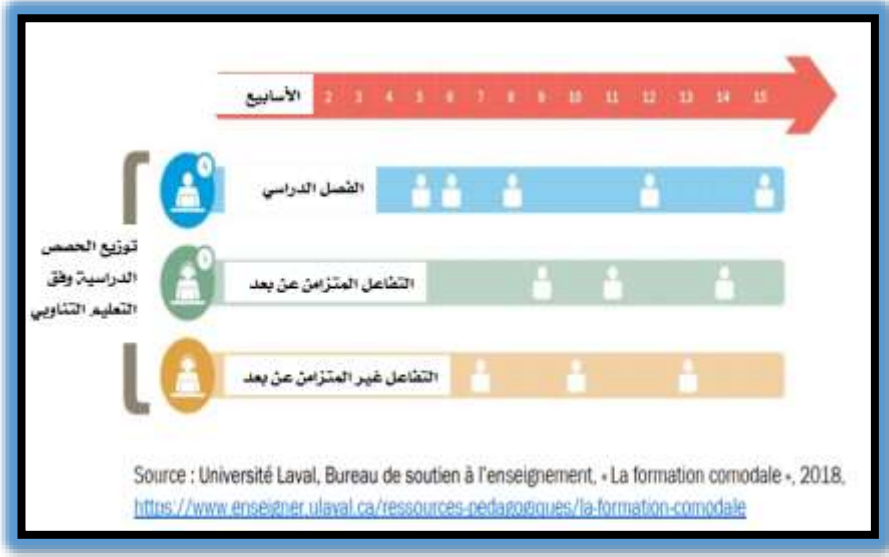
3-3- الطريقة الدمجية / التناوبية Alternance أو الطريقة البديلة

(alternative Démarche):¹

هي طريقة ومنهجية للتدريس تجمع بين مزايا التعليم الحضوري والتعليم الإلكتروني، يشتمل على مجموعة من الوسائط التي يتم تصميمها ليكمل بعضها بعضاً، وبرنامج التعلم المدمج يمكن أن يشتمل على العديد من أدوات التعلم، مثل برمجيات التعلم التعاوني، والمقررات المعتمدة على الأنترنت، ومقررات التعلم

¹ - رمزي أحمد عبد الحي، 2010، التعليم عن بعد في الوطن العربي وتحديات القرن الحادي والعشرين،

الذاتي. وفق برمجة زمنية محددة.



الشكل رقم 3: النمط التعليمي القائم على التناوب والدمج

4- الانتقادات الموجهة للتعليم عن بعد والرقمي: تشاؤما وتفاؤلا

ما من شك هنا، أننا لسنا في سياق رفض التكنولوجيا الرقمية، بل إننا نطمح إلى دمجها بطريقة مسؤولة ومتوازنة في التعليم والتعلم. إذ سيسمح لنا تحليل بعض المبادئ التي تتغيها المقاربات البيداغوجية الحديثة بإدماج استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (TIC) بشكل أفضل في التعليم. ولا يتعلق الأمر، هاهنا، بالنظر إلى الرقمنة من زاوية محبي التكنولوجيا (technophiles) ولا من زاوية معادي التكنولوجيا (technophobes)، ولكن بالنظر إلى "التقنية برؤية نقدية" (techno-critique)، من أجل تحديد الانحرافات المحتملة والمرتبطة بالمبالغة في التوظيف البيداغوجي والديداكتيكي للتكنولوجيا في التعليم. والتفكير في وضع تصور

يناسب تجويد الفعل التعليمي - التعليمي في ضوء المستجدات التكنولوجية:

4-1- أسطورة التكنولوجيا (Mythe de la technologie): تبيين التجارب

في المجال السمعي البصري أو المعلوماتي، أن طريق العودة إلى التكنولوجيا ضمن سياق محدد، خصوصاً إذا كان تربوياً، لا يمكن اعتبارها عصا سحرية لفك طلاسم الاختلالات التي تعيق الفعل البيداغوجي. فتدخل وسائل التكنولوجيا بالمدرسة (أدوات العرض، وسائل سمعية بصرية، حاسوب)، لم يحقق دائماً وعود الانفتاح والفعالية. فالأمر يتعلق، غالباً، بمحتوى ينضاف إلى مقرر مكثف أصلاً (كيف نستخدم الوسيلة؟ وماهي وظيفتها؟)... وعن دور الحاسوب في التعليم، هناك خطاب تشاؤمي يرى " أن الحواسيب لا تقدم للتعلم الشيء الكثير، مثلما لا يمكن للشاحنة التي تزود البقالة بالمواد الغذائية أن تعمل على تحسين تغذية جماعة ما. ف شراء شاحنة لا يعمل على تحسين جودة التغذية، مثلما أن شراء حاسوب لا يعمل على تحسين إنجاز الطالب. فجودة التغذية تنبثق من التلاؤم الجيد بين المواد الغذائية المقدمة وحاجيات الأشخاص. وبطريقة مقارنة، فإن جودة التعلم تنبثق من توازن سليم بين مناهج التعليم وحاجيات الطلبة"¹.

4-2- أسطورة المتعلم المستقل (Mythe de l'étudiant autonome):

يتطلب التعليم عن بعد عموماً درجة أعلى من استقلالية المتعلم/ الطالب مقارنة بالتعليم الحضوري. فالبيداغوجيا التقدمية الجديدة (néo-progressiste)

¹ - مارسيل لوبران، سؤال التكنولوجيا في التربية: من الحاجة إلى الوسائل إلى الحاجة إلى التربية، ضمن كتاب بعنوان "الممارسات البيداغوجية المعاصرة" ترجمة عز الدين الخطابي، منشورات عالم التربية، الطبعة

الأولى 2013، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ص 60

تذهب إلى أن تمرکز التعليم لم يعد منصباً على نقل المعرفة، ولكن على المتعلم الذي يبني تعلماته بنفسه، والذي يُحكّم عليه على أنه مستقل وقادر على التجربة والتعبير المنطقي عن اهتماماته وحاجاته. هذه المقاربة البيداغوجية المبنية على استقلالية المتعلم، تصطدم بمجموعة من الصعوبات، منها تنوع وتأثر التعلم والإدراك عند المتعلمين، كما أن فرضية استقلالية المتعلم لا تستحضر الفرد باعتباره سيورة بناء تاريخي واجتماعي، ويريد أن يكون المشروع الحديث العظيم للتعليم، فهو يرفض أهمية تركيب المعرفة في التعلم ويفتح الباب على مصراعيه المقاربة الزبائنية لإنفاق المستهلك على "التربية"¹.

ونضيف إلى ما سبق، أنه على الرغم من أهمية التفكير في استقلالية المتعلم في بناء تعلماته بنفسه وتطوير مهاراته المعرفية والتكنولوجية، إلا أن هذا المفهوم يتجاهل تلقائياً التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية؛ إذ إن الطفل الذي لديه خلفية أكثر ثراءً، والذي كان لديه إمكانية الوصول إلى موارد متنوعة، ويستفيد من الدعم البيداغوجي، وفي الآن نفسه، قد ترعرع في بيئة محفزة تقدر المدرسة والفضول العلمي، يكون أكثر تجاوباً مع مبدأ استقلالية المتعلم، مقارنة مع الطفل الذي يفتقد إلى خلفية التعلم وينشأ في بيئة هشة اجتماعياً.

3-4 - أسطورة المدرس المواكب (Mythe de l'enseignant)

:(accompagnateur)

أدى توظيف التقنيات البيداغوجية (Les techno pédagogies) في التعليم

¹- Lapan, J. (2007). *Le discours étudiant sur les transformations néolibérales de l'éducation : analyse de contenu du discours de l'ASSÉ, de la FEUQ et de la FECQ.* (Université du Québec à Montréal). p. 42-43 Repéré à <http://studentunion.ca/docs4/Le-discours-etudiant-sur-les-transformationneolibrales-de-l-education-Julien-Lapan.pdf>

عن بعد، إلى تغيير في أدوار المدرسين؛ حيث أصبح من الممكن، في هذا العصر الرقمي، الوصول بسهولة إلى المعلومات والمعرفة. الأمر الذي ترتب عنه تغير في دور المدرسين الذين يجب أن يعملوا من الآن فصاعداً باعتبارهم مدربين ومحفظين وموجهين في رحلة المتعلمين¹.

هذه المقاربة التي تُغلب، في كثير من الأحيان، علم البيداغوجيا على حساب المادة الدراسية، تؤدي إلى تراجع الدور الأساس لنقل المعرفة. وفي الآن نفسه، تراجع السلطة الرمزية للمدرس، بل الأدهى والأمر، يتم تحويل غالبية المدرسين إلى مستهلكين لموارد رقمية جاهزة ينتجها بعض المدرسين لهم خبرة ودراية واسعة بعالم الرقمنة.

4-4- خرافة تكافؤ الفرص (دمقرطة التعليم):

وفقاً لدراسة أجراها أندرسون (Andersen) في العام 2017 على 56000 طالب في 825 مدرسة، تبين أن طرائق التدريس المتمحورة حول الطالب تزيد من التفاوتات الاجتماعية. وقد أظهرت العديد من الدراسات الأخرى أن ما يسمى بالطرق "التقليدية" هي الأقل إعادة إنتاج (les moins reproductrices) وتوليداً لعدم المساواة الاجتماعية، و"تظهر الأبحاث مرة أخرى أن بعض الطرائق المتطورة والحديثة، كانت لها تأثيرات كارثية بل أكثر حرماناً - من تعلم المهارات الأساسية:

¹Gagnon, L. (2018, 15 mai). Le renouveau pédagogique à l'ère du numérique. *SOFAD. Apprendre et réussir*. Blogue. Repéré 5 avril 2019, à https://sofad.qc.ca/index.php?fc=module&module=smartblog&slug=renouveau-pedagogique-ere-num%C3%A9rique&controller=details&id_lang=5

القراءة، والكتابة، والرياضيات على نحو خاص"¹.

وهكذا، فإن مفهوم "المتعلم"، الذي قدم نفسه على أنه أكثر ديمقراطية ومعاداة للنخبوية، يحافظ، على العكس من ذلك، على نخبوية مموهة تعيد إنتاج أو حتى تزيد من عدم المساواة الاجتماعية وتضر بالوصول إلى الدراسات. ومع ذلك، فإن الزيادة في التكنولوجيا الرقمية، يمكن أن تزيد من اتساع هذه الفجوة، لأنها، كما يشير الخبير الاقتصادي الأمريكي "تايلر كوين" (Tyler Cowen) (تؤدي إلى "الجدارة والاستحقاق المفرط" (hyper-méritocratie)؛ أي أن تعمل التكنولوجيا الرقمية على تعزيز الوصول إلى المعرفة بالنسبة للأشخاص الأكثر تحفيظاً وموهبة، وخاصة أولئك الذين لديهم بالفعل رأس مال ثقافي قوي (un fort capital culturel)"².

ويبقى أهم شيء، حسب "فيليب ميريو" (Philippe Meirieu)، هو ضرورة أن يتماهى "إدماج هذه الأدوات [الرقمية] مع الغايات المدرسية من أجل معرفة كيف يمكن أن تساهم في مشاركة جميع المتعلمين ونجاحهم"³.

5- إيجابيات التعليم عن بعد:

وعلى الرغم من هذه الانتقادات الموجهة للتعليم عن بعد، فهو يظل يتمتع

¹- Baillargeon, N. (2005). Les bonnes vieilles méthodes peuvent être progressistes. *ÀBabord! Revue sociale et politique*, (9). Repéré à <https://www.ababord.org/Les-bonnes-vieilles-methodes>

² - Fédération nationale des enseignantes et des enseignants du Québec, 2019, Fédération nationale des enseignantes et des enseignants du Québec, Rapport présenté au conseil fédéral, 35

³Philippe Meirieu, *Les Tice en classe, mode d'emploi*, in Ghislain Dominé, 2015, ESF éditeur

بمجموعة من السمات والمزايا الإيجابية:

أ- **ميزة التنوع:** يحرص التعليم عن بعد على توفير بيئة تعلم متنوعة، وخيارات بيداغوجية مختلفة للمتعلم، إضافة إلى اعتماد المدرس على طرائق ديداكتيكية رقمية متنوعة في عرض المحتوى وأساليب التعليم وآليات التقويم، مما يساعد على مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

ب- **ميزة الجودة:** يسهم التعليم الإلكتروني في تحقيق معايير الجودة في العملية التعليمية- التعلمية، من خلال تمكين المدرس وإكساب المتعلم مجموعة من المهارات التي تساهم في تجويد عمله بإتقان.

ج- **المرونة:** توفر بيئة التعليم على مرونة كبيرة عن طريق توفير تعليم مرن ومفتوح جغرافيا ومكانيا.

6- التعليم عن بعد: الرهان الاجتماعي:

لابد من الإقرار، هنا، بأن التعليم عن بعد موضوع ملغوم لكثرة المتدخلين في معالجته، وهذا مصدر صعوبة تحليله ووصفه، فقد كان يشكل، دائماً، ممارسة مزعجة للنسق التعليمي الذي يتغيب التجديد. هذه الأفكار التي انبثقت عن الممارسات الاجتماعية اليومية حاولت، في غير ما مرة، نسف كل مجهود ومبادرة. وكلنا يتذكر ما قامت به الأطر التربوية إبان الحجر الصحي لضمان الاستمرارية البيداغوجية، من مساهمات وإنتاجات رقمية- رغم ضعف استفادتهم من التكوينات- إلا أنّها كللت بالسخرية في مواقع التواصل الاجتماعي. وطبيعي،

والحالة هاته، أن " كل تجديد يعرضه - في الغالب - الذين لا يريدون إدخال أي تعديل على ما هو مألوف لديهم"¹. والسؤال الذي حان وقت طرحه، في هذا السياق، هو: هل يمكن النظر إلى العامل الاجتماعي باعتباره عاملاً حاسماً في تغيير نمط التعليمي من التعليم الحضوري إلى التعليم التناوبي الذي يدمج هذا النمط الأخير مع التعليم عن بعد، أم أن هناك من هو أقوى تأثيراً سواء تعلق الأمر بالضغط الاقتصادي أو الإملاءات السياسية...؟ ما الداعي إلى الانتقال من منهاج دراسي مبني على البيداغوجيا التقليدية الصفية إلى منهاج رقمي يقوم على البيداغوجيا المفتوحة والمحركة عن بعد؟

ثانياً/ تحديث المنهاج الدراسي في ظل نمط التعليم الرقمي والتعليم عن بعد:

1- مكونات المنهاج الدراسي في ظل النمط التعليمي عن بعد:

تنضوي منظومة المنهاج الدراسي، في ظل التوظيف الديدانكتيكي للرقمنة في التعليم عن بعد، على المكونات الأساسية الآتية:

- **المكون القانوني:** ويختص بالقوانين والتعاقدات والتشريعات المنظمة للدراسة والتعلم الرقمي وفق المعايير المطلوب توفرها.

- **المكون الأخلاقي / القيمي:** ويختص بالمبادئ والقواعد الأخلاقية التي تؤطر العملية التعليمية- التعلمية، من خلال توظيف البرمجيات والكتب الدراسية الإلكترونية والدعامات الرقمية والبرنامج الدراسي وغيرها مما ينشر على المواقع

¹- Susanne Mollo, 1971, *l'enseignement assisté par ordinateur*, casterman poche, Paris, p20

الإلكترونية.

- المكون التكنولوجي (التقني): من خلال توفير البنية التحتية والموارد الرقمية اللازمة من أجهزة الكمبيوتر ومجانبة الولوج للإنترنت تحقيقاً لمبدأ تكافؤ الفرص بين المتعلمين.

- المكون البيداغوجي: ويختص باستراتيجيات التعليم والتعلم المستخدمة في تقديم المحتوى والوسائط المستخدمة في التقديم والتفاعل مع المتعلمين بكيفية تزامنية أو غير تزامنية.

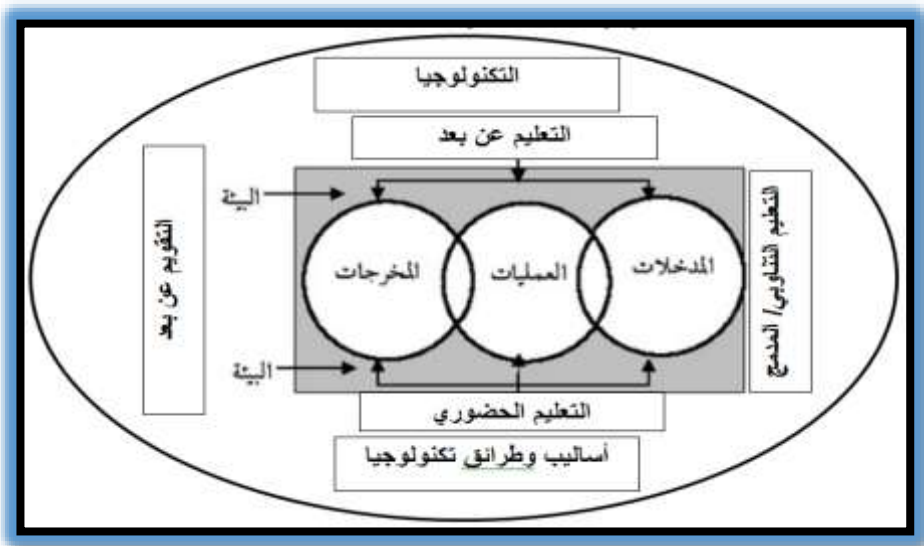


الشكل رقم 4: الفاعلون في التكنولوجيا التربوية وفق النمط التعليمي عن بعد

2- المنهاج الدراسي في ضوء الرقمنة: أي تصور؟!

بالرغم مما قد يقال عن توظيف التكنولوجيا في الممارسة التعليمية، فإنها تظل بمثابة قارب (esquif) للسباحة، باعتباره ذلك المتعلم الثالث (tiers-instruit) الذي

تحدث عنه ميشال سير (M.Serres)¹. إن هذه التكنولوجيا قادرة على تمكين المتعلم من الاستقلال الفكري، وتنمية قدراته ومهاراته وكفاياته الفردية. فاتخاذ هذه التكنولوجيا الحديثة، كوسائل ديداكتيكية، دعم لاستقلاليتة الشخصية، نظرا لما تتيحه من إمكانيات التعلم الذاتي، ومن تكيف للتعلم وفق القدرات الذاتية، ومن فرص الإبداع والخلق والابتكار. وهذا ما يساعد المدرس نفسه على تنويع الدرس وإعطاء الفرصة للمتعلمين ليأخذوا المعلومات نفسها بطرق مختلفة وبوتيرة متغيرة. كما تساعد المدرس على التخلص من الوضع السلطوي الذي تحتمه عليه التربية التقليدية التي تضطره إلى القيام بدور الملحق، أو الإنسان الراشد المالك للحقيقة"².



الشكل رقم 6: تداخل مكونات المنهاج الدراسي وفق التعليم عن بعد

¹-Serres,M, 1992, le tiers-instruit, François Bourin, Paris

²- باداج محمد، التربية كإقصاء للعنف: مقارنة نظرية، مجلة علوم التربية، المجلد الثالث، العدد الخامس والعشرون، أكتوبر 2003، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 139

3- أسس المنهاج الرقمي وعلاقته بالمنهاج الدراسي:

إن المنهاج الدراسي في تجديده يعتبر من جهة، وسيلة للتعبير عن ثقافة المجتمع، والمؤسسة، والجماعة، والجمهور المستهدف الذي وضع المنهاج من أجله. ومن جهة أخرى، يعني جهازاً للتعليم والتعلم تم إعداده بهدف الاستجابة لحاجات جديدة: مادة دراسية تخصصية أو تكوينية جديدة، الطفرة المعرفية والتكنولوجية، وبالتالي انبثاق وضعيات جديدة لانملك إزاءها أداة ملائمة¹.

أ- الأساس الفلسفي- السوسيولوجي: إن مثل هذا المناخ الذي يعيش فيه الفرد يتطلب أن تحتوي المناهج على قدر من الأسس الفلسفية والمجتمعية لتكوين مواطن قادر على أن يكون فاعلاً وفعالاً ومساهماً في تطوير مجتمعه. وهذا لن يتأتى إلا إذا تعلم واكتسب من تعلمات ذات معنى في حياته في إطار ما يسمى بالمقاربة الوظيفية/ الأدواتية.

ب- الأساس السيكولوجي للمتعلم: فالتخطيط الخاص بالخبرة المنهاجية يلابسه تحليل لتمثلات المتعلمين حول المجال المعني، والعوائق المتولدة عنه، والموارد المعرفية والمرحلة العمرية، وأيضا الاستعمالات الملاحظة والمعنى المرتبط بها².

¹- DEMEUSE, Marc & STRAUVEN, Christine (2013). *Développer un curriculum d'enseignement ou de formation. Des options politiques au pilotage* Bruxelles: De Boeck (2e édition revue et actualisée), 323 p.

²- باسكال دوبلسيس، مدخل إلى مفهوم المنهاج، ترجمة خليل عامري، مجلة دراسات بيداغوجية، العدد

6، دار أي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ص 43

ج- الأساس الديدائكي - الإجمالي: حيث يتم تحليل أجراء واستثمار

المعارف المدرسية انطلاقاً من محطتي النقل الديدائكي الخارجي والداخلي.

د- الأساس التكنولوجي - الرقمي: يهتم الممارسة التكنولوجية، أي

مختلف العمليات التي يقوم بها المدرس من التخطيط إلى التنفيذ وكل ما يتعلق بمفهوم السيناريو البيداغوجي ومختلف مكوناته، الأهداف من استعمال الموارد الرقمية خلال نشاط تعليمي، الأجهزة الإلكترونية وكيفية استعمالها، المستوى المعرفي المستهدف من خلال الإدماج، طبيعة المورد البيداغوجي الرقمي ومعايير اختياره أو ملاءمته للفئة المستهدفة...، بالإضافة إلى الأسلوب التواصلي والمنهجية المتبعة وكيفية تنظيم المتعلمين داخل الحجرة الدراسية، درجة تملك المدرس للمعارف التقنية اللازمة للاستعمال، وتمكنه من الكفاية التكنولوجية اللازمة لعملية الإدماج¹.

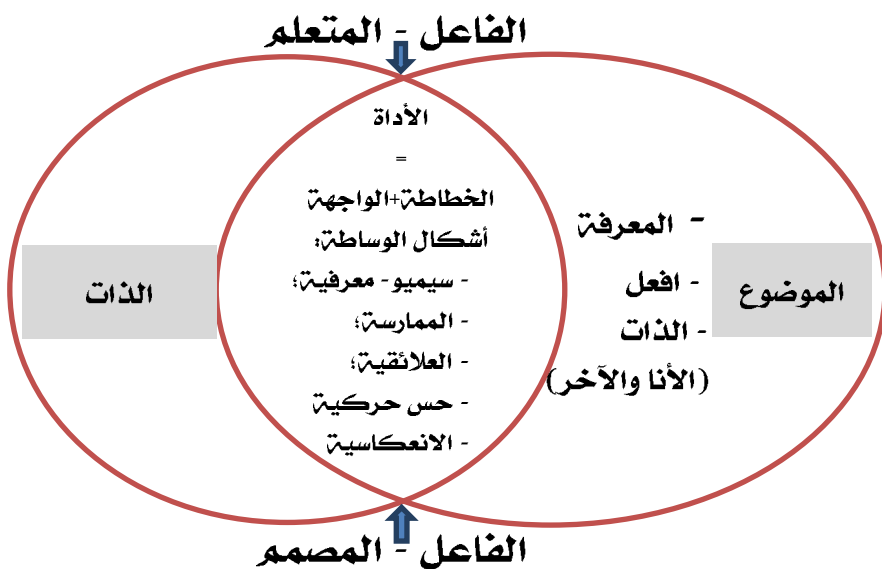
4- الكفايات وطرائق التدريس عن بعد: نحو تغيير الباراديغم:

أدى استخدام الإنترنت في المجال التعليمي إلى تطور مذهل في العملية التعليمية، فقد أثر في طريقة أداء كل من المدرس والمتعلم، وغير أدوارهما وإنجازاتها داخل حجرة الفصل، وقاد إلى ظهور مفاهيم جديدة في المجال التعليمي. كما أدى استخدام الأنظمة المتعددة في الأنترنت إلى التغيير في الطريقة التي يتعامل بها الفرد مع التكنولوجيا في العمل والحياة. وبصفة عامة، فإن ثمة تحديات كثيرة فرضتها

¹-جناني عزيز، المنهاج الدراسي والرقمنة، مجلة دراسات بيداغوجية، العدد 6، السنة 2019، الطبعة

الأولى، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ص115

علاقة التعليم بالأنترنت لمواجهة الانتقال من التعليم السائد إلى التعليم الإلكتروني على الخط، والتعليم عن بعد، أو التعليم الافتراضي المبني على التكنولوجيا الرقمية والمرئية الناتجة عن تفاعل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتقدمة، وأهم هذه التحديات استخدام التكنولوجيا لتحقيق التنوع في العملية التعليمية- التعلمية لتلبية حاجات المتعلمين وإشباع رغباتهم، وفي الوقت نفسه، إكسابهم الكفايات التي تفرضها التغيرات المتزايدة في المجتمع على الصعيدين العالمي والوطني.¹



الشكل (7): الوساطة الرقمية

هاهنا يمكن التمييز بين:

¹ - طارق عبد الرؤوف، 2014، التعليم الإلكتروني والتعليم الافتراضي: اتجاهات علمية معاصرة،

المجموعة العربية للتدريب والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ص 94

أ- طريقة التعلم الافتراضية: عملية مستقلة وغير متزامنة (*La démarche*)

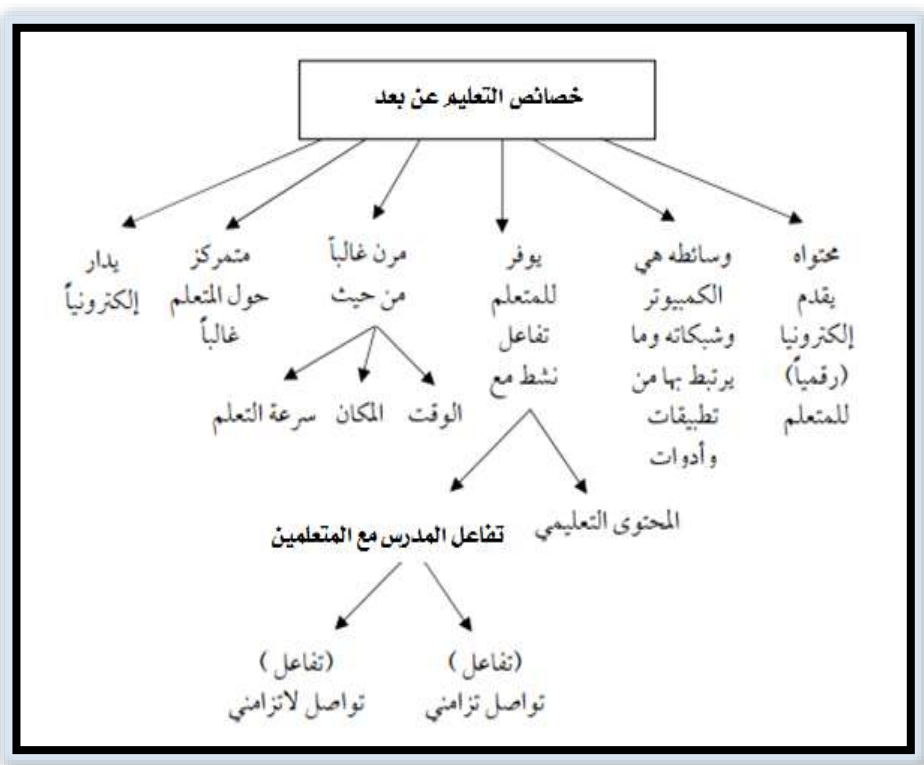
النوع؛ إلى تعزيز تحديث كفايات التدريس في تدبير الفصل الدراسي، وفي تدبير العملية التعليمية والتعلمية. ويتكون محتوى دروس الويب بشكل أساس، من الأنشطة والقراءات وكبسولات متحركة وكبسولات الفيديو المقدمة في سياق التعلم التفاعلي للوسائط المتعددة عن بعد. والمتعلم يمتلك المحتوى بطريقة مستقلة. إنها منهجية غير متزامنة (*une démarche asynchrone*) تهدف ليس فقط إلى جعل المدرس يدمج العناصر الأساسية للتدبير الفعال للفصول الدراسية والتعليم والتعلم، ولكن قبل كل شيء إلى تطبيقها في ممارسته التعليمية اليومية على أساس الممارسة التبصيرية- الانعكاسية (*une démarche réflexive*). كما أن الهدف النهائي الذي يسعى إليه مثل هذا النهج هو تحديث الكفايات الأساسية للمدرسين، من خلال تنمية ممارساتهم المهنية¹.

ب- المواكبة البيداغوجية ذي الطريقة المدججة (*une démarche hybride*)

تركز على الأنشطة الجماعية تناوبياً - وهو ما أكدنا عليه في المحور السابق - وهو التوجه الذي تبنته وزارة التربية الوطنية في هذه السنة ذي الظرفية الاستثنائية في إطار ما يسمى بالتعلم الذاتي؛ الذي تتكامل فيه مكونات المربع الديداكتيكي: من مدرس، الذي ينجز أبرز المقاطع التعليمية في الفصل الدراسي؛ والتي يستحيل على المتعلم

¹ - Mario Richard, Ph. D. & Steve Bissonnette, Ph. D ,*Le cours en ligne L'enseignement efficace: fondements et pratiques.Vers un changement de paradigmeen formation continue des enseignants? Une étude exploratoire.* Formation et profession 21(2), 2013, p 95

إدراكها بنفسه وبعد ذلك يقدم للمتعلم مجموعة من الأعمال التوجيهية/ الخارجية وهي أساسية في بناء الدرس وضبطه من أنشطة تطبيقية أو إنجاز ملخصات لمختلف الأنشطة التعليمية المنجزة، بينما الدعامة الديدكتيكية المستثمرة: يمكن الجمع بين الكتاب المدرسي (المادة المعرفية) والدعامة الرقمية، بالإضافة إلى الأداة التكنولوجية الموظفة في عملية التواصل بين المدرس والمتعلم إلكترونياً وعن بعد.



ج- الرقمنة والفصل المعكوس (la classe inversée): بدأ الفصل المقلوب في تحريك ديناميات مثيرة للاهتمام بالنسبة للتفكير الفردي والجماعي والتي بدت ممثلة في الطريقة التي تظهر بها قدرة المتعلم على البناء والإنتاج بدل التلقي السلبي والاتكالي.

ففي البداية، تم تقديم الفصل المقلوب/ المعكوس باعتباره طريقة ومنهجية تجريبية وبنائية. ولم يتم تعريفه باعتباره نموذجاً بيداغوجياً معيارياً وقابلاً للتحويل بشكل مباشر، ولكن كمحاولة لإعادة النظر كلياً في تنظيم تسلسل التعليم والتعلم، وإنشاء ظروف تعلم أكثر تحفيزاً للمتعلمين - أقرب إلى حاجاتهم واهتماماتهم وقابل للتأثير في قيادتهم نحو استقلالية أكبر في علاقتهم بالمعرفة.

وحول تجليات التجديد في التعلم عن بعد يميز أحد الباحثين بين¹:

أ- التعلم عن بعد تعلم مُفرد (Individualisé): حيث إن مفتاح التعلم عن بعد يوجد في فردانيته، ومن ثمة فإن منهج تحصيل المعارف والسلوكات والمهارات يكون في إطار نوع من التعاقد، ويتوافق مع كل فرد، ومع لغته، ومع شخصيته الأساسية... وهو تعاون سياقه هو البيئة كفضاء رحب للتعلم بكل ما تنطوي عليه من كائنات وأشياء وأفكار. أمّا النمط التعليمي التقليدي، فهو جماعي صفي، ومعلوم أن الصف المدرسي ليس هو الفرد، فالصف يعوض بشبكة معلوماتية وتواصلية واسعة، من مختلف الوسائط وتمتد خدماتها لتشمل أكثر من مدينة أو دولة.

ب- التعلم عن بعد تعلم تحت الطلب: ويحدد فيه الفرد أهدافه، ومناهجه البيداغوجية والديداكتيكية، ووسائله، وإيقاعه حسب القدرات الشخصية. وهو، بذلك، تعلم متحرر ومفتوح بالأساس يعتمد كيف لا الكم.

ج- التعلم عن بعد يتجاوز التفاعل الصفي بين جماعة المتعلمين وبين المدرس: سواء التفاعل في بعده العرفاني/ المعرفي أو في بعده الوجداني، ويؤسس

¹ - محمد مصطفى القباج، ص 95-96

لنوع جديد من العلاقة بين المتعلم والتكنولوجيات المعلوماتية والتواصلية، وبين المسهل أو الميسر. إنَّها علاقة تربوية تجعل من المتعلم " مهندساً بيداغوجياً يراقب الآلية التعليمية المسلسلة وكأنها عبارة عن ميكانيكا إلكترونية لكنها تخدم ما يهدف إليه الفرد.

5- الأنشطة التعليمية وفق نمط التعليم الرقمي وعن بعد:

يحتم التغيير الذي يعرفه العالم الانتقال من براديغم نقل المعرفة، الذي يقوم فيه المدرس بالدور الرئيس، باعتباره خبير المعرفة، في حين يكون التلميذ متلقياً سلبياً، إلى براديغم جديد ينبني على جعل المتعلم يتعلم بنفسه، بحيث ينمي مهاراته، ويصبح دور المدرس في هذا النموذج، دور المدرب والمرافق والمسهل للعملية التعليمية- التعليمية، التي يقودها التلميذ، الذي يعتبر الفاعل المسؤول عن تكوينه.¹ وبعيداً عن الاتجاهات الساعية إلى إبراز تناقضات أقطاب المثلث الديداكتيكي (معرفة مهيمنة، مدرس منزوع السلطة، وأخيراً متعلم مستقل)، ينبغي أن نفكر، بالأحرى، في الوسائط بوصفها " عاملاً للحوار والتفاعل " بين هذه الأقطاب. وبذلك نتمم مفهوم التفاعل الوظيفي للوسيلة بمفهوم التفاعل العلائقي لأطراف العلاقة الديداكتيكية.²

ويمكن إبراز ذلك من خلال الجدول الآتي:

¹ - أوزي، أحمد، 2017، بيداغوجية فعالة ومجددة: كفايات التعليم والتعلم للقرن الحادي والعشرين،

منشورات علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 115

² - مارسيل لوبران، 2013، مرجع سابق، ص 73

الإجراءات التدبير الديدداكتيكي الرقمي	الخطوات	أدوات العمل الديدداكتيكي	النموذج البيداغوجي الرقمي
<p>فتح مساحة للنقاش وتنمية الفكر النقدي؛ استخدام أداة إلكترونية أثناء العروض التقديمية لمؤتمر الويب؛ تكليف المتعلمين بأنشطة تطبيقية مباشرة وعرض إنتاجاتهم بتوظيف مؤتمرات الويب.</p>	<p>تقديم أنشطة تفاعلية تواصلية بين المتعلم والعمل التعاوني.</p>	<p>- توظيف المنصات الإلكترونية. - إنجاز دروس ومحاضرات تفاعلية ومنتزمنة عن بعد.</p>	<p>التعليم التفاعلي المتزامن عن بعد</p>
<p>وضع المتعلم في صورة العمل المتوقع إنجاز مجموعة من الأعمال الفردية والجماعية: إنجاز مقاطع الفيديو لنشاط تعليمي-تعلمي وإنجاز مقابلات مصورة مع الخبراء. التدرب على "الكتابة على الشاشة" لإضفاء الطابع التفاعلي على المشروع والعرض المقدم.</p>	<p>توجيه المتعلمين نحو إنتاج أدوات العمل الديدداكتيكي.</p>	<p>- تسجيل العروض التقديمية بصيغة (ppt)؛ - إنتاج فيديو قصير.</p>	<p>إنتاج الموارد الرقمية</p>

<p>تقديم اختيارات متعددة للمتعلمين بين الاشتغال مواضيع متنوعة، تقديم دعائم متنوعة ومختلفة، وتكليف المتعلمين بإنجاز مساهمات فيشكل تجارب ميدانية أو منتج كتابي في شكل مشروع.</p>	<p>تنوع الاختيارات والإنجازات عن بعد.</p>	<p>تقديم توجيهات لإنجاز أنشطة تطبيقية تنمي حس التعلم الذاتي.</p>	<p>التعلم الذاتي</p>
<p>تقديم مساهمات المتعلمين، في شكل مشاريع أو إنتاجات كتابية أو شفوية.</p>	<p>حل المشكلات، تنفيذ المشاريع، دراسة الحالة، وبناء خرائط مفاهيمية، وتمارين تطبيقية مركبة.</p>	<p>تنوع البيداغوجيات:</p>	<p>التعليم عن بعد غير المتزامن</p>
<p>قد يكون تقوياً جمعياً في شكل شبكة تتضمن معايير ومؤشرات متعاقد حولها بين المدرس والمتعلمين، وقد يكون تقوياً نهائياً فردياً من خلال توظيف منصة إلكترونية محددة بالزمن.</p>	<p>التقويم المتزامن المواكب للتعلمات عن بعد والتقويم النهائي عن بعد.</p>	<p>المنصة الإلكترونية</p>	<p>التقويم عن بعد</p>

6- تقويم المنهاج الرقمي (L'évaluation du curriculum numérique):

إن العمل التربوي عمل إنتاجي يقوم على التراكم، والتدرج، والتقدم، ولهذا فهو مبني على مجموعة من الإجراءات التربوية والإدارية والاقتصادية والسياسية. وتهدف هذه المنظومة إلى تحقيق أحسن النتائج التعليمية في مدة زمنية محددة، وبكلفة اقتصادية مثالية...

ويرتبط قياس المردودية بعملية التقويم، ونقصد به مجموع الإجراءات والعمليات التي يقوم بها مختصون، بهدف متابعة مدى تقدم تنفيذ البرامج وإنجازها تبعا للتوقعات من جهة، وللمقارنة النتائج مع الأهداف المحددة مسبقا في مرحلة " وضعية الانطلاق" من جهة أخرى، فالتقويم مقارنة بين وضعية الانطلاق ووضعية التقويم¹.

يتم تقويم المنهاج الدراسي عادة بناء على تقييم آثاره في إنجازات المتعلمين (هل الأهداف المحددة تم تحقيقها؟)، في الممارسات الديدداكتيكية (ما التغييرات والتطورات التي أحدثتها؟)، على مدى ملاءمتها لحاجات وتوقعات المتعلمين (ما مدى ملاءمة تكوين المتعلم واستعداده للحياة الاجتماعية؟)، أو المجتمع ككل (ما تأثيراته في قابلية التوظيف أو في التماسك الاجتماعي؟).

¹ - الشهب، محمد (1999)، إشكالية التعليم بالوسط القروي: دراسة لتجربة إصلاحية، ضمن ملف (نحو تحديث مناهج التعليم)، مجلة عالم التربية، العددان 7/6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص

محاولة في التركيب:

أصبحت التربية مضطرة إلى الانفتاح على توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال، ليس فقط لأن ذلك حتمية تاريخية، وإنما بسبب ما توفره من قدرات على التأهيل الفكري والعلمي للإنسان، ولما تقدمه من فرص للتعلم المشترك والمتبادل، أي من فرص للانفتاح على الغير.

هكذا نستطيع القول، أن أهم ما يعد به التعلم عن بعد هو انبثاق مدرسة بلا جدران كما يقول (إيفان إلتش)، التي ستدفع مختلف الفاعلين التربويين إلى تحمل مسؤولياتهم، وتغيير أدوارهم. فالمدرس سيتأكد دوره كموجه ومنظم للعملية التعليمية- التعلمية، أما المتعلم، فسيرتقي إلى تعلم مناهج التعلم الذاتي، أو ما يعرف تعلم التعلم (Apprendre à apprendre). وحين يمتلك الفرد طرائق مختلفة في التعلم، يسهل عليه أن يستوعب أي محتوى من المحتويات، وما يستتبع ذلك من مهارات ومنهجية...

لهذا، لا يعني تطوير المنهاج الدراسي، بالضرورة، تغييراً أو تجديداً في أجهزة العمل الديداكتيكي وأدواته باللجوء إلى التكنولوجيات الحديثة. فإدماج هذه الأخيرة في التعليم ينبغي أن يتم بشكل ملائم ومتناسق، وفي استحضار تام للإمكانات المتاحة، لتقديم أفضل للأنشطة التعليمية التعلمية، وللمساعدة على إنهاء الكفايات الأساسية للمتعلم، وتحقيق الأهداف المرجوة من تحديث المنهاج الدراسي وفق المتطلبات الرقمية.

ولا يفوتنا في الأخير، أن نستحضر بعض المخاطر التي يمكن أن تحدث في

التعليم التكنولوجي، من نكوص وتراجع القيم الإنسانية النبيلة لصالح التعلم التكنولوجي ذي الأبعاد، وتوحيد أنماط التعليم، مما يسهم في تكوين مواطن / متعلم بقيم تكنولوجية ممسوخة الهوية ويكون أشبه في بنيته العقلية بـ "الحيوانات" المروضة والمدجنة، والتي تتناسب ومنطق السوق (تسليع المعرفة الدراسية وسلخها من بعدها القيمي)!!!

المراجع المعتمدة:

أولاً: مراجع باللغة العربية:

- 1) أوزي، أحمد، 2017، بيداغوجية فعالة ومجددة: كفايات التعليم والتعلم للقرن الحادي والعشرين، منشورات علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،
- 2) باسكال دوبليسيس، مدخل إلى مفهوم المنهاج، ترجمة خليل عامري، مجلة دراسات بيداغوجية، العدد 6، دار أي رقراق للطباعة والنشر، الرباط،
- 3) الشهب، محمد، 1999، إشكالية التعليم بالوسط القروي: دراسة لتجربة إصلاحية، ضمن ملف (نحو تحديث مناهج التعليم)، مجلة عالم التربية، العددان 7/6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- 4) العربي فرحاتي، التعلم الذاتي وتكنولوجيا التعليم والمعلوماتية، مجلة عالم التربية، العدد 19، السنة 2010، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،
- 5) القاسمي علي، 2002، الجامعة والتنمية، سلسلة المعرفة للجميع، العدد 27، منشورا رمسيس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،
- 6) القباج، محمد مصطفى، 2002، التربية والثقافة في زمن العولمة، سلسلة المعرفة للجميع، منشورات رمسيس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،

- 7) باداج محمد، التربية كإقصاء للعنف: مقارنة نظرية، مجلة علوم التربية، المجلد الثالث، العدد الخامس والعشرون، أكتوبر 2003، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،
- 8) جناني عزيز، المنهاج الدراسي والرقمنة، مجلة دراسات بيداغوجية، العدد 6، السنة 2019، الطبعة الأولى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط،
- 9) رمزي أحمد عبد الحي، 2010، التعليم عن بعد في الوطن العربي وتحديات القرن الحادي والعشرين، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 128
- 10) سعادة عبد الرحيم خليل، 2013، توجهات معاصرة في التربية والتعليم، مجد المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى،
- 11) طارق عبد الرؤوف، 2014، التعليم الإلكتروني والتعليم الافتراضي: اتجاهات عالمية معاصرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة،
- 12) مارسيل لوبران، سؤال التكنولوجيا في التربية: من الحاجة إلى الوسائل إلى الحاجة إلى التربية، ضمن كتاب بعنوان "الممارسات البيداغوجية المعاصرة" ترجمة عز الدين الخطابي، منشورات عالم التربية، الطبعة الأولى 2013، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، ص 60
- 13) مجدي عزيز ابراهيم، 2002، منطلقات المنهج التربوي في مجتمع المعرفة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة،

ثانيا/ مراجع بغير العربية:

- 14) DEMEUSE, Marc & STRAUVEN, Christine (2013). *Développer un curriculum d'enseignement ou de formation. Des options politiques au pilotage* Bruxelles : De Boeck (2e édition revue et actualisée),
- 15) Mario Richard, Ph. D. & Steve Bissonnette, Ph. D, 2013, *Le cours en ligne L'enseignement efficace : fondements et pratiques. Vers un changement de paradigme en formation continue des enseignants ? Une étude exploratoire*. Formation et profession 21(2),

- 16) Philippe Meirieu, *Les Tice en classe, mode d'emploi*, in Ghislain Dominé, 2015, ESF éditeur
- 17) Serres, M, 1992, *le tiers-instruit*, François Bourin, Paris
- 18) Susanne Mollo, 1971, *l'enseignement assisté par ordinateur*, casterman poche, Paris,

ثالثا: ويبوغرافيا:

- 19) Lapan, J. (2007). *Le discours étudiant sur les transformations néolibérales de l'éducation : analyse de contenu du discours de l'ASSÉ, de la FEUQ et de la FECQ*. (Université du Québec à Montréal). p. 42-43 Repéré à <http://studentunion.ca/docs4/Le-discours-etudiant-sur-les-transformationneolibrales-de-l-education-Julien-Lapan.pdf>
- 20) Baillargeon, N. (2005). Les bonnes vieilles méthodes peuvent être progressistes. *ÀBabord! Revue sociale et politique*, (9). Repéré à <https://www.ababord.org/Les-bonnes-vieilles-methodes>
- 21) Henri, F. (2017). *Ingénierie pédagogique des MOOC, Autodirection et instrumentation de l'apprentissage*. Communication, Rencontres Internationales du Réseau de recherche en éducation et en formation, CNAM, Paris 4. [En ligne]
- 22) PERAYA, D. *La formation à distance: un dispositif de formation et de communication médiatisées. Une approche des processus de médiatisation et de médiation, TICE et développement*, N° 1, [en Ligne], novembre 2005, Disponible sur: <http://www.revuetice.info/document.php?id=520>, [consulté le 18 septembre 2020]
- 23) Fédération nationale des enseignantes et des enseignants du Québec, 2019, **L'enseignement à distance: Enjeux pédagogiques, syndicaux et sociétaux**, Raphaëlle Crétin & Bouzidi Laïd, **L'enseignement à distance: proposition de trois démarches**, Repéré à <http://www.abhatoo.net.ma/> p
- 24) Gagnon, L. (2018, 15 mai). Le renouveau pédagogique à l'ère du numérique. *SOFAD. Apprendre et réussir*. Blogue. Repéré 5 avril 2019, à https://sofad.qc.ca/index.php?fc=module&module=smartblog&slug=renouveau-pedagogique-ere-num%C3%A9rique&controller=details&id_lang=5

التكوين عن بعد بمسلك تكوين أطر الإدارة التربوية بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق تجربة الورشات عن بعد في مجزوعة مشروع المؤسسة نموذجاً

عبد الرحمان جبوري

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق.

مقدمة

تقرر مؤخراً إحداث تغييرات واسعة على مسلك تكوين أطر الإدارة التربوية، وذلك سعياً من القائمين بالشأن التربوي على ملائمة ملامح التخرج، وكفاية الخريجين، مع الأدوار المنوطة بأطر الإدارة التربوية. من بين تلك التغييرات اعتماد نظام تكوين تستغرق مدته سنتين بدل سنة واحدة، تتوج بالحصول على دبلوم متصرف تربوي من الدرجة الأولى¹. وعليه فمناهج التكوين هي الأخرى ستخضع لإعادة النظر لتواكب المستجدات ولتدمج التقنيات الحديثة.

تقوم هندسة مناهج تكوين أطر الإدارة التربوية في النظام الجديد على نظام مجزوءاتي في أسدوسين في السنة الأولى، عشر مجزوءات ووحدتين للأنشطة المهنية في كل أسدوس، وتقوم في السنة الثانية على نظام عملي مهنن، على اعتبار المتدربين في تكوين ميداني وتحمل كامل للمسؤولية، بالإضافة إلى تكوين بالمركز حضورياً، أوعن بعد، مع إنجاز مشروع شخصي مؤطر في مجال الإدارة التربوية.

لقد صادف تنزيل تلك التغييرات، بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين

¹ - بلاغ اخباري صدر عن وزارة التربية الوطنية بتاريخ 10 شتنبر 2020.

لجهة الشرق، مرحلة ذروة الجائحة المرتبطة بوباء كوفيد19 بالجهة، مما استلزم اعتماد نمط التكوين عن بعد؛ نمط تم اعتماده أيضا خلال الأربعة أشهر الأخيرة من الموسم التكويني 2019-2020. ولئن كانت هناك ردة فعل تجاه هذا النمط من التكوين خلال المرحلة الأولى، فمرجع ذلك لاحتياج تطبيقه إلى الوسائل والإرادة والجهد، لاستثمار نتائجه. إن الحاجة قائمة إلى التعليم عن بعد في غياب كوفيد19 أو وجوده، بسبب الأدوار المكملة التي تقوم بها تكنولوجيا التعليم، وبسبب انفتاح جيل المتعلمين اليوم على توظيف التقنية التي تشكل لغة عصرهم وهذا ما يدعو إلى عدم جعل التعليم عن بعد مجرد مسكن لظروف الأزمات، وإنما نجعله مكملا للتعليم الحضوري¹.

تكوين أطر الإدارة التربوية في النظام الجديد يستدعي مراعات التمفصلات بين التكوين الأساس الحضوري والتكوين عن بعد. علما بأن هذه الورقة لن تتطرق إلى الجزء الأهم من عملية التكوين بالمسلك وهو التكوين الحضوري، وسنعمل على تخصيص ورقة لهذا الموضوع مستقبلا.

أسئلة موجهة:

ما هو شكل التكوين عن بعد وما هو مصيره؟ وهل هو استنساخ رقمي للتكوين الحضوري لا غير؟

ما هي أبرز الحلول التي يمكن اقتراحها لجعل عملية التكوين عن بعد أكثر فعالية وجودة؟ وكيف يمكن توظيف كل ما هو جديد في ظل التقدم التكنولوجي

¹ -مقدمة أحمد أوزي لكتاب 4 سيناريوهات للتعليم عن بعد لجان فرنسوا بارمتي وكونتيان فيسان، ترجمة مصطفى حسني، منشورات مجلة علوم التربية، العدد48، الطبعة الأولى، 2020، ص21.

السريع؟

ما مدى فعالية التكوين عن بعد على أطر الإدارة في طور التدريب؟

أولاً: المفهوم

تعرف منظمة اليونسكو التعليم عن بعد بكونه عملية يتم من خلالها نقل المعرفة إلى المتعلم في موقع إقامته أو عمله، بدلا من انتقال المتعلم إلى المؤسسة التعليمية، وهو مبني على إيصال المعرفة، والمهارات، والموارد التعليمية إلى المتعلم عبر وسائط، وأساليب تقنية مختلفة؛ حيث يكون المتعلم بعيدا ومنفصلا عن المعلم أو القائم على العملية التعليمية، وتستخدم التكنولوجيا من أجل ملء الفجوة بين الطرفين بما يحاكي الاتصال الذي يحدث وجها لوجه¹.

ثانياً: تطور التعليم عن بعد عبر التاريخ:

لم يبدأ التعليم عن بعد في الفترة الراهنة، بل يعود لأكثر من مائتي عام، وكانت البداية عام 1729 عبر تقديم دروس أسبوعية عبر صحيفة "بوسطن كازيت". واستخدم المذياع لهذا الغرض عام 1922، ثم استخدمت أجهزة التلفزة، إذ أطلقت جامعة ستانفورد مبادرة عام 1968 لتقديم مقررات عبر قناة تلفزيونية، وفي عام 1982 دخل الحاسوب المجال التعليمي، وفي عام 1992 كان الانتشار الأوسع مع الشبكة العنكبوتية². وهكذا تعاقبت طرق التعليم عن بعد بحسب تطور وسائل نقل المعلومة، فانتقلت من صنف للتعليم عن بعد اعتمادا على المطبوعات إلى التعليم عن

¹ - اليونسكو، التعليم عن بعد مفهومه أدواته واستراتيجياته، دليل لصانعي السياسات في التعليم الأكاديمي والمهني والتقني، نشر منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة UNISCO، 2020، ص14.

² - المرجع السابق

بعد المعتمد على الانترنت. ومن أهم مزايا التعليم عن بعد: المرونة، إذ يتيح التعلم وفق ظروف المتعلمين وأوقاتهم، ويسمح باستمرار عملية التعلم، كما يسمح بالإبداع عبر تقديم المناهج بطرق مبتكرة وتفاعلية.

ثالثاً أنماط التعليم عن بعد:

توجد عدة نماذج لتوظيف التعليم عن بعد في عملية التعليم منها النموذج المساعد، حيث يوظف التعليم عن بعد جزئياً لمساعدة التعليم التقليدي كما يوجد التعليم الإلكتروني المدمج، وفيه يوظف التعليم عن بعد مدججاً مع التكوين التقليدي. أما التعليم الإلكتروني E-learning فيقصد به التعليم الذي يعتمد على استخدام آليات الاتصال الحديثة والمعاصرة، ولا يتطلب هذا النوع من التعليم وجود منشآت مدرسية، أو صفوف دراسية، بل يلغى جميع المكونات المادية للتعليم¹. كما إلى أن هناك نمطين أساسيين من أنماط التعليم عن بعد:

(1) التعليم المتزامن: هو التعليم الذي يجتمع فيه المعلم والمتعلم في الوقت نفسه بشكل متزامن في بيئة تعليمية حقيقية، وذلك من خلال لقاء إلكتروني مباشر، يتمكن الطرفان فيه من المناقشة والحوار وطرح الأسئلة وكذا التفاعل، ويكون ذلك عبر غرف محادثة أو من خلال تلقي الدروس عبر ما يعرف بالفصول الافتراضية إضافة إلى أدوات أخرى.

(2) التعليم غير المتزامن: هو تعليم متحرر من الزمن، إذ يمكن للمعلم أن يضع مصادر التعلم مع خطة التدريس والتقييم على الموقع التعليمي، ثم يدخل المتعلم الموقع في أي وقت، ويتبع إرشادات المعلم في إتمام التعلم، من دون أن يكون

¹ - موفق المومني، مدى فاعلية التعليم عن بعد، مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، 2020، المجلد 1 العدد

هناك اتصال متزامن مع المعلم¹.

رابعا: بداية التكوين عن بعد الطارئ والجهود الفردية.

بعد أن داهمت الجائحة المرتبطة بفيروس كوفيد 19 العالم بداية سنة 2020م، أغلقت مؤسسات التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي أبوابها، واعتمدت التعليم عن بعد كبديل للتعليم الحضوري². وبين عشية وضحاها، وجدنا أنفسنا نعيش في ظل إجراءات الحجر الصحي، حيث تم الانتقال إلى التكوين عن بعد من أجل ضمان الاستمرارية البيداغوجية.

بعد الانخراط في النمط الجديد من التكوين، المشكل الأول الذي صادفه الجميع هو اختيار التقنية المستخدمة للتواصل مع المتدربين في أفق تهيئة مناخ ملائم لبلوغ الأهداف. وقد اقترحت وثيقة صادرة عن المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق³ مجموعة من وسائل التكوين عن بعد:

(1) مجموعات الواتساب، ومجموعات البريد الإلكتروني، ومجموعات

¹ - اليونيسكو، التعليم عن بعد مفهومه أدواته...، مرجع سابق ص 23-24.

² - تقرر توقيف الدراسة بجميع الأقسام والفصول انطلاقا من يوم الاثنين 16 مارس 2020 بما في ذلك رياض الأطفال وجميع المؤسسات التعليمية ومؤسسات التكوين المهني والمؤسسات الجامعية التابعة لوزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب، سواء منها العمومية أو الخصوصية، وكذا مؤسسات تكوين الأطر غير التابعة للجامعة والمدارس ومراكز اللغات التابعة للبعثات الأجنبية وكذا مراكز اللغات ومراكز الدعم التربوي الخصوصية، بلاغ لوزارة التربية الوطنية بتاريخ 13 مارس 2020.

³ - الخطة الجهوية للاستمرارية البيداغوجية، وثيقة مؤطرة لتدبير عملية التكوين عن بعد، تم تقاسمها إلكترونيا بتاريخ 10 أبريل 2020.

الفايسبوك المغلقة.

(2) برانم التكوين عن بعد (Google Classroom –webex team- webex)

(meeting)

(3) منصة المركز للتكوين عن بعد (تمت الإشارة في حينه أنها في طور الإنشاء)

تجدر الإشارة إلى أن اختيار الوسيلة بقي من اختصاص المكونين. وقصد التأقلم مع الواقع الجديد، أنشأت بتاريخ 18 مارس 2020، عبر خدمة (Google Classroom) التي يوفرها محرك البحث Google، أول فصل افتراضي خاص بمتدربات و متدربي مسلك تكوين أطر التدريس، شعبة علوم الحياة والأرض، وهو فصل يعتمد نمط التكوين غير المتزامن. بعد تقاسم الرابط الخاص بالفصل يوم 21 مارس 2020، ولج 39 متدربا، في نفس اليوم، للفصل الافتراضي، من أصل 52 متدربا، مما أوحى لي بسهولة ونجاعة الاعتماد على هذه التقنية في نمط التكوين عن بعد. ومن خلال هذا الفصل الافتراضي تم تقديم حصص أسبوعية للمتدربات والمتدربين خلال الأسدوس الثاني من الموسم التكويني 2019-2020، وذلك عبر تقاسم مضامين مكتوبة، وموارد رقمية، وتسجيلات صوتية، ووضعيات مقترحة لتقويم المكتسبات ودعمها وفق ما يتيح خدمة (Google Classroom). كما عممت العملية على مسلك تكوين أطر الإدارة التربوية (فوج 2020)، بإنشاء فصل افتراضي خاص بمجزوءة التقويم المؤسسي، ومما شجع على الاستمرار في العمل بنفس التقنية من جهة ولوج جميع المتدربين للفصل الافتراضي في مدة قصيرة وسهولة التعاطي مع خدماتها، لكون خدمة (Google Classroom) أحدث أصلا للتعليم والتكوين عن بعد، ونظرا للمشاكل التي طرأت في اعتماد الوسائل الأخرى من مثل مجموعات الواتساب، ومجموعات البريد الإلكتروني، ومجموعات

الفايسبوك المغلقة، خصوصا ما ارتبط بهما من قرصنة للمعطيات الشخصية، وتقاسم لتسجيلات صوتية مقرفة كان القصد منها التهكم والنيل من شرف المهنة، ولكونها لم تحدث في الأصل للتعليم والتكوين عن بعد بل للتواصل الاجتماعي.

خامسا: التكوين عن بعد بمسلك تكوين أطر الإدارة التربوية بالمركز الجهوي لمهن التربية

والتكوين لجهة الشرق

صادف التحاق أطر الإدارة المتدربين فوج (2021) بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق ذروة انتشار الجائحة بالجهة، مما فرض نمط التكوين عن بعد. ولتيسير العملية، اعتمد المسلك التكوين عن بعد المتزامن عبر منصة (Go To Meeting) وهي تقنية تعتمد الحضور المباشر المسموع والمرئي، وتعتمد على تقاسم شاشة المكون مع المستفيدين من التكوين الذين يلجون المنصة، بعد تسجيل الدخول عبر رابط خاص، يتم تقاسمه قبل كل حصة¹. وقد استمر نمط التكوين عن بعد طيلة الثلاثة أشهر الأولى من زمن التكوين وتم الانتقال إلى نمط التكوين الحضوري بتاريخ 14 دجنبر 2020.

¹ - يتضمن الأسدوس الأول 10 مجزوءات، في البداية تم تخصيص حصة من ساعتين في الأسبوع لكل مجزوءة. وفي مرحلة لاحقة، وبعد تقييم فردي هم مخرجات الحصص الأولى المقدمة عن بعد، تم تخصيص حصتين أو ثلاث حصص أسبوعية لبعض المجزوءات عبر تقسيم المتدربين إلى مجموعتين أو ثلاث مجموعات.

برنامج التكوين خلال الأسبوع الممتد من 23 إلى 27 نوفمبر 2020

الوسيلة	الفوج	التوقيت	التاريخ	المجزوءة
عن بعد من خلال منصة go to meeting	جميع الأفواج	من 11 h إلى 09 h	الاثنين 23 نوفمبر 2020	مدخل للتدبير المادي والمالي للمؤسسة التعليمية
		من 13:15 h إلى 11:15 h		التواصل والتنشيط
عن بعد من خلال منصة go to meeting و Google meeting	الفوجان 2+1	من 11h إلى 09h	الثلاثاء 24 نوفمبر 2020	قيادة التغيير
	الفوجان 5+6	من 13h :30 إلى 11h :30		
	الفوجان 4+3	من 17h إلى 15h		
	الفوجان 4+3	من 11h إلى 09h		الجوانب الميكروسيولوجية لتدبير مؤسسة تعليمية
	الفوجان 2+1	من 13h :30 إلى 11h :30		
	الفوجان 5+6	من 17h إلى 15h		
عن بعد من خلال منصة go to meeting	جميع الأفواج	من 11 h إلى 09 h	الأربعاء 25 نوفمبر 2020	مكونات ومهام الإدارة التربوية بمؤسسات التربية والتعليم
		من 13:15 h إلى 11:15 h		التأطير القانوني لمهام وتنظيم الإدارة
حضوريا	جميع الأفواج	من 12 : 30 h إلى 08 : 30 h		الأنشطة المهنية (الندارب الميدانية)
عن بعد من خلال منصة go to meeting و Google meeting	الأفواج 3/2/ 1	من 16 h إلى 14 h	الخميس 26 نوفمبر 2020	مشروع المؤسسة
	الأفواج 6/5/ 4	من 18 :15 h إلى 16 :15 h		
	الأفواج 6/5/ 4	من 16 h إلى 14 h		تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تدبير المؤسسة التعليمية
	الأفواج 3/2/ 1	من 18 :15 h إلى 16 :15 h		
عن بعد من خلال منصة go to meeting	جميع الأفواج	من 10 : 30 h إلى 08 : 30 h	الجمعة 27 نوفمبر 2020	التدبير البيداغوجي والنجاح المدرسي
		من 12 :45 h إلى 10 : 45 h		التوليق والأرشيف

الجدول رقم 1: البرنامج الأسبوعي للتكوين عن بعد بمسلك تكوين أطر الإدارة التربوية.

سادسا: التكوين عن بعد بمجزوءة مشروع المؤسسة

بالإضافة إلى اعتماد مجزوءة مشروع المؤسسة، تكوين عن بعد متزامن عبر منصة (Go To Meeting)، مثلها مثل باقي مجزوءات الأسدوس الأول، فقد تم دعم عملية التكوين عن بعد بما يلي:

1) إحداث فصل افتراضي غير متزامن، عبر خدمة (Google Classroom)، خاص بفوج 2021، مكن من تقاسم مضامين مكتوبة، وموارد رقمية، وبطاق تقنية. كما تم من خلاله استعمال خدمتي Quiz¹ و google forme² للتفاعل الفوري وللتقويم المرحلي لعملية التكوين عن بعد؛

2) الاستعانة بتقنية الورشات عن بعد، وهي تقنية تعتمد العمل في مجموعات مصغرة تضم عددا محدودا من المدرسين لإجراء نقاش متزامن حول موضوع محدد سلفا بتأطير من الأستاذ المكون، وقد تمت العملية عبر إنشاء غرف افتراضية لكل ورشة.

سابعا: الورشات عن بعد

إن دعم عملية التكوين عن بعد باستخدام تقنية الورشات، لتعويض الورشات الحضورية، يخدم بالفعل هدف انشاء مجتمع التكوين، لما للعمل الجماعي

¹ - برنامج لبناء اختبارات متعددة الاختيارات.

² - هو أحد تطبيقات جوجل المجانية، يمكن للمستخدم من خلالها إنشاء استبيانات إلكترونية، أو إنشاء اختبارات إلكترونية، أو استطلاع رأي، بسرعة كبيرة وكفاءة عالية، وهو من التطبيقات المتصلة بخدمة التخزين السحابي (Google Drive)، وعند وجود ردود وإجابات، يقوم جوجل بتجميعها فوراً في مكان واحد.

من تأثير إيجابي، لا سيما عندما يناقش المدربون بنشاط وحيوية. ووضع استراتيجية لتطوير الشعور بالانتماء إلى مجتمع التكوين، يمكن أن تؤدي إلى الحد من اللامبالاة وبالتالي يشعر المدرب بالراحة والرغبة من أجل التبادل البناء. وقد وفرت الورشات عن بعد مزيدا من فرص العمل التعاوني حول المفاهيم الأساسية، وعملية أجراً مشاريع المؤسسة التي تشكل جوهر التكوين في المجزوءة.

ثامنا؛ أوجه التشابه والاختلاف بين نمطين من الورشات، الحضورية وعن بعد

للوهلة الأولى قد يبدو الأمر عبارة عن عملية نسخ ولصق (copier-coller) لورشات العمل الحضورية، لكن الواقع تطلب إعادة صياغة الهندسة التنظيمية المتعارف عليها للركائز الأربع لورشات العمل¹ أي: -الإعداد-التوجيه والتأطير (الجلسة العامة) - والتنشيط(خلال أعمال الورشات) - تقديم إنتاجات الورشات. يقدم الجدول أسفله مميزات كل من الورشات الحضورية والورشات عن بعد:

¹ -ميف مويهان وآخرون، كيف تنظم وتعقد ورشة عمل، ترجمة مبارك علي عثمان، يمكن تنزيل المرجع الذي يتناول بالدراسة ورشات العمل الحضورية من الموقع [/https://www.networklearning.org](https://www.networklearning.org)

ورشات عن بعد	ورشات حضورية	أوجه التشابه والاختلاف
✓		مرونة في الزمان والمكان
	✓	توسيع مساحة العمل التشاركي
✓		توفر امكانية تبادل الملفات واستطلاعات الرأي والاستبيانات
✓		تحفز المتدربين لإتمام أعمالهم بعد انقضاء الحصة
✓	✓	تؤدي إلى البحث عن الحلول بدلا من أخذها من المكون مما يخدم المهنة
✓		الوصول للموارد والمعينات في الوقت المناسب
	✓	النقاشات الثنائية والهامشية بين المشاركين
	✓	تمكن المكون من اكتشاف ومعالجة المفاهيم والمشكلات غير المكتسبة.
✓		الاستمرار بعد انقضاء السنة الأولى من التكوين
	✓	تخدم الحياة المدرسية
✓		تحقق التكوين لكن لا تكسب القيم والاتجاهات
	✓	التواصل على المستوى السيكوسوسيولوجي بين أعضاء الورشة وبينهم وبين الاستاذ المكون
✓		هدر لنسبة كبيرة من التواصل غير اللفظي

جدول رقم 2: أوجه التشابه والاختلاف بين نمطين من الورشات، الحضورية

وعن بعد.

الملاحظ من خلال الجدول هو أن لكل من الورشات عن بعد والورشات الحضورية مميزات خاصة، رغم تشابههما.

تاسعا: الإعداد للورشات عن بعد

أصبحت الترتيبات القبلية لعمل الورشات عن بعد، أكثر أهمية من أي وقت مضى، وهي شرط أساسي لنجاح الورشة؛ بالإضافة إلى المهام التقليدية المتعارف عليها (ميسرو مقرر). وقد برزت الحاجة لمهمة جديدة تتمثل في: مهمة تقني الورشة، وهو المسؤول عن الغرف الافتراضية للورشات، والساهر على جانبها التقني ودوره الأساس:

➤ في مرحلة أولى: إحداث وتقاسم رابط الغرفة على المشاركين قبل بداية الورشة.

➤ في مرحلة لاحقة: الضغط على زر "الموافقة" للسماح بولوج الغرفة الافتراضية للورشة، والتذكير ببعض الأمور التقنية كالتحكم في زر "كتم الصوت".

➤ الحرص على توفير رابط احتياطي في حالة تعطل أو توقف رابط الغرفة الافتراضية الأول.

خلال العمل بتقنية الورشات عن بعد، في مجزوءة مشروع المؤسسة، كان لزاما تخطيط بطاقة تقنية لتوجيه عمل الورشات. ترسل البطاقة التقنية إلى المتدربين قبل يوم واحد على الأقل من موعد الحصة المقررة (أنظر البطاقة التقنية رقم 1). وقد تم اعتماد نمط التكوين عن بعد المتزامن المتناوب لتدبير الحصة وذلك عبر:

➤ اعتماد منصة (Go To Meeting) للجلسة العامة التي يحضرها جميع المتدربين، بداية الحصة لتقديم التعليقات الأساس، وجدول الأعمال، ثم لاستقبال الاستفسارات وتقديم الشروحات اللازمة، ونهاية الحصة لتقديم إنتاجات الورشات ومناقشتها.

➤ الانتقال إلى الغرف الافتراضية بالاعتماد على خدمة (google meet) عبر الرابط الخاص بكل ورشة والذي أعده وتقاسمه سلفا تقني الورشة مع المشاركين ومع الأستاذ المكون.

تم البدء بورشة تجريبية بتاريخ 21 أكتوبر 2020، وبتحديد هدفين واضحين:

➤ الهدف الأول تقني: تجريب العمل بطريقة الورشات عن بعد.

➤ الهدف الثاني عملي: التعرف على مرحلة تشخيص وضعية المؤسسة، وتعتبر الخطوة الأولى ضمن منهجية مشروع المؤسسة، وتقاسم التجارب بين أعضاء كل ورشة (انظر البطاقة التقنية رقم 1)

(توزع البطاقة التقنية 48 ساعة قبل الورشة عن بعد)

بطاقة تقنية للورشات عن بعد (الورشة الأولى)

مسلك تكوين أطر الإدارة التربوية 2021/2020

مجزوءة مشروع المؤسسة

التاريخ: الخميس 21 أكتوبر 2020 من س 9 إلى س 11.

أهداف الورشة:

هدف تقني: تجريب العمل بطريقة الورشات عن بعد بالصوت والصورة.

هدف عملي: التعرف على مرحلة تشخيص وضعية المؤسسة، وهي الخطوة

الأولى ضمن منهجية مشروع المؤسسة، وتقاسم التجارب بين أعضاء كل ورشة.

وسيلة التواصل Go To Meeting ثم google meet

عدد الورشات: تسع ورشات 21 أو 22 متدرب في كل ورشة.

تقسيم الورشات:

الورشة 1: تتكون من متدربي الفوج 1 (من الرقم 1 إلى الرقم 22)

الورشة 2: تتكون من متدربي الفوج 1 (من الرقم 23 إلى الرقم 44)

الورشة 3: تتكون من متدربي الفوج 2

الورشة 4: تتكون من متدربي الفوج 3 (من الرقم 1 إلى الرقم 22)

الورشة 5: تتكون من متدربي الفوج 3 (من الرقم 23 إلى الرقم 44)

الورشة 6: تتكون من متدربي الفوج 4

الورشة 7: تتكون من متدربي الفوج 5 (من الرقم 1 إلى الرقم 22)

الورشة 8: تتكون من متدربي الفوج 5 (من الرقم 23 إلى الرقم 44)

الورشة 9: تتكون من متدربي الفوج 6

المطلوب من المتدربات والمتدربين

قبل الحصة

➤ الاطلاع على الوثيقتين المرفقتين.

➤ تطوع عنصر من كل ورشة بفتح رابط عبر التطبيق المذكور وتقاسمه مع

أعضاء الورشة، مع إمكانية تجريب العملية قبل موعد الحصة، وتوفير رابط

احتياطي.

خلال الحصة (مرحلة تأطير العمل، ثم مرحلة التنشيط)

➤ الحصة المقررة ستنطلق بشكل جماعي عبر منصة GoToMeeting بحضور

جميع المتدربات والمتدربين خلالها ستقدم: التعليلة الأساس ؛تقنية الاشتغال

؛استقبال الاستفسارات وتقديم الشروحات اللازمة.

➤ بعده ستتوجه جميعا للعمل في الغرف الافتراضية المحدثة عبر خدمة

google meet (ساعة لعمل الورشات) ثم التحاق الجميع عبر منصة Go To

Meeting للتقاسم ولتقديم تقارير عمل الورشات. والله ولي التوفيق.

مباشرة بعد الورشة الأولى، تم إجراء تقييم مرحلي بواسطة استبانة وزعت على جميع المتدربين بالاستعانة بخدمة Google Classroom و Google forme لتقاسم الاستبانة وتجميع البيانات إلكترونياً وتضمنت الاستبانة الأسئلة التالية:

هل كان الهدف من الورشة واضحاً منذ البداية؟

هل الورشة ربطت بين العملي والنظري؟

كيف تقييم سير الورشة؟

في حالة استمرار نمط التكوين عن بُعد، بعد الفترة البينية الأولى، هل الصيغة

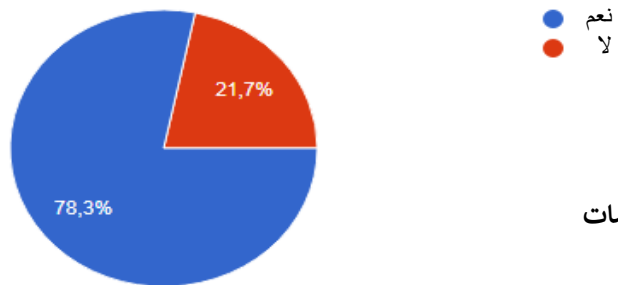
الحالية مجدية (صيغة

الورشة عن بعد)؟ ما هي اقتراحاتك لتجويد عمل الورشات عن بعد؟

وفيما يلي عرض نتائج أسئلة استبانة التقييم المرحلي للتجربة

هل كان الهدف من الورشة واضح منذ البداية؟

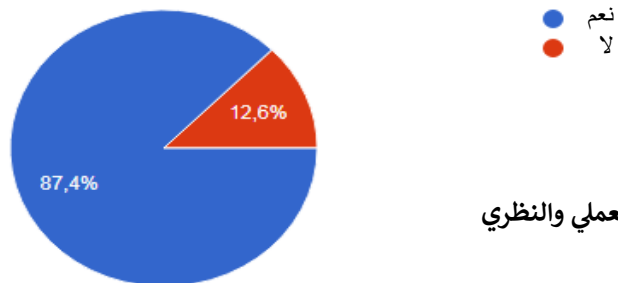
175 réponses



الشكل رقم 1 الهدف من الورشات

الورشة ربطت بين العملي والنظري

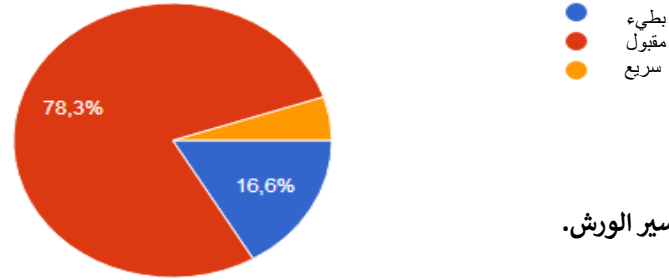
175 réponses



الشكل رقم 2 ربط الورشات بين العملي والنظري

كيف تقيم سير الورشة ؟

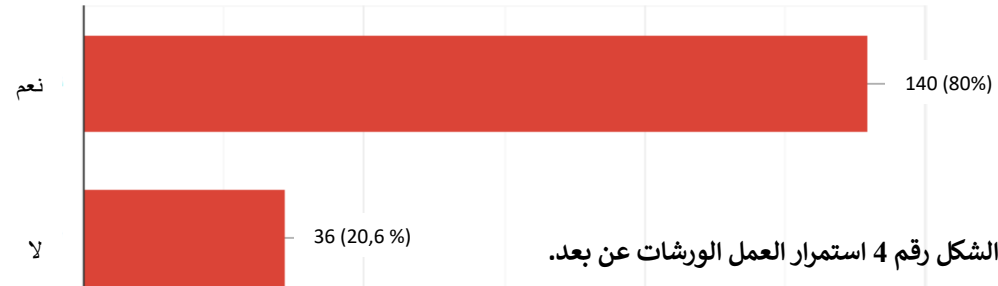
175 réponses



الشكل رقم 3 تقييم سير الورش.

في حالة استمرار نمط التكوين بعد، بعد الفترة البينية الأولى، هل الصيغة الحالية مجدبة (صيغة الورشة عن بعد)

175 réponses



الشكل رقم 4 استمرار العمل الورشات عن بعد.

من بين 195 إطار إداري متدرب مستجوب، تم التوصل بـ 175 جواب على الاستبانة؛ ومن خلال المعطيات الواردة في الأشكال أعلاه يتبين أن غالبية المتدربين تفاعلوا ايجابا مع الورشات عن بعد، وقد أقر 80٪ منهم بالجدوى من الاستمرار في العمل بها.

اقتراحات لتجويد عمل الورشات عن بعد:

التردد	الاقتراح
29 مرة	تقليص عدد المشاركين في كل ورشة
24 مرة	عرض نتائج كل ورشة مع المناقشة
22 مرة	تمديد الحيز الزمني الخاص بعمل الورشات
17 مرة	تقديم التعليلة الأساس قبل الحصة
13 مرة	توضيح المطلوب بدقة
11 مرة	ضرورة تنظيم الميسر لمداخلات متنسبي الورشة وضبطها مع تحديد سقف زمني لكل تدخل
10 مرات	تقسيم المحاور بين الورشات

الجدول رقم 3: اقتراحات المتدربين لتجويد عمل الورشات عن بعد.

تم التوصل ب 146 اقتراح لتجويد عمل الورشات عن بعد، والجدول أعلاه يتضمن الاقتراحات التي تكررت أكثر من 10 مرات، ولقد تم اعتماد معظم تلك الاقتراحات خلال الورشات اللاحقة.

بعد الفترة البينية الأولى، وبالنظر للمعطيات الوبائية بجهة الشرق، فإن إدارة المركز أقرت استمرار نمط التكوين عن بُعد. ومن خلال استثمار نتائج المبيانات والجدول أعلاه يتبين لنا الجدوى من استمرار العمل بصيغة الورشات عن بعد.

المقاربة التكوينية المتعاقد بشأنها مع المتدربين، في مجزوءة مشروع المؤسسة، اعتمدت مبدأ التناوب بين حصة بحمولة نظرية وعملية، من خلال تكوين عن بعد متزامن، تتلوها حصة تُخصص لورشة عمل عن بعد. وعليه ففي نهاية الحصة النظرية التي أعقبت الورشة الأولى قدمت نتائج الاستبانة أعلاه للمتدربين ومقترحاتهم للتجويد وتثميننا للتجربة (الجدول رقم 2). وقد تم اعتماد جل تلك المقترحات خلال الورشات اللاحقة، وذلك لغرس ديناميكية جديدة، ولتجنب حدوث تراجع في الوتيرة. وأخص بالذكر:

➤ مقترح تقسيم المتدربين (195 متدربا) إلى مجموعتين: المجموعة (أ)، والمجموعة (ب)،

➤ مقترح تقليص عدد المشاركين في كل ورشة من عشرين مشاركا إلى عشرة مشاركين،

➤ مقترح تقسيم المحاور بين الورشات، وتقديم إنتاجات كل ورشة لباقي

أعضاء المجموعة.

استمر العمل بالورشات عن بعد إلى غاية 14 دجنبر 2020، وقد شكلت فرصة اجتمع خلالها المدربون وسمحت لهم بالتعارف عن بعد. وأثناء تقاسم إنتاجات الورشات، صرح المقررون أن جل الورشات، أتمت الأعمال المطلوبة خارج أوقات الحصص الرسمية، التي يؤطرها الأستاذ المكون، حصص رسمية تتوالى فيها العمليات الأربع الإعداد-التوجيه والتأطير (الجلسة العامة) - والتنشيط (خلال أعمال الورشات) - تقديم إنتاجات الورشات. (البطاقة التقنية رقم 2). وعملية إتمام أشغال الورشات تلك لا تتيحها ورشات العمل الحضورية.

بطاقة تقنية للورشات عن بعد

الورشة الثالثة

مسلك تكوين أطر الإدارة التربوية 2021/2020

مجزوءة مشروع المؤسسة

التاريخ : الخميس 4 جويلية 2020 من س 14 و15 إلى س 18 و15

الهدف العام : تغيير مرحلة أجراء مشروع مؤسسة .

- ترجمة الأولويات إلى أهداف (SMART)
- ترجمة الأهداف إلى أنشطة
- تحديد النتائج المتوقعة والمتحققين...
- بناء الإطار المنطقي (الاستشهاد بدين من 2018 إلى 2016)

وسيلة التواصل : [google meet](#) [Go to meeting](#)

عدد الورشات: 17 ورشة . 10 أو 11 مقرب في كل ورشة.

تقسيم الورشات إلى مجموعتين

من س 14:30 إلى س 16:15
من س 16:30 إلى س 18:15

الجموعه (أ) الأواج 1 و2 و3
الجموعه (ب) الأواج 4 و5 و6

تقسيم الورشات:

- الورشة 1 تتكون من مكرري الفوج 1 (من الرقم 1 إلى الرقم 11)
- الورشة 2 تتكون من مكرري الفوج 1 (من الرقم 12 إلى الرقم 22)
- الورشة 3 تتكون من مكرري الفوج 1 (من الرقم 23 إلى الرقم 33)
- الورشة 4 تتكون من مكرري الفوج 1 (من الرقم 34 إلى الرقم 44)
- الورشة 5 تتكون من مكرري الفوج 2 (من الرقم 1 إلى الرقم 10)
- ورشة 6 تتكون من مكرري الفوج (من الرقم 11 إلى الرقم 21)
- الورشة 7 تتكون من مكرري الفوج 3 (من الرقم 1 إلى الرقم 11)
- الورشة 8 تتكون من مكرري الفوج 3 (من الرقم 12 إلى الرقم 22)
- ورشة 9 تتكون من مكرري الفوج 3 (من الرقم 23 إلى الرقم 33)
- الورشة 10 تتكون من مكرري الفوج 3 (من الرقم 34 إلى الرقم 44)

الورشة 11 تتكون من مجموع مكرري الفوج 4 (يطلب من عناصر الفوج)

ورشة 12 تتكون من مكرري الفوج 5 (من الرقم 1 إلى الرقم 11)

الورشة 13 تتكون من مكرري الفوج 5 (من الرقم 12 إلى الرقم 22)

الورشة 14 تتكون من مكرري الفوج 5 (من الرقم 23 إلى الرقم 33)

الورشة 15 تتكون من مكرري الفوج 5 (من الرقم 34 إلى الرقم 44)

الورشة 16 تتكون من مكرري الفوج 6 (من الرقم 1 إلى الرقم 10)

الورشة 17 تتكون من مكرري الفوج 6 (من الرقم 11 إلى الرقم 21)

المطلوب من المكرريات والمكررين

قبل الحصة

- الاطلاع على مصفوفة الإطار المنطقي
- تطوع عنصر من كل ورشة بإنتاج رابط عبر التطبيق المذكور و تقاسمه مع أعضاء الورشة.
- بتكفل عضو من كل مجموعة من المجموعتين بجميع الروابط ببرنامج كل ورشة وتقسيمها مع الأستاذ عبر القنن الافتراضي Google Classroom .

خلال الحصة

ستتطلب الحصة بالنسبة

➢ للمجموعة (أ) إشغال جماعي عبر منصة [Go to meeting](#) .

ثم التوجه للورشات عبر [google meet](#)

تخصص الحصة كاملة لعمل الورشات.

➢ المجموعة (ب) عمل الورشات سيطلب جماعيا عبر رابط موحّد [google meet](#) ثم التوجه للورشات عبر نفس المنصة.

تعيين ميسر ومقرر لكل ورشة مع مراعاة مبدأ التناوب في أخذ الأدوار . وتلقين الميسر لمداخلات متسبب الورشة وضبطها.

أثناء الورشة:

المجموعة أ

مشغل الورشة 1 و9 و5 على أولوية تهم الحصة المدرسية؛

الورشة 2 و4 و8 و10 على أولوية تهم تجويد التعلّقات؛

الورشة 3 و6 و7 على أولوية تهم بالتصدي لظاهرة العلف بالوسط المدرسي.

المجموعة ب

مشغل الورشة 11 و16 على أولوية تهم الحياة المدرسية،

الورشة 12 و14 و17 على أولوية تهم تجويد التعلّقات،

الورشة 13 و15 على أولوية تهم بالتصدي لظاهرة العلف بالوسط المدرسي.

بعد ولوج الأستاذ المكون للورشة ،والتهيأ للمشغل ، يقدم الميسر نفسه واسم المقرر وتكفيس للمراحل التي قُطعتها الورشة . ثم يقدم المقرر خطوط عريضة عن إنتاج الورشة والتساؤلات العالقة إن وجدت.

تقديم النتائج والتقاير الورشات سيكون في حصة لاحقة .

بتم سألين.

عاشرا: تقييم نمط التكوين عن بعد بمجزوءة مشروع المؤسسة خصوصا ما ارتبط بأشغال

الورشات:

بعد أن تقرر اعتماد نمط التكوين الحضوري بمسلك تكوين أطر الإدارة التربوية، تم إجراء تقييم نهائي لنمط التكوين عن بعد، خاص بمجزوءة مشروع المؤسسة، مع التركيز على تقييم عمل الورشات. وقد تضمنت استبانة التقييم الأسئلة التالية:

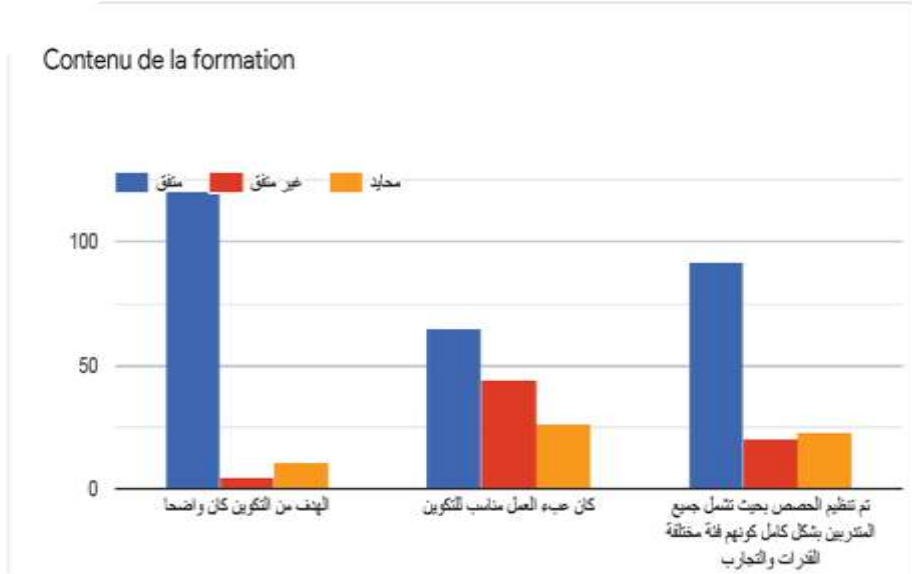
➤ خلال مرحلة التكوين عن بعد، في مجزوءة مشروع المؤسسة، ما الحصص الأكثر إفادة أو إثارة للاهتمام في رأيك؟

➤ ما رأيك في محتوى التكوين المقدم عن بعد؟

➤ ما نقاط القوة والفرص ونقاط الضعف والتهديدات (swot) الخاصة بالورشات عن بعد؟

وفيما يلي عرض لنتائج استبانة التقييم النهائي للتجربة:

تقييم نمط التكوين عن بعد وما ارتبط بأعمال الورشات -مجزوءة مشروع المؤسسة-

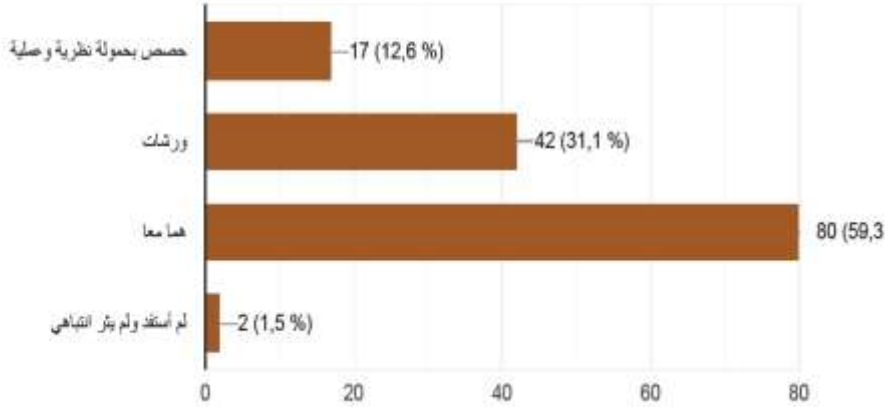


الشكل رقم 5 منهاج التكوين عن بعد.

من بين 195 إطار إداري متدرب مستجوب، تم التوصل بـ 135 جواب على استبانة التقييم النهائي، ويتبين من النتائج في الشكل السابق أن تقديرات المجيبين عن الاستبانة، تؤكد وضوح الهدف من التكوين عن بعد، في مجزوءة مشروع المؤسسة.

خلال مرحلة التكوين عن بعد، في مجزوءة مشروع المؤسسة، ما الحصص الأكثر إفادة أو إثارة للاهتمام في رأيك؟

135 réponses



الشكل رقم 6 تقديرات حول منهجية العمل المتبعة.

من خلال الشكل السابق، وبعد المعالجة الإحصائية، اتضح أن تقديرات المتدربين، المجيبين عن الاستبانة تؤكد أهمية الورشات. فقد اختار 31.1% من المستجوبين الورشات، في حين اختار 12.6% فقط حصصا بحمولة نظرية وعملية، لتتضح مدى فعالية الورشات، التي تبقى غير كافية لوحدها في برامج التكوين عن بعد من وجهة نظر متدربي مسلك تكوين أطر الإدارة التربوية فوج 2021، إذ إن 59% منهم اختاروا حصصا بحمولة نظرية وعملية، تتبعها ورشات عمل.

إحدى عشر: خلاصات واستنتاجات

إن مسوغات اعتماد التكوين عن بعد لأطر الإدارة التربوية متنوعة وكثيرة، فق جاء في حافظة مشاريع تفعيل مضامين القانون الإطار، أن المشروع 9 يهدف إلى تعزيز مسلك تكوين أطر الإدارة التربوية وتوسيعه، عبر تنظيم جديد للمسلك

والعمل على التكوين عن بعد، يتضمن مساقات خاصة بتكوين أطر هذه الفئة¹. إن اعتماد نظام تكوين أطر الإدارة التربوية في سنتين، من خلال اعتبار المتدرب خلال السنة الثانية في تكوين ميداني في إطار التحمل الكلي للمسؤولية، بالإضافة لخضوعه لتكوين بالمركز حضوريا وعن بعد، يحتم علينا استشراف سبل وآفاق التكوين بالسنة الثانية. والعمل على توظيف التكنولوجيات الحديثة من أجل تكوين مدمج وليس فقط لاستخدامها في التكوين.

يتيح التكوين عن بعد إمكانية التنمية المهنية لأطر الإدارة التربوية في أماكن وجودهم دون عناء التنقل، لكن قبل اعتماده رسميا، لا بد في مرحلة أولى من دراسة فعالية التكوين عن بعد الذي اعتمد قسرا، للتأكد من أن الأطر الإدارية تلقت تكوينا على أكمل وجه، ولإتاحة فرصة تعديل الاتجاهات وفق التغيير الحاصل، ولاستشراف المرحلة المقبلة في أفق تحديد معايير الجودة في التكوين عن بعد². وتجربة التكوين عن بعد، بصفة عامة، قطع فيها المسلك شوطا، لكنها مازالت في مراحلها الجنينية. وقد تبين من خلال التجربة أن المكون يظل قطب الرحي لمنظومة التكوين؛ رغم أن هذا التغيير في النموذج المبني على تكنولوجيا الاعلام والاتصال، يثير مخاوف بشأن كون مهنة التكوين مهددة في جوهرها.

¹ - المذكرة الوزارية 47.20 بتاريخ: 02 شتنبر 2020 بشأن تفعيل أحكام القانون الإطار متعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي المرفق رقم 3 حافظة مشاريع تفعيل مضامين القانون الإطار، ص 41.

² - أقر القانون الإطار (الباب التاسع المادة 53) وضع إطار مرجعي للجودة يعتمد كأساس لإعداد دلائل مرجعية لمعايير الجودة حسب كل مكون من مكونات المنظومة ومستوياتها ووضع رهن إشارة مؤسسات التربية والتكوين

شكلت تجربة الورشات عن بعد المعروضة أعلاه، فرصة لمحاربة هدر زمن التكوين وآلية مقبولة لتعويض الورشات الحضورية، في وقت تعذر فيه التكوين الحضورى، وهي صالحة لتفادي تنقل المشاركين إلى مقر التكوين. إلا أن التكوين عن بعد لا يعوض التكوين الحضورى داخل المراكز الجهوية، كونها مؤسسات لتكوين الأطر تستحضر مختلف مقومات العملية التعليمية سيما في جانبها التقويى. إن الدور الأساسى للمكون عن بعد، هو نفس الدور الذى يضطلع به عن قرب؛ فهو يقوم بالتخطيط والتدبير والتنشيط والتوجيه ثم التقويم¹. واحتمال أن يبقى التكوين عن بعد إجراء ظرفيا، وأسباب نزوله مرتبطة حصرا بظروف تعليق التكوين الحضورى بسبب الجائحة، تستنسخ رقما التكوين الحضورى، دون أن تشكل في حد ذاتها خيارا بديلا أكثر فعالية ونجاعة، احتمال ضعيف.

فإذا كانت التكنولوجيا مخرجا ومنفذا أساسيا في الأوقات الصعبة، فلا بد من سعى الجميع لتوفير بنية تحتية تكنولوجية قوية، متوفرة للجميع وقادرة على مواجهة أي أزمات في أي وقت. فالتحول الرقوى وعملياته واستراتيجياته مرهونة بإتاحة هذه البنية للجميع، ومدى جودتها².

1 - جاء في المذكرة الوزارية 20 / 42 الصادرة بتاريخ 18 شتنبر 2020 في شأن الدخول التكويني 2020/2021: «لضمان تكافؤ الفرص بين المتدربين والمتدربات والحكم الموضوعى على درجة تحقق الكفايات التكوينية المستهدفة وتعزيز موثوقية ومصداقية الدبلومات المسلمة من طرف مراكز تكوين الأطر التربوية، يتعين انجاز التقويمات حضوريا.»

2 - أحمد أوزي، تقديم لكتاب 4 سيناريوهات للتعليم عن بعد لجان فرنسوا بارمىتي وكوتيان فيسان، ترجمة مصطفى حسنى، منشورات مجلة علوم التربية، العدد48، الطبعة الأولى، 2020، ص21-22.

إن الأدوات الرقمية ودخولها إلى مجال التعليم والتكوين أصبحت خيارا متاحا دائم الاستعمال، وليست مجرد أدوات نخطط لاستعمالها أو الاهتمام بها عند الضرورة. وقد لفت تقرير صادر عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي إلى أن إدخال التقنيات البيداغوجية الجديدة، يتطلب تكوين المكونين على استعمال هذه التقنيات، وأنه ما زال التفكير حول تكوين مختصين في ديداكتيك تكنولوجيا الإعلام والاتصال غائبا. كما أن البحث البيداغوجي يظل نادرا ومتفرقا ومتقطعا ومرتبطا في أغلبه بمبادرات فردية طوعية، ويظل الإنتاج في هذا المجال مقتصرًا في مؤسسات تكوين المدرسين على بحوث نهاية الدراسة، والتي لا تندرج في إطار برنامج شامل وموجه ومتناسق¹.

انطلاقا مما سبق، من الضرورة الأخذ بعين الاعتبار مستقبلا:

❖ إدارة التغيير عبر إصدار دليل للتكوين عن بعد في مسلك تكوين أطر

الإدارة التربوية²؛

❖ إكساب المكونين خبرة كافية في الجانب التقني كي تسمح لهم بإدارة عملية

¹ - المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، المدرسة التكنولوجية الجديدة والرهانات الثقافية، 2014، ص38.

² - بعد التوصل، بتاريخ فاتح نونبر 2020، بالبطاقات الخاصة ببلورة مشاريع دلائل ووثائق تحيين عدة المسلك وفق النظام الجديد؛ في أفق تحيين عدة التكوين بمسلك الإدارة التربوية وفق النظام الجديد؛ لاحظت غياب بطاقة خاصة بمشروع دليل التكوين عن بعد، فبادرت إلى لفت الانتباه إلى ذلك في حينه عبر اقتراح إضافة بطاقة خاصة بدليل التكوين عن بعد.

التكوين عن بعد وتنفيذها على أكمل وجه؛

❖ تعديل أدوار المكونين والأطر الإدارية المتدربة على حد سواء؛

❖ تحديد معايير الجودة في التكوين عن بعد؛

❖ اعتماد صيغة الورشات عن بعد مع صياغة دليل للممارسات الجيدة بجميع

مراحلها من حيث تقسيم جدول الأعمال إلى تسلسلات عمل قصيرة، بعضها في جلسة عامة، والبعض الآخر في ورشات صغرى، ثم خلال جلسة تقديم الإنتاج.

❖ التعاون بين المركز والخبرات المتوفرة في تطوير التكوين بعد.

خاتمة

التكوين عن بعد بمسلك الإدارة التربوية مازال في مراحل الجينية، ويمكن أن ينجح أكثر، ويحقق أهدافه في ظل أزمة كورونا أو بدونها، لو توفرت الشروط لإنجاحه؛ ومنها توفير تكوين مسبق في مجال التكوين عن بعد، وتهيئة المكونين لمثل هذا النوع من التكوين، وتوفير البنية التحتية والرقمية اللازمة لنجاحه، وإعادة النظر في كل جوانب الدراسة والتقييم لتساير متطلبات نمط التكوين.

رغم الجهد المبذول في التكوين عن بعد، في التخطيط والتدبير والتنشيط وتقييم التجربة، وخصوصا في استثمار استبيانات تقييم عمل الورشات عن بعد، إلا أنها تعد تجربة جيدة وإيجابية بالنسبة لي، فقد كنت متردداً في السابق أن أسجل وأوثق لجزء من التجربة، لكن بفضل تنشيطها وبعد إنتاج هذه الورقة، ربما سأكون قد ساهمت بلبنة في تقديم تجربة مراكز تكوين الأطر في التكوين عن بعد، وربما يتطور الأمر بعد ذلك لجوانب أخرى بإذن الله.

المراجع:

- ❖ المذكرة الوزارية 42/20 الصادرة بتاريخ: 18 شتنبر 2020، في شأن تفعيل أحكام القانون الإطار متعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي المرفق رقم 3.
- ❖ المذكرة الوزارية 42/20 الصادرة بتاريخ: 02 شتنبر 2020 في شأن الدخول التكويني 2020/2021
- ❖ بلاغ اخباري صدر عن وزارة التربية الوطنية بتاريخ 10 شتنبر 2020.
- ❖ اليونيسكو، التعليم عن بعد مفهومه أدواته واستراتيجياته، دليل لصانعي السياسات في التعليم الأكاديمي والمهني والتقني، نشر منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة UNISCO.
- ❖ جان فرنسوا بارممتي وكوثيان فيسان، 4 سيناريوهات للتعليم عن بعد، ترجمة مصطفى حسني، منشورات مجلة علوم التربية، العدد 48، الطبعة الأولى، 2020.
- ❖ ميف موينهان وآخرون، كيف تنظم وتعد ورشة عمل، ترجمة مبارك علي عثمان، يمكن تنزيل المرجع الذي يتناول بالدراسة ورشات العمل الحضورية من الموقع <https://www.networklearning.org>
- ❖ موفق المومني، مدى فاعلية التعليم عن بعد، مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، 2020، المجلد 1، العدد 6.
- ❖ تقرير صادر عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي المغربي، المدرسة التكنولوجية الجديدة والرهانات الثقافية، 2014.

تجربة التعلم عن بعد بالكلية متعددة التخصصات بتازة

الواقع والتحديات

د. عبد الحفيظ حميمي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس

تقديم

نتيجة لانتشار جائحة كورونا، توقف التعليم الحضوري بالمغرب كما في العديد من دول العالم في إطار الحجر الصحي في مارس 2020، ما فتح الباب على تبني ما يسمى التعلم عن بعد. هذا التوجه القائم على إدماج الوسائل المعلوماتية الحديثة ظل من مقترحات برامج إصلاح منظومة التربية والتكوين منذ الميثاق الوطني للتربية والتكوين، إلى غاية القانون الإطار المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي الصادر في غشت 2019، وانكباب الوزارة المعنية بأن توفر القانون المنظم له مطلع الموسم الدراسي 2020/2021.

أثير حول موضوع التعليم عن بعد العديد من التساؤلات فهل جاء لإنقاذ الموسم الدراسي 2019/2020 فقط، أم هو توجه عام يهدف إلى تنويع كل من طرائق التدريس والعرض التربوي، وما إذا كان قطاع التعليم على استعداد لهذا الانتقال بكل مكوناته التقنية والبشرية. توجه آخر من باحثين في الحقل التربوي ينشدون هذه التقنية ويستحسنون فوائدها حتى في غياب أي ظروف استثنائية، أو بالرغم من التحديات الكبرى التي تطرحها أمام منظومتنا التربوية السائرة في طريق الإصلاح منذ عقود.

على مستوى التعليم الجامعي، تبنت الكلية متعددة التخصصات بتازة هذا التوجه مثلها مثل باقي المؤسسات الجامعية على المستوى الوطني، عمل الأساتذة والطواقم الإدارية المختصة على توفير المضامين الرقمية والدروس المصورة، كما نظمت تكوينات لفائدة السادة الأساتذة حول طرائق استغلال منصة التعليم عن بعد. هذا المستجد جعلنا - باعتبارنا باحثين - نهتم بالموضوع ونبادر إلى معالجته من جهة بسط الواقع الذي جاء فيه اختيار التعليم عن بعد باعتقاد حالة الكلية متعددة التخصصات بتازة، ومناقشة أهم التحديات التي تواجهه كخيار حتمي ودائم لمواجهة بعض مشاكل التعليم الجامعي. وقد استندنا في دراستنا لهذا الموضوع على جرد أهم مستلزمات التعليم عن بعد التي وفرتها الكلية متعددة التخصصات بتازة، وعملنا على توظيف استمارة إلكترونية موجهة لطلبة الفصول الثاني والرابع والسادس مسلك الجغرافيا، للوقوف على واقع التعلم عن بعد، إضافة إلى التحليل الواقعي والاستشراف المستقبلي لهذه التجربة التي تتطلب إمكانيات واستعدادات كبيرة لإنجاحها.

وقد ارتأينا البحث في عدة محاور تهتم بالموضوع، أولها الإحاطة بجوانب الاهتمام التي أولتها المنظومة التربوية للتعلم عن بعد خاصة خلال السنوات السابقة أو خلال المرحلة التي تزامنت وتطبيق هذا التوجه، وثانيا محاولة استجلاء المفهوم الحقيقي لكل من التعلم عن بعد أو التفاعلي، والتعلم التقني التواصلي الذي يشغل به أغلب المهتمين بالحقل التربوي، ثم تحليل واقع التجربة على مستوى الكلية متعددة التخصصات بتازة والتحديات التي تواجه نجاحها المستقبلي.

1 . المفهوم العملي للتعلم عن بعد أو التعلم التفاعلي

كثيرة هي التعريفات المقدمة للتعلم عن بعد أو التعلم الإلكتروني منها: "ذلك النوع من التعليم التفاعلي الذي يعتمد على استخدام الوسائط الإلكترونية في تحقيق الأهداف التعليمية وتوصيل المحتوى التعليمي الإلكتروني إلى الطلاب دون اعتبار الحواجز الزمانية والمكانية. وقد تتمثل تلك الوسائط الإلكترونية في الأجهزة الإلكترونية الحديثة مثل الكمبيوتر وأجهزة الاستقبال من الأقمار الصناعية... أو من خلال شبكات الحاسب المتمثلة في الإنترنت وما أفرزته من وسائط أخرى مثل المواقع التعليمية والمكتبات الإلكترونية، والمتاحف الإلكترونية..."¹. كما يعتبر "عملية نقل المعرفة إلى المتعلم في موقع إقامته أو عمله بدلا من انتقال المتعلم إلى المؤسسة التعليمية، وهو مبني على أساس إيصال المعرفة والمهارات والمواد التعليمية إلى المتعلم عبر وسائط وأساليب تقنية مختلفة، حيث يكون المتعلم بعيدا أو منفصلا عن المعلم أو القائم على العملية التعليمية، وتستخدم التكنولوجيا من أجل ملء الفجوة بين كل من الطرفين بما يحاكي الاتصال الذي يحدث وجها لوجه"².

يتضح من خلال هذين التعريفين أن التعلم عن بعد هو النمط الذي يتجاوز ظروف المكان وذلك بعدم حضور طرفي العملية التعليمية (الأستاذ والمتعلم)، وظروف الزمان وذلك بإمكانية العمل به في أي وقت من اليوم باعتماد

¹ - وليد سالم محمد الحلفاوي، التعليم الإلكتروني، تطبيقات مستحدثة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2011، ص 17.

² - منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة - اليونسكو، التعليم عن بعد مفهومه، أدواته واستراتيجياته، 2020، ص 14.

تقنيات التكنولوجيا الحديثة وخاصة الإنترنت. بعد تجربة التعلم عن بعد خلال الدورة الربيعية من الموسم الجامعي 2019-2020 بكليات المغرب، اتضح مدى اللبس في فهم معنى التعلم عن بعد أو الإلكتروني أو التفاعلي، والفرق بينه وبين التعلم التواصلي أو التقني. فإذا كانت عبارة "عن بعد" تعني غياب الاتصال المباشر بين أطراف العملية التعليمية التعلمية خاصة المدرس والمتعلم أو الطالب، فإن حدوث التعلم الحقيقي كما يتم داخل حجرات الدرس لا يعني مجرد وقوع الاتصال عن بعد، بل يجب أن تتم عميلة التفاعل وليس التلقي (المدرس مرسل للدروس والملخصات والمطبوعات على شكل Pdf أو PowerPoint أو mp4...، والمتعلم أو الطالب متلق لها)، ونظرا لسياق وظروف اعتماد التعلم عن بعد، ساد هذا الفهم الخاطئ وهو أمر طبيعي نظرا لعدم استعدادنا لهذا النمط وعدم تطويرنا له منذ ظهور توصيات رسمية بشأنه كما أشرنا إلى ذلك سابقا، على عكس عدة تجارب دولية في مجال التعليم العالي في مجموعة من الدول من الاجازة إلى الدكتوراه. وبناء على تجربتنا واهتمامنا بالموضوع قبل تطبيقه هذا الموسم، يمكن إدراج الفرق بين المفهومين كالتالي:

جدول 1. خصائص التعلم عن بعد التفاعلي والتعلم عن بعد التواصلي

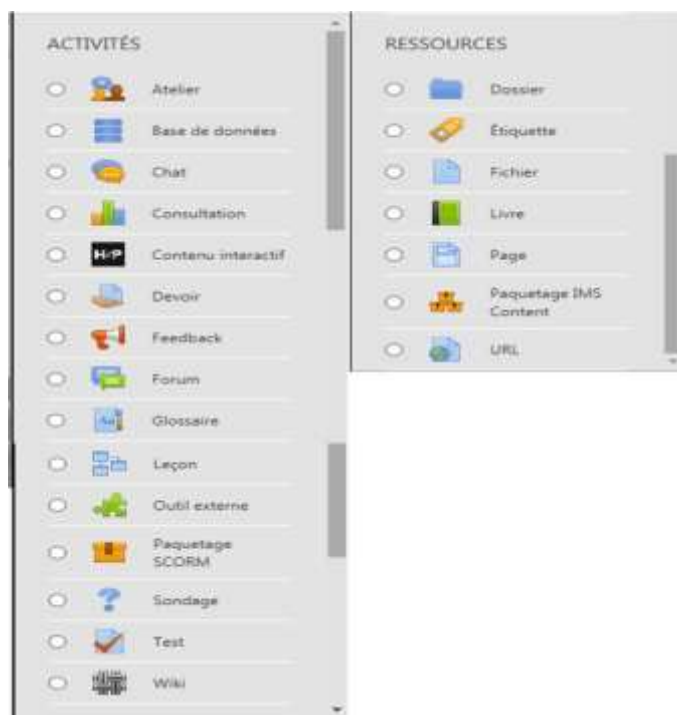
التعلم عن بعد التواصلي أو التقني	التعلم عن بعد التفاعلي	
استخدام الوسائط المعلوماتية الحديثة كالإنترنت - وسيلة للتواصل ونشر وتقاسم المعلومة.	استخدام الوسائط المعلوماتية الحديثة كالإنترنت - وسيلة للتواصل ونشر وتقاسم المعلومة.	أوجه التشابه
التلقين - يتطلب معرفة عامة - يستخدم المنصات والبرامج المعلوماتية العامة - يعتمد على الموارد فقط كالدروس والمحاضرات - يعتمد على علاقة واحدة (مدرس-متعلم) - تعلم عمودي تغيب فيه التشاركية - يعتمد الاتصال المباشر - يمكن الاعتماد على الوسائل المعلوماتية العامة - المتعلم أو الطالب مستهلك فقط.	الإبداع - تنمية المهارات - التعلم الفردي الذاتي - يتطلب معرفة وتكوين متخصصين - يستخدم المنصات والبرامج المعلوماتية المتخصصة - يعتمد على الموارد والأنشطة المتنوعة معا - يعتمد على علاقتي (مدرس-متعلم، متعلم-متعلم) - تعلم بنائي تشاركي - يعتمد التفاعل المباشر - يتطلب بنية تحتية خاصة - المتعلم أو الطالب متفاعل ومنتج - معد من قبل فرق بيداغوجية متخصصة.	أوجه الاختلاف

نستخلص أن تحضير دروس وملخصات ومحاضرات أو مطبوعات مصورة أو على شكل أشرطة ووضعها في متناول المتعلمين أو الطلبة لا يعد تعلمًا عن بعد

وإنما توأصلا عن بعد فقط، أما بالنسبة للتعلم عن بعد فمثله مثل التعلم الحضوري يعتمد على آليات ديداكتيكية مثل منصات التفاعل الإلكتروني المعمول بها حاليا بمختلف الجامعات المغربية (Moodle-plateforme-pédagogique) أو (Plateforme E-learning)، وتقديم موارد مختلفة تتماشى وطبيعة الوحدة المعنية (نصوص، خرائط، جداول إحصائية، أشرطة، روابط كتب...)، ثم عرض أنشطة تفاعلية يتقاسمها الجميع ويشارك فيها بما فيها المدرس مناقشة وشرحاً وإجابة وتصحيحاً وتقييماً... ليخلص العمل في النهاية إلى متوج علمي تفاعلي جماعي تلقى فيه المتعلم أو الطالب فرصة بناء تعلماته ومهاراته الذاتية...

شكل 1. نافذتا الموارد والأنشطة المتنوعة بمنصة التعلم عن بعد (E-learning)

بالجامعات المغربية



2. التعليم بالمغرب من إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال إلى التعلم عن بعد

من بين مستجدات الإصلاح التي باشرها المغرب مطلع هذا القرن هو تقديم توصيات لإدماج التكنولوجيا الحديثة في الحقل التربوي، كما جاء في الدعامة العاشرة من الميثاق الوطني للتربية والتكوين سنة 1999، ثم ما جاء في المخطط الاستعجالي سنة 2008 وبخاصة انطلاق برنامج GENIE. وقد توضحت بشكل كبير فكرة تطوير عملية إدماج تكنولوجيا الإعلام والتواصل في الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030 حيث جاءت كأحدى محاور الرافعة العشرين باعتبارها شرطا حاسما في تجديد المدرسة المغربية والارتقاء بها، إذ أوصى بإنهاء عملية تجهيز كل المؤسسات المدرسية والمكتبات والبنيات الجامعية بالوسائل المعلوماتية الحديثة وبكل الموارد الرقمية، وكذا إدماجها في جميع مستويات التدبير والتكوينات وتقاسم المعلومة... ومن أهم ما تضمنه التقرير الدعوة إلى تنمية وتطوير التعلم عن بعد باعتباره مكملا للتعلم الحضوري...¹.

بناء على هذه المستجدات، جاء القانون الإطار رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي سنة 2019 كأرضية لتنفيذ الرؤية الاستراتيجية ليؤكد على ضرورة إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في النهوض بجودة التعلّمات وتحسين مردوديتها، إضافة إلى تأكيد التعلم عن بعد، وإدماج التعليم

¹ المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي. من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، الرباط، 2015، ص 58، 59.

الإلكتروني تدريجيا في أفق تعميمه¹.

شكلت إذاً تكنولوجيا المعلومات والاتصالات جانبا من اهتمامات المشرع المغربي في مجال التربية والتكوين مواكبا بذلك مستجدات التعليم العالمي والتحول المجتمعي، فلا أحد ينكر عمق التحول الذي أحدثته هذه التقنيات في حياتنا الحالية ومكانتها في مستقبلنا، هذا بالإضافة إلى فوائدها الكبرى. غير أن هذا الإدماج ظل يراوح مكانه بسبب ضعف الوسائل والتجهيزات ونقص في تكوين وتأطير الأطر التربوية مما جعلها عملية بطيئة، ليأتي الانتقال إلى التعلم عن بعد بشكل اضطراري، ويؤكد أولوية هذا التوجه وحتمية التنزيل، إذ لولا انتشار جائحة فيروس كورونا ل بقي بدوره حبيس التقارير والمذكرات. فعكس دور الوزارة الكامل في عملية إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي بدأت كمرحلة أولى، ليتسع التعلم عن بعد ليشمل الأسر والتلاميذ والطلبة ويجعلهم فاعلين في إنجاح ذلك أو فشله.

بمجرد توقف الدروس الحضورية مع إعلان حالة الحجر الصحي بتاريخ 16 مارس 2020، سارعت الكليات على المستوى الوطني في تنشيط منصات التعلم عن بعد مسانرة بذلك بلاغات الوزارة الوصية في هذا الشأن. وقد تنوع هذا التعليم الجديد بين وضع دروس رقمية أو مصورة يمكن للطلبة إما الاطلاع أو تحميلها، بالإضافة إلى برمجة حصص تفاعلية مباشرة بين الأساتذة والطلبة. في مطلع الموسم

¹ الدولة المغربية الشريفة المحمدية، الجريدة الرسمية. ظهير شريف رقم 1.19.113 بتاريخ 7 ذي الحجة 1440 / 9 أغسطس 2019، بتنفيذ القانون- الإطار رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، عدد 8605، الرباط. ص 5632.

الحالي 2020-2021، وبالنظر إلى تأخر انطلاق الدراسة بشكل فعلي نتيجة لإجراء امتحانات الدورة الربيعية المؤجلة، فقد منح مجالس المؤسسات البت في طرائق التعليم إما عن بعد أو الحضورى أو هما معا. على مستوى الكلية متعددة التخصصات بتازة قرر مجلس الكلية اعتماد الصيغتين معا (الحضورى بالنسبة للفضول التي لا يتعدى عدد الطلبة بها 140، وعن بعد بالنسبة للفضول التي يتجاوز عدد الطلبة المسجلين بها 140).

تؤكد هذه المستجدات مدى أهمية التعلم عن بعد ليس كخيار استثنائي لمواجهة آثار جائحة فيروس كوفيد 19، بل كتوجه ضرورى في أفق تطوير طرائقه وتوفير كل لوازمه التقنية والبشرية وحتى الإطار القانونى لتنظيمه ومأسسته. فلا يمكن تأخير ورش شرع العمل به وحققت المنظومة التربوية تقدما ملحوظا بشأنه، بل واستحسنه العديد من الفاعلين والمهتمين، مما يفتح باب التحديات أمام الجميع لتنميته وإدماجه في الحقل التربوى حتى وإن كان دوره تكميليا.

3. واقع تجربة التعلم عن بعد بالكلية متعددة التخصصات بتازة والتحديات التي تواجه

نجاحها المستقبلى

1.3. التعلم عن بعد بالكلية متعددة التخصصات بتازة: إمكانيات وواقع

بتجربة جديدة

دخلت الكلية متعددة التخصصات بتازة مرحلة التعلم عن بعد منذ 16 مارس 2020، موظفة بذلك كل إمكانياتها ومواردها البشرية وتجربتها السابقة فيما يخص العديد من الخدمات التي كانت مبرمجة عن بعد.

قبل اعتماد التعلم عن بعد، سبق للطاقم الإداري بالكلية المكلف بالخدمات المعلوماتية أن قدم عدة خدمات عن بعد تهم الطلبة عبر البوابة الإلكترونية الخاصة بها <http://fpt.usmba.ac.ma/fpt> منها التسجيل القبلي للطلبة الجدد ثم إعادة التسجيل وعمليات الانتقال الداخلي أو الخارجي للطلبة، وتتضمن هذه البوابة عدة دلائل وأشرطة توضيحية مساعدة في تقديم الخدمات للطلبة، ثم وضع رهن إشارة كل طالب مسجل بالكلية بريده الإلكتروني الأكاديمي الذي يمكنه من الاطلاع على وضعيته الإدارية واستخلاص الوثائق كاستدعاءات اجتياز الامتحانات والاطلاع على النقط، وكذا استصدار بعض الشواهد الخاصة بالنقط والتسجيل الجامعي... هذا بالإضافة إلى خدمات أخرى كان ولا يزال يستفيد منها الطلبة بالكلية عن بعد منها الاطلاع على المنحة الجامعية، والدخول إلى قوائم عناوين الكتب بالمكتبة، والإعلانات كتواريخ الامتحانات دون الحضور إلى الكلية. مع بداية الحجر الصحي، لم تكن الكلية تتوفر على منصة للتعلم عن بعد، غير أن الطاقم المتخصص على مستوى جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس قام بإنشائها وإعدادها وجعلها في متناول الأساتذة والطلبة، وبذلك بدأت تجربة جديدة على الرابط: <http://elearn-fpt.usmba.ac.ma/login/index.php>

شكل 2. واجهة المنصة الحالية للكلية متعددة التخصصات بتازة



شكل 3. واجهة منصة التعلم عن بعد (E-learning) بالكلية متعددة

التخصصات بتازة الخاصة بسلك الإجازة



شكل 4. واجهة منصة التعلم عن بعد (E-learning) بالكلية متعددة التخصصات بتأزة الخاصة بسلك الماستر

تمكنت الكلية من تغطية جميع الوحدات المتوفرة بالكلية سواء بسلك الإجازة (13 وحدة) أم بالماستر (8 وحدات)، وسارع السادة الأساتذة إلى استخدام المنصة حيث بدأت العملية بجمع الدروس التوجيهية والتطبيقية والمطبوعات الخاصة بالوحدات التي كانت مبرمجة لاجتياز امتحان الدورة الربيعية (الفصول الثاني والرابع والسادس) والماستر، تجاوز عددها 700 دعامة رقمية على شكل صيغ متنوعة pdf و ppt وأشربة مصورة، ووضعها رهن إشارة حوالي 11000 طالب وطالبة.

تواصلت العملية بعد ذلك باستخدام منصة التعليم عن بعد حيث فتح العديد من الأساتذة ذوو التجربة السابقة الباب لمجال التفاعل والتعلم التشاركي بتطبيق

تقنياته بشكل صحيح، ضمانا للاستمرارية والمتابعة البيداغوجية. ونشير في هذا الباب إلى استفادة أساتذة الكلية من تكوين عن بعد في موضوع تطبيق تقنيات وأدوات التعلم عن بعد بإشراف من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس وتأطير من أساتذة متخصصين.

بالرغم من عدم الاستعداد القبلي لإدراج التعلم عن بعد كآلية في التدريس بالكلية، فقد أبان الطاقم البيداغوجي والإعلامي والسادة الأساتذة عن جهود مهمة في مساندة هذا التوجه في ظرف قياسي، الأمر الذي وفر للطلبة منظومة رقمية كافية للتحضير لامتحان الدورة الربيعية حتى بالنسبة للدروس التطبيقية. وبغية ضمان توضيح كامل وبحضور الأستاذ، نظمت على مستوى مسلك الجغرافيا مثلا العشرات من اللقاءات المباشرة عبر التقنيات الإلكترونية المتاحة حاليا بالرغم من مواجهة العديد من الصعوبات التي سنوضحها لاحقا. غير أن التساؤل المحوري الذي يهم نجاح التجربة من فشلها يبقى حول موقع الطالب المستهدف الأول والأخير منها، وما إذا تحقق الهدف بالنسبة له في الحصول على تعليم ميسر وذو جودة كما نص على ذلك دستور المغرب لسنة 2011؟

2.3. موقع وواقع الطالب من تجربة التعلم عن بعد بالكلية متعددة

التخصصات بتازة (مسلك الجغرافيا نموذجاً)

بغية إشراك الطلبة في تقييم تجربة التعلم عن بعد، قمنا بإجراء استمارة إلكترونية عن بعد بتقنية (Google Forms) موجهة لطلبة مسلك الجغرافيا، توصلنا بإجابات 132 طالب وطالبة، وهو ما يمثل حوالي 7% من مجموع طلبة المسلك الذي يقدر بحوالي 1900، وأغلبهم كانوا ينتمون إلى الفصل الرابع الذي أشرفنا على

تدريسه حيث سجلت نسبة إجاباتهم حوالي 19 % . وقد همت ثلاثة محاور أساسية هي:

- تحديد الإمكانيات التقنية المتوفرة لدى الطلبة من هواتف ذكية وحواسيب، وطبيعة استخدام الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)؛
- رصد مستوى استيعاب الطلبة للمحاضرات والدروس التوجيهية والتطبيقية والإكراهات التي عانوا منها في تحقيق ذلك؛
- رصد آراء الطلبة واختياراتهم بين التعلم الحضوري والتعلم عن بعد.

فيما يخص مستوى الإمكانيات التقنية التي تعتبر من أساسيات إجراء التعلم عن بعد، توصلنا إلى أن 85,6 % من الطلبة يتوفرون على هواتف ذكية تماشياً وظروف الحياة الحالية، عكس امتلاك الحواسيب التي أشارت إجابات الطلبة إلى أن حوالي ثلاثة أرباع منهم لا يمتلكونها، وأن 84,1 % لا يتوفرون على اشتراك في شهري في الإنترنت.

جدول 2. مستوى الإمكانيات التقنية اللازمة للتعلم عن بعد لدى الطلبة

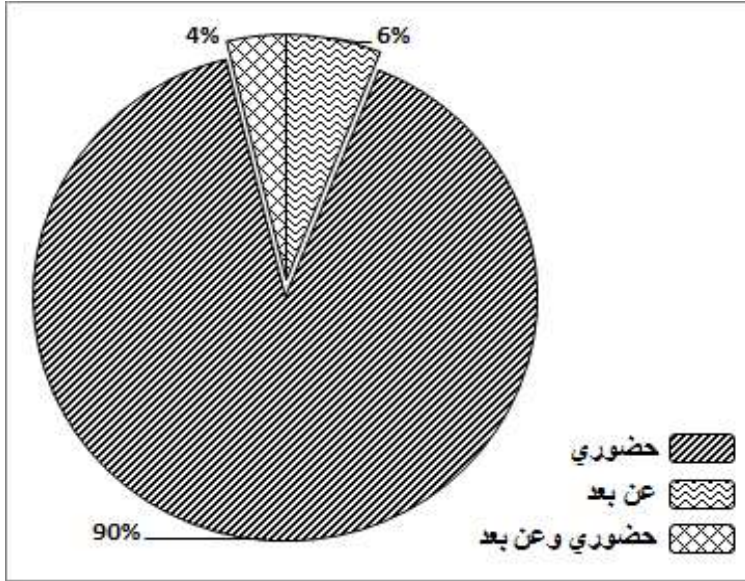
الاشترك الشهري في الإنترنت		امتلاك الحاسوب		نوع الهاتف		العدد
لا	نعم	لا	نعم	عاد	ذكي	
111	21	101	31	16	113	
84,1	15,9	76,5	23,5	14,4	85,6	%

المصدر: الاستمارة الإلكترونية (أكتوبر ونونبر 2020)

وهذا يدل على واقع هش لا يسمح بتحقيق نتائج مقبولة فيما يخص التعلم عن بعد، لأن الطلبة لم يكونوا قادرين على القيام بتعبئة هواتفهم باستمرار. وهو الأمر الذي تم تسجيله على مستوى التواصل المستمر بمنصات ومواقع التعلم عن بعد التي سخرتها الكلية لهذا الغرض، حيث أكدت الاستمارة أن 12,1 % فقط كانوا يزورون هذه المواقع يوميا، وأن 15,2 % كانوا يرتادونها كل أسبوع، على العكس من ذلك ظلت الغالبية أي بنسبة 72,7 % لا يزورها إلا من حين لآخر قد يتجاوز الأسبوع. هذا الأمر لامسناه من خلال الاشتغال بأنشطة تفاعلية على منصة التعلم عن بعد الخاصة بالكلية واللقاءات المباشرة عن بعد، إذ لم يكن يتجاوز عدد المشاركين فيها لدى جميع أساتذة مسلك الجغرافيا الذين اشتغلوا بهذه التقنيات 15%.

من خلال الاستمارة كذلك تبين أن مستوى استيعاب الطلبة للدروس التي وضعت رهن إشارتهم بمختلف أشكالها وحتى اللقاءات المباشرة لم تفي بالغرض حيث عبر 49,2 % عن استيعاب ضعيف، وأن 44,7 % كان استيعابهم متوسطا، بينما عبرت 6,1 % فقط عن رضاها بشكل جيد. وهو ما يتطلب تعليما حضوريا وهو ما أكدته حوالي 90% من المستجوبين، وأن 97% يفضلون وبشكل ضروري حضور الأستاذ إلى جانبهم، وهو ما يبين ضعف الاعتماد على التعلم الذاتي الذي يعتبر من أساسيات نجاح التعلم عن بعد.

شكل 5. مستويات استيعاب الدروس والمحاضرات



المصدر: الاستمارة الإلكترونية (أكتوبر ونونبر 2020)

يجلنا كذلك واقع تجربة التعلم عن بعد على رفض أغلب الطلبة الذين شملتهم الاستمارة اجتياز الامتحان عن بعد بنسبة قاربت 88 %، وهو ما يؤكد ضعف امتلاك الطلبة للحواسيب الضرورية لهذه العملية، ناهيك عن غياب الاشتراك الشهري في الإنترنت لدى معظمهم كذلك. لنخلص في النهاية إلى رصد آراء الطلبة حول التعلم عن بعد بصفة عامة، حيث عبر 58 % منهم عن رفضهم له بشكل مطلق، وأن حوالي 32,6 % يقبلونه بشكل تكميلي، في حين يعتبر مرضيا وأساسيا لدى قلة منهم بنسبة 9,1 % فقط. هذا الأمر يضع هذه التجربة أمام تحديات جمة مطلوب تجاوزها في أفق تعميم وتطوير آلية التعلم عن بعد.

3.3. تواجه تجربة التعلم عن بعد عدة تحديات تعيق نجاحها بالكلية متعددة

التخصصات بتازة

انطلاقا من تحليل واقع اجراء التعلم عن بعد بالكلية خلال الدورة الربيعية للسنة الجامعية 2019-2020، نستنتج وقوف عدة تحديات أمام نجاحها المطلوب، يظهر أولها على المستوى التقني فلا يمكن تطبيق هذه الآلية، علاوة على أن نسبة 76,5% من الطلبة لا يملكون حواسيب في بيوتهم بالرغم من ارتفاع نسبة امتلاك الهواتف الذكية، غير أنها غير كافية للقيام بالتطبيقات التي يتطلبها التعليم الجغرافي الذي يستوجب التوفر على حواسيب ذات جودة عالية للتعامل مع العديد من البرمجيات، بالإضافة إلى إنترنت ذي صبيب عال وغير متقطع. كما يعد اعتماد حوالي 83,3% من الطلبة حسب نتائج الاستمارة على التعبئة الجزئية مشكلا في حد ذاته حيث يجد من الاتصال المستمر بمنصة التعلم عن بعد الخاصة بالكلية، بسبب عدم قدرة البعض منهم على توفير واجبات الانخراط الشهري.

تحديات أخرى مرتبطة بمستوى التغطية بشبكة الإنترنت وجودتها، فلا يخفى على أحد ونحن عشنا كذلك هذا الواقع بحيث أن شركات الاتصالات أصبحت عاجزة عن توفير صبيب مرتفع للإنترنت ومناسب لضمان نجاح أفضل لتقنية التعلم عن بعد، والاستعداد التقني لمواجهة الارتفاع المتتدر على مستوى الضغط على الشبكة وعلى مستوى تعدد مشاكل استعمال الأنترنت. فقد أكد 85,3% من المستجوبين معاناتهم مع هذا المشكل وحتى من الانقطاعات المتكررة بالنسبة لذوي الاشتراك الشهري، ناهيك عن مشكل غياب الشبكة خاصة بالعالم القروي الذي

وجدنا أن 51٪ من الطلبة حسب الاستمارة ينحدرون منه، وهو ما زاد من تعقيد الأمور لديهم حتى بالنسبة للحصول على المطبوعات والدروس الرقمية.

مستوى آخر يطرح باعتباره تحديا ويسائلنا جميعا وهو ضعف استعداد الطلبة وانخراطهم الفعلي في هذا النوع من التعلم، فبالرغم من ارتفاع نسبة الطلبة الذين يملكون هاتفا ذكيا فإن نسبة 72,6٪ منهم لا يزورون منصة الكلية إلا من حين إلى آخر أي بأكثر من أسبوع، بينما البعض منهم يزورها بشكل يومي لا يمثل سوى 10٪ من مجموع عينة الدراسة.

من جهة أخرى، ونظرا للظروف الاستثنائية التي جاءت فيها هذه التجربة. فقد تمثلت أغلب مساهمات الأساتذة في وضع مطبوعات ودروس رقمية ولم تكن تفاعلية بالشكل الصحيح الذي تطبق به آلية التعلم عن بعد، بالرغم من مجهودات جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس التي قامت بتوفير أهم المستلزمات وتنظيم دورات تكوينية لصالح الأساتذة بغية الاستخدام الصحيح للمنصة ومختلف التقنيات المرتبطة بها، مما أربك العملية خصوصا في بدايتها.

4. كيف يمكن تطوير آلية التعلم عن بعد بالكلية متعددة التخصصات بتازة

فرضت ظروف جائحة كوفيد 19 الخضوع لعدة تحولات في العديد من الميادين، ولعل أبرزها في الميدان التعليمي اعتماد التعلم عن بعد ليس كخيار ظرفي وإنما كواقع مفروض. فتخصص الجغرافيا - ونظرا لطبيعته التطبيقية - سبق وأن أدمج التقنيات والتكنولوجيا الحديثة في التدريس كإنجاز الخرائط ومعالجة البيانات الإحصائية والصور الفضائية بالاعتماد على نظم المعلومات الجغرافية، غير أن تطبيق

التعلم عن بعد وأدواته يتطلب تجاوز العديد من الإكراهات ومضاعفة الجهود وانخراط الجميع من خلال:

- تجاوز العائق التقني وذلك بالعمل على توفير حواسيب للطلبة بأئمة تحفيزية، فكما نجحت الحكومة في توفير التغطية الصحية لجميع الطلبة وتوسيع عدد المستفيدين من المنحة والرفع من قيمتها، فهي قادرة على إنجاز الفكرة إذا ما توفرت الإرادة الحقيقية حتى وإن طبق التعلم عن بعد بشكل تكميلي خلال الظروف العادية، فالعديد من الطلبة قد يختارونه للتقليل من عدد تنقلاتهم إلى الكليات والمعاهد كما هو الحال بالنسبة للعالم القروي. جانب آخر يعد مطلوباً في هذا الباب يتمثل في تزويد الكلية بآليات تسجيل وبث الدروس إما بشكل مباشر أو بغيره وبشكل احترافي مع وتوفير الفرق التقنية الكافية للقيام بذلك، فأغلب الدروس المصورة التي قدمت للطلبة خلال الدورة الأخيرة كانت من اجتهادات الأساتذة؛

- على شركات الاتصالات تحسين جودة الخدمات والرفع من الصبيب والمساهمة كأطراف فاعلة في نجاح التجربة، وذلك بتجاوز مشكل الشبكة réseau خاصة بالمناطق القروية، وتحسين جودة الصبيب، مع التفكير في فتح منصات الكلية والمكتبات بالمجان دون الحاجة إلى الاشتراك المؤدى عنه، وتزويدها بشبكة مجانية للاتصال عن بعد للاستفادة منها داخل فضائها؛

- تنظيم دورات تكوينية وتخصيص حصص لصالح الطلبة في مجال التعلم عن بعد، فكما نظمت دورات عديدة لصالح الأساتذة أصبح لزوماً فتح المجال للطلبة من أجل الحصول على معارف ومهارات في كيفية تطبيق التقنيات الحديثة في التعلم،

فلا نشك في نجاحهم كون أغلبهم يتقن استعمال وسائل التواصل الاجتماعية ويتوفر على هاتف ذكي؛

- ضرورة توجه الأساتذة إلى الاشتغال بالتعلم عن بعد التفاعلي وليس التواصل، وتكثيف اللقاءات المباشرة بغية إدماج هذه الآلية في حياة الطلبة وجعلها جانبا مهما من اهتماماتهم، وفتح تخصصات جديدة ومسالك الماستر يشكل فيها التعلم عن بعد أغلب الحصص؛

- مواصلة البحث والتقييم لتجربة التعلم عن بعد بغية الوقوف على فوائدها ومكامن الضعف التي تعيق نجاحها، وذلك بتكليف خلايا مختصة بهذه المهمة في أفق وضع تصور واستراتيجية وطنية ومحلية لإدماج سلس لهذه الآلية وضمان قبولها والانخراط فيها من قبل الجميع، إلى غير ذلك من الأفكار التي يمكن أن تخدم هذا التوجه وتسهم في نجاحه.

خاتمة

أصبح التعلم عن بعد أمرا واقعا لا يمكن إغفاله أو التأخر في الاهتمام به في الوقت الذي يعيش المجتمع عصرا جديدا من الثورة المعلوماتية، فالعديد من التجارب لا يكتب لها النجاح إلا بممارستها وتنزيلها على أرض الواقع. فكما نجح العمل عن بعد بالنسبة للعديد من الخدمات الاجتماعية في حياتنا فلا نشك في نجاح التعليم عن بعد في الميدان التربوي.

والحقيقة أن هذه التجربة تعد فرصة سانحة لتطوير منظومتنا التعليمية وجعلها مسايرة للتقدم المتسارع الذي يعرفه العالم، فضلا عن توفير منظومة تعليمية

متناسكة وقادرة على مواجهة الأزمات. فكثرة التوصيات الداعية لإدماج آلية التعلم عن بعد في الحقل التربوي دون تفعيلها لا يعد من الأمور الصحية والمقبولة حاليا، خاصة ونحن أمام مشروع جديد لإصلاح النظام التعليم الجامعي المتمثل في سلك البكالوريوس حيث يشير إلى ضرورة تخصيص نسبة للتعلم عن بعد في بعض الوحدات إلى جانب التعلم الحضوري.

اهتمامنا هذا بالتعلم عن بعد لا يعد دفاعا عنه بشكل مطلق، فلا يمكنه تعويض التعليم الحضوري، ذلك بأن حضور الطالب ولقائه بالأستاذ وزملائه بالمؤسسة يعتبر عنصرا فعالا في تكوين شخصيته وصقل قدراته وتحضيره لتحمل المسؤولية مستقبلا داخل المجتمع. لكل ذلك نرى من وجهة نظرنا أن يظل التعلم عن بعد عملية تكميلية للتعلم الحضوري وداعما ومساعد له، في أفق مأسسته وترسيمه وتوفير الدعم اللازم لنجاح هذا الدور التكميلي ثم التفكير في تطويره مستقبلا.

لائحة المراجع

- الدولة المغربية الشريفة المحمدية، الجريدة الرسمية. ظهير شريف رقم 1.19.113 بتاريخ 7 ذي الحجة 1440 / 9 أغسطس 2019، بتنفيذ القانون- الإطار رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، عدد 8605، الرباط.
- المملكة المغربية، اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 1999.
- المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، من أجل مدرسة

- الإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، 2015.
- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، من أجل نفس جديد للإصلاح، تقديم البرنامج الاستعجالي 2009-2012، التقرير التركيبي، 2008.
- وليد سالم محمد الحلفاوي، التعليم الإلكتروني، تطبيقات مستحدثة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2011.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة - اليونسكو، التعليم عن بعد مفهومه، أدواته واستراتيجياته، 2020.
- عبد الحفيظ حميمي، تكنولوجيا المعلومات: رهان الدعم المنهجي عن بعد في التاريخ والجغرافيا حالة اكتساب منهجية الوصف باستثمار الخريطة، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق، سلسلة ندوات وأيام دراسية (7)، وجدة، 2019.
- روبرت م. جانبيه، أصول تكنولوجيا التعليم، ترجمة محمد بن سليمان بن حمود المشيقح وآخرون، النشر العلمي والمطابع، الرياض، 2000.

قصّة قصيرة "الوباء"

محمد مباركي

قاص وروائي

منيتُ بيوم كظّل الرّماح، ما وقع لي فيه لم يكن يخطر لي على بال. استيقظتُ على السّاعة السّابعة صباحًا. استحمتُ كعادتي وجلستُ أتناول فطوري الذي أعدّته لي زوجتي ليلاً. خطفتُ نظرة إلى السّاعة الحائطيّة. وقفت اللّقمة في حلقي، فبدل أن تشير السّاعة إلى السّابعة وعشرين دقيقة وهي الفترة التي أكون فيها قد أنهيتُ استحمامي كانت تشير إلى السّادسة وأربعين دقيقة. قمتُ إلى المغسلة وغسلتُ وجهي عدّة مرّات واسترأيتُ بالمرآة قرابة خمس دقائق. عدتُ إلى مكاني ونظرتُ إلى السّاعة، فوجدتها تشير إلى السّادسة وخمس وثلاثين دقيقة. شككتُ في أن يكون أحد الأشقياء من أبنائي دبّر لي مقلّبًا كعادتهم. انتزعتُ السّاعة من مكانها وقلّبتها جيّدًا. نظرتُ إلى عقرب الثّواني وقربته من أذني، فبدل تكتكته المعهودة "تيك توك" تحوّلت إلى "كيت كوت"، فتأكّدتُ حينها أنّه يدور عكس دورانه المعتاد. ومعنى ذلك أنّ الزّمن يرجع إلى الوراء... تناولتُ فطوري بسرعة وحققتُ ذراعي بحقنة الأنسولين. وجلستُ أنتظر استيقاظ زوجتي وأبنائي. استبطأتُ استيقاظهم. دخلتُ غرفة أبنائي أوّلاً. وجدتهم قد انقلبوا إلى كرامة الله وعفوه. ذهلتُ، أحسستُ بشعر رأسي يتشوّك تحت طاقتي. انتحبتُ في صمت. جريتُ إلى غرفة نومي لأوقظ زوجتي. وجدتها جثّة هامدة. صرختُ صرخة مزّقت سكون ذلك الصّباح. خرجتُ إلى الزّقاق. ناديتُ على الجيران. لم يجيني غير الصّمت القاتل. سألتُ نفسي "أتراهم ماتوا هم

أيضا؟". طرقتُ بابَ جاري الجنب. انفتح كأنَّ قوَّةَ خفيَّةٍ فتحتَه. دخلتُ أترقبُ وأنادي على جاري. لم يجبني سوى الصَّمت الرَّهيب. جريتُ إلى الغُرف التي كانت أبوابها مفتوحة أو مواربة. دخلتُ غُرفة نوم جاري وجدتهُ وزوجته ميَّتين. دخلتُ غُرف أفراد أسرته واحدة واحدة. وجدتهم ميَّتين هم أيضًا. تشنَّجت أعصابي. ذهبتُ نفسي تَلْفًا وظَلْفًا، بهت جِناني وتلجلج لساني وأصبتُ بنوبة من الجنون. اشتدَّت حركتي وفرطت سرعتي وتسارعت نبضات قلبي. هربتُ مما رأيتُ جزعًا. خرجتُ من منزل جاري وأسلمتُ ساقِي للريِّح. همتُ في مدينتي طولًا وعرضًا. كنتُ أنتقل من زقاق إلى آخر ومن شارع إلى آخر ومن حيِّ إلى آخر. ما كان ذلك إلا بقدر قَبَسَةِ العجلان وصرخة اللِّهفان. لم أجد في جولتي تلك سوى الموت قد ضرب بقوَّة أهل مدينتي كبيرهم وصغيرهم، شريفهم ومشروفهم، قويهم وضعيفهم، حاكمهم ومحكومهم. تيقَّنتُ من أنَّ مدينتي وُبِنَتْ كلِّها. صار أهلها مثل ماشية تَبَوِّق فيها الوباء. جعل الموت صدري ضيقًا حَرَجًا كأنَّما يَصْعَدُ في السَّماء. صرختُ "يا ويحي قد عظم الوباء وانقطع الدَّواء وغاب الأطبَّاء". تألَّمتُ من وجع المصيبة العظيمة. رَجَعْتُ أكثر من مرَّة، فاستفقتُ ممَّا عراني. سألتُ نفسي "ما هذا الرَّجْز؟ ما هذا استثنائي كي أكون شاهد عيان على جبروته وجوره وخبطه؟

رجعتُ إلى منزلي. فتحتُ التِّلْفاز على القناة الوطنيَّة لعلِّي أستقي منها خبرًا. لم يظهر سوى النَّمش على الشَّاشة. فتحتُ المذياع على المحطَّة الوطنيَّة. لم أسمع سوى الأزيز. أدرتُ زرَّ الموجات على كلِّ المحطَّات، فلم أسمع سوى الأزيز أيضًا. تيقَّنتُ

من أن الوباء لم يضرب مدينتي فقط بل ضرب البلد والعالم كله. لم أدْرِ لماذا قفز إلى ذهني فيلم "وحيد في العالم" الذي كنتُ قد شاهدته مرّات عدّة وسألْتُ نفسي ماذا لو كنتُ مكان بطل الفيلم. وها أنا وحيد بمدينتي وربّما في بلدي وربّما في العالم.

كان عليّ أن أجمع حقيقتي وأضع فيها بعض ملاسبي وزادي وأخرج باحثًا عن بشر. إن بقي بشر في هذا العالم الموبوء أستأنس بهم.

خرجتُ من مدينتي جنوبًا هائما على وجهي. بدالي وكأني أصحرت. لا أدري كم همّتُ وسط بحر من الصّمت والفراغ القاتلين حتّى انتهيتُ إلى غابة رواقية بضواحي قرية ميّنة. لا عهد لي بها. عشتُ بتلك الغابة زمنًا لم أستطع تحديده. كنتُ أقتات ممّا تنبته بعض أشجارها المثمرة وأبيت معلّقًا بين أغصانها حيثما هدّني التّعب من المشي المتواصل والتّفكير فيما صرتُ إليه. تحوّلت الغابة إلى عالمي الوحيد. الغريب أنّها كانت خالية من الوحيش، ساكنة بلا حفيف أو فحيح. كنتُ أصرخ بين الحين والحين صرخات "طرزانية" لعلّ أحدهم يسمع صراخي، فيبادلني الصّراخ بالصّراخ، فيقبل عليّ أو أقبل عليه. أصبحتُ وحيدًا متغرّبًا كشتلة حمقاء في سرير نهر نائم.

قرّرتُ في صباح نديّ الخروج من الغابة من طرفها الآخر. جددتُ في السّير مدّة لا أعرف كم استغرقت من الأيام؛ لأنني فقدتُ السيطرة على الزمن. تناهى إلى مسامعي في صباح يوم جميل خوار ونهيق وشحیح وصهيل ونقنقة وصقاع وضربات فأس. قلتُ "إنّها الحياة" وجريتُ بها أوتيتُ من قوّة متجنّبًا الأغصان والأشواك حتّى وقفتُ على طرف الغابة. شاهدتُ مزرعة كتلك المزرعة التي ولدتُ فيها

وترعرعت. جرى إلى كلب أنوس أعرفه. كان اسمه "بيسي". نبج في نباحًا شديدًا جعل شيخًا يخرج من منزل الضيعة يستطلع الأمر تتبعه عجوز ومن ورائها كنة تحمل صبيًا وشابًا في مقتبل العمر. نظر الشيخ إلى حيث كان الكلب "بيسي" ينبج، فلم يشاهد غير سراب يتلألأ في شكل شبح. استعاذ بالله ونهر الكلب الذي ابتعد وبقي ينبج. سألت العجوز الشيخ عن سبب نباح الكلب. ردّ عليها "قد شاهدت شبحًا". تفلت العجوز على صدرها ثلاث مرّات واستعاذت بالله وجرت إلى المجرم المتقد ورمت فيه بخورا كعادتها.

يا الله! لم يكن الشيخ سوى جدّي ولم تكن العجوز سوى جدّتي ولم تكن المرأة سوى أمّي ولم يكن الشاب سوى أبي ولم يكن الصبيّ سوى أنا. ولم تكن المزرعة سوى مزرعتنا قبل أن يدمرها الاستعمار الفرنسي الغاشم الملعون.

خلصتُ إلى أنّي انتقلتُ إلى زمن غير زمامي الحاضر.

دخلتُ منزلنا والكلب "بيسي" في عقبي يتشمّم آثار حدائي وينبح وجدّي يبعده. لم يبتعد حتّى رماه بحجر، فابتعد وواصل نباحه. تجوّلتُ في منزلنا كيف حلا وطاب لي. تملّيتُ بوجه أفراد عائلتي واحدًا واحدًا. كنتُ أقرب منهم حتّى يسمعوا تنهيداتي. يلتفتون يمينا ويسارا، فأبتعد عنهم كي لا أزعجهم. وقفتُ على المهد الذي كنتُ أنام فيه. تشمّمتُ الإزار المطرّز الذي كانت أمّي تغطّيني به. تنشّقتُ عطره. دخلتُ المطبخ وراقبتُ أمّي وهي تطبخ الطّعام وتخبز الخبز. خرجتُ إلى الحوش الواسع حيث كانت جدّتي تحجل الصّوف وجدّي قربها يفتل الحلفاء ليصنع منها قففا يبيعها يوم السّوق. جريتُ إلى الحظيرة حيث كان أبي. سمع وقع أقدامي. التفت

ونظر تّجاهي، فلم يرني. لا أحد كان يراني سوى كلبنا الأُنوس "بيسي". تفقدتُ
حيوانات الحظيرة؛ الحمار الجأب والأتان والحصان والفرس والبغل والثور والبقرة
والمعز والضّئين. هي كما كانت. ابتسمتُ من كون جدّي جعل من دوابّ حظيرتنا
وماشيتها من كلّ زوجين اثنين كما فعل نبي الله "نوح" عليه السّلام في سفينته.

كنتُ إذا حلّ الظّلام أدخل الحظيرة وأنام نومًا عميقًا وسط التّبن وأبكي بكاء
طفل و"بيسي" جنبي ينظر إليّ بعدما عرف من أكون فلم يعد ينبح فيّ، إنّما كان يتبعني
ويصبص وجدّي ينظر إليه حتّى خلته قد اكتشف أمرَ غريب يعيش بينهم متخفيًا.

شعرتُ فجأةً بالضّيق وبضرورة العودة إلى الغابة ومنها أرجع إلى مدينتي، ربّما
كان ذلك إثر سماعي ما يشبه ضجيج المدن. ودّعتُ أهلي بالدموع وهم لا يدركون
وجودي. ودّعتُ زمني الغابر. ودّعتُ "بيسي". لعنتُ الاستعمار الفرنسي الغاشم
الذي دمّر مزرعتنا وشتّت شمل عائلتي وقتل والدي. دخلتُ الغابة. انطوت لي
أرضها طيًّا حتّى وجدتُ نفسي في طرفها الآخر الذي دخلتُ منه إليها. عانقتُ
الطّريق الذي كان قد ابتلعني في ذلك اليوم الأسود الذي وقع لي فيه ما وقع. جددتُ
في السّير كي أدخل مدينتي في وضح النّهار. أحسستُ بالطّريق يطوى تحت قدمي
طيًّا هو الآخر.

دخلتُ مدينتي من جهة الجنوب وكان منزلي يقع في الشّمال، فكان عليّ قطع
مدينتي طولًا. أدهشني تغير معالمها، كأني فارقتها سنوات عدّة. بدالي من أوّل وهلة
وكأنّها استبدلت سكّانًا آخرين بسكّانها الأصليين. شاهدتهم يمشون مشية البطاريق
مرتدين ملابس غريبة أشبه بالأكفان. أنا أعرف سكان مدينتي، فهم بسحنة واحدة

كأثمهم توائم.

قطعتُ فرسخًا مبتعدًا عن وسط المدينة حيث بدأ الصّمت الرّهيب المؤذي. قطعهُ نعيب غراب يتيم. شاهدتُ سرب نوارس في سماء زرقاء تدمع العين بصفائها. جريتُ في اتّجاه منزلي. نسيتُ السّكري اللّعين. تذكرتُ حلبات السّباق يوم كنتُ متخصصًا في مسافات العشرة آلاف متر. نظرتُ إلى ساعة البلدية. كانت عقاربها واقفة على السّاعة الثّانية زوالًا. واصلتُ الجري. نظرتُ إلى ساعة بنك. تحرّكت عقاربها إلى السّاعة الثّانية وسبع وعشرين دقيقة. حمدتُ الله على ذلك وأثّنتُ عليه. زدتُ من سرعتي وأمل غريب يحدوني هو أن أجد زوجتي وأبنائي وجيراني أحياء! شعرتُ بانخفاض السّكر في دمي. بحثتُ عن قطعة سكر أحفظها في جيبي دومًا. وجدتُها بعد جهد. ازدردتها مواصلاً الجري والعباد ينظرون إليّ باستغراب، بدا لي وكأني سمعتُ أحدهم ينادي عليّ. لم ألبّ نداءه. وصلتُ إلى الزّقاق حيث منزلي. كان ساكنًا. ليس من طبيعته السّكون مع زعيق أطفاله. وقفتُ بمدخله. قمعني سكونه. جلّتُ بناظري في أرجائه. ثبتّتها على منزلي. بهتَ طلاؤه وصدئ بابهِ. تقدّمتُ بخطى وئيدة وأنا في جبن شديد وخور عظيم. وقفتُ أمام باب منزلي أرتجف وأصيح السّمع. لا شيء يدلّ على أن المنزل عامر. استللتُ المفتاح المعلق دوما بزّناري. حاولتُ إدخاله في القفل. استعصى عليّ إدخاله. تيقّنتُ من أن أحدهم غير القفل. اتّجهتُ إلى باب جاري. طرفته طرقات خفيفة. انفتح على وجه غريب لرجل فظّ. سألني عمّا أريد. سألته عن جاري. استنكر سؤالي واغتاظ وصفق الباب في وجهي. جريتُ إلى دور جيراني واحدًا واحدًا. وجدتُها أناسًا آخرين. كلّمها سألتُ

أحدهم إلا ونهرني، بل منهم من قال لي "الله يسهل". عدتُ إلى منزلي. طرقتَه طرقات
عنيفة. انفتح على وجهين متناقضين لرجل وامرأة. قلتُ لهما "هذا منزلي، ماذا تفعلان
به؟!". نظرا إلى بعضهما باستغراب. تراجعت المرأة خطوة إلى الوراء وسحبت عصا
غليظة من وراء الباب وناولتها لزوجها. انقشع أمام عيني بريق رمى بي في هوية ما
زلتُ لحدّ كتابة هذه الحروف أهوي فيها.

2020 - 07 - 06

2020 - 12 - 18